القَمَرُ الأَحمَر

The Red Moon

2

ملحمة العرش والعشق

The Epic of Throne & Love

غادة أحمد
Ghadah Ahmad

القَمَرُ الأَحمَر
The Red Moon

غادة أحمد
Ghadah Ahmad

القمر الأحمر، رواية ضخمة وسلسلة متعددة الأجزاء، تصور الحياة بين البشر وغير البشر، صراعات نفسية، مكايد ومؤامرات، حروب دموية، حقد وانتقام، أساطير ونبوءات، أسرار محيرة، الحب بكل أنواعه، والحياة الملكية والعسكرية بكل تفاصيلها.

في الجزء الثاني من هذه السلسلة، تتابع أحداث القصة لتستنتج ملحمة دموية تحوم حول "العرش والعشق"، وتحل ألغازا من تلك الأحجية المعقدة، مجسدة تلك الأساطير العتيقة إلى واقع حي يرى ويسمع، حيث لا بقاء به سوا للأقوى.

عندما يوءد الحب، وتقتل المشاعر بالدماء، تمتزج السعادة بالحزن، والمحبة بالكراهية، ويكون السيف هو الحد الفاصل بين الحياة والموت.

@Ghadah_Novels

adabarabic7
services_book
services_book
www.adab-book.com
ADAB BOOK

القَمَرُ الأحْمَر

ملحمة العرش والعشق

https://t.me/fantazynov

ⓒ مركز الادب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليف ، غادة أحمد
القمر الأحمر - الجزء الثاني. / غادة أحمد الخليف - ط٢. .- الدمام
، ١٤٤١هـ

٣٩٤ ص ؛ ..سم

ردمك: ٢-٩٨-٨٢٩٩-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية - السعودية أ.العنوان

ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٤١/٩٢٦٧

رقم الإيداع: ١٤٤١/٩٢٦٧
ردمك: ٢-٩٨-٨٢٩٩-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة ؛ لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة حمع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر

https://t.me/fantazyno

القَمَرُ الأَحْمَر

The Red Moon

ملحمة العرش والعشق

The Epic of Throne & Love

غادة أحمد

@Ghadah_Novels

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

١٤٤٢ هـ-٢٠٢١ م

https://t.me/fantazynov

تصميم الغلاف، ورسم الخريطة والرموز

وتصميم الأزياء والشخصيات والمشاهد:

غادة أحمد

Gha.service@hotmail.com

رسم الشخصيات والمشاهد:

أنهار محمد

@Anhar0

k-n-g-@hotmail.com

تلوين الشخصيات، وتفاصيل الأزياء:

ربا السيد

@Caurlette

Ruba681999@gmail.com

https://t.me/fantazynov

مُقدّمة

القمر الأحمر، روايةٌ ضخمة وسلسلةٌ متعددة الأجزاء، تُصور الحياة بين البشر و«غير البشر»، صراعاتٌ نفسية، مكائدُ ومؤامرات، حروبٌ دموية، حقدٌ وانتقام، أساطيرُ ونبوءات، وأسرارٌ محيّرة، الحب بكل أنواعه، والحياة الملكية والعسكرية بكل تفاصيلها.

في الجزء الثاني من هذه السلسلة، تتابع أحداث القصة لتَنسُجَ ملحمةً دمويةً تحومُ حول «العرش والعشق»، وتحلَّ ألغازاً من تلك الأحجيةِ المُعقَّدة، مُجسدةً تلك الأساطير العتيقة إلى واقعٍ حيٍّ يُرى ويُسمع، حيث لا بقاء به سوى للأقوى.

عندما يولد الحب، وتُقتل المشاعر بالدماء، تمتزج السعادة بالحزن، والمحبة بالكراهية، ويكون السيف، هو الحد الفاصل بين الحياة والموت.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الشخصيات

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

أسرة غاريس

الأسرة الحاكمة لمملكة (بانسيلينوس)، كان يعتلي عرشها الملك المترف (أليكساندروس)، والذي لم يحظَ سوى بابنتين: (أفروديت) و(ديميتير). وورثت ابنته (أفروديت) العرش من بعده.

أفروديت Aphrodite

(الأميرة أفروديت)

ذكية، قوية الشخصية، جادة ومثالية، تُحكِّم عقلها قبل عاطفتها، تحب ركوب خيلها (أتشاز)، ورِثت العرش في سنٍّ مبكرة، وأحدثت تغييراتٍ في المملكة، حيث تشعر بالمسؤولية تجاه مملكتها، وتحاول تحقيق العدالة.

ديميتير Demeter

(الأميرة ديميتير)

ماكرة، مغرورة، لعوبٌ وعابثة، غاوية، ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتها. لديها الكثير من العداوات وعلى رأسهم عدوتها (باربرا)، كما أنها ليست على وفاقٍ مع شقيقتها (أفروديت)، وتطمع في عرش المملكة.

مجموعة المتسولين

(أبراكساس) رجلٌ فقيرٌ، يتبنَّى الأطفال الجميلين، لقطاءَ كانوا أو مشردين، ويقوم بإيوائهم وإطعامهم مقابل أن يجلبوا له المال بأية طريقةٍ كانت.

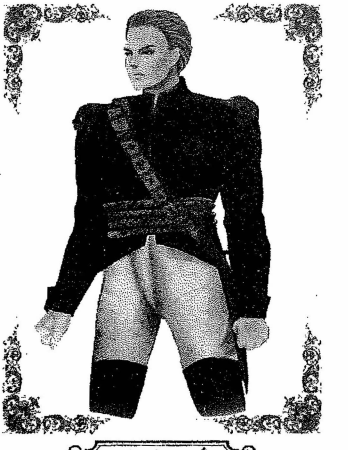
ألارد Alard

(ألارد)

هو الأكبر سنّاً في مجموعة المتسولين، وهو قائدهم ويتحمّل مسؤوليتهم، ضخم البنية، جادٌّ ورزين ومثالي، بالإضافة إلى كونه قويّاً وشجاعاً، وشديد الولاء للملكة التي يقدِّسها (أفروديت). يعمل بالجيش برتبة رقيب.

زوي Zoi

(زوي)

ثاني أكبر فردٍ من المجموعة، التحقت بالجيش متنكرةً على هيئة فتىً يدعى (ليون) لتبقى بالقرب من (ألارد) الذي تعشقه بصمت. عنيدةٌ وقوية، هادئةٌ ومستقلة. مرَّت بصعوباتٍ عند تحوُّلِها إلى مصاصة دماء، وواجهت المخاطر لإخفاء هويتها.

رايموند Raimond

(رايموند)

يهوى المال والسرقة، ويتميز بخِفَّة اليد في هذا المجال، سريع الغضب ويحب القتال وافتعال المشكلات. يقود عصابة لصوصٍ تدعى (الغربان). يحمل مشاعرَ قديمةً لـ (أغلاي).

أرميل Armel

(آرميل)

ذكيٌّ وماكر، ماهرٌ بالخداع والاحتيال، ويجيد إغواء النساء، لا يقاوم المال، ويعشق الكتب، يتميز بساقيه الطويلتين، وأسلوبه المنمَّق. جبانٌ ولا يُحبذ القتل، ويعيش على دماء الحيوانات منذ أن تحوَّل إلى مصاص دماء، وقاسى وحده الهرب المستمر من (الفيركولاس).

https://t.me/fantazynov

(أرام)

أرام Aram

كان في طفولته طيباً ولطيفاً، اختطفه (بالتازار) زعيم (الفيركولاس) وحوّله إلى مصاص دماءٍ وعبدٍ صامتٍ عديم المشاعر، وجامد التعابير. وأطلق عليه اسم (زيس).

(ياني)

ياني Yani

الفتى الجميل الذي يُعاني من تأخرٍ عقلي، يبدو شابّاً ناضجاً، ولكنَّه يفكر ويتصرف كالأطفال، يحمل قلباً بريئاً ونقيّاً، يحب الخيول، ويمتلك موهبةً في الرسم. كان يعتمد على (آرميل) كأخيه الأكبر، وتاه وحيداً من بعده إلى أن أنقذته (دليا) واحتضنته في مزرعة (مونبيتيت).

https://t.me/fantazynov

(أغلاي)

أغلاي Aglae

فتاةٌ طيبة لكنَّها طامعة، ساخطةٌ وتشعر بالعار لكونها فقيرة، وكانت تحلم أن تصبح نبيلة وتعيش حياة الترف الأرستقراطية، وتحقق حلمها عندما عثرت على عائلتها الحقيقية (بونيفيل)، وواجهت صعوباتٍ في التأقلم معهم كبشريةٍ بين مصاصي دماء، ووقعت في عشقٍ محرَّمٍ مع قريبها (إيمانويل). طموحها عالٍ، ومهارتها في الحياكة ساعدتها على التميُّز في البلاط الملكي وفتحت لها الفرص.

(داناي)

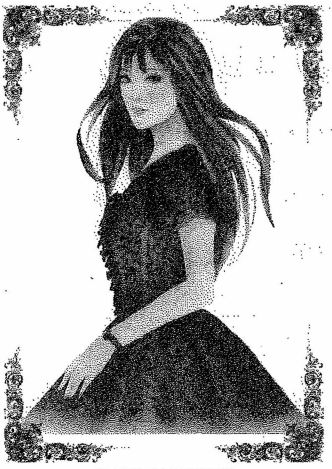

داناي Danai

أصغر فردٍ في المجموعة، الفتاة الرقيقة التي وُجدت فاقدة الذاكرة في طفولتها، فماضيها مجهولٌ تماماً، عمِلت فلَّاحةً في مزرعة (مونبيتيت)، وظلَّت تصارع شوقها للقاء حب طفولتها (أرام).

أسرة بونيفيل

عائلة مصاصي دماء ذات أصولٍ ملكية، قدِموا من إمبراطوريةٍ بعيدةٍ لمصاصي الدماء، تدعى (كروفستروفا)، ـ كانوا يحكمونها قبل أن يضطروا للهرب إلى عالم البشر، ويستقرُّوا في (بانسيلينوس) كعائلةٍ نبيلة صعدت لمناصب هامةٍ وذات نفوذٍ في المملكة. يحاول آل بونيفيل إخفاء حقيقتهم، حتى يحافظوا على عهد أسلافهم بعدم أذية البشر.

كبير العائلة هو الجد (إيفرانور)، وأبناؤه الخمسة:

الجنرال (إدغارد)، الدوق (إيبير)، (كوتريه)، والابن الأصغر الكونت (أرماند)، والابنة (مارغريت).

(أرماند)

الابن الأصغر لـ(إيفرانور)، الكونت الأعزب، غامضٌ وماكر، ويتميز بقوته الجسدية ومهارته العسكرية، وشخصيته القيادية، حيث تعتبره العائلة قائداً لها، فهو متعصبٌ لأصول أسرته الملكية ولعِرقه كمصاص دماء، ويطمع بالعرش. يعمل مستشاراً للملكة (أفروديت) وقائداً لجيشها.

أبناء (إدغارد):

(إيمانويل)

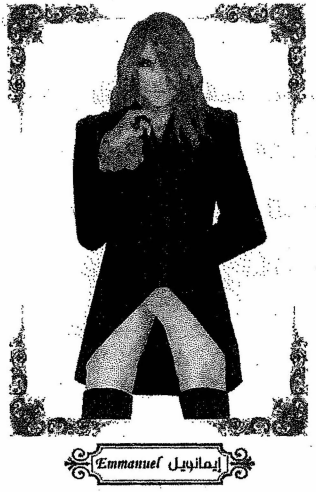

الابن الأكبر للجنرال (إدغارد)، وسيم، يتميز بجاذبيةٍ وشخصيةٍ قيادية، فضوله يدفعه للبحث والتحليل، ويغلب عليه حب التملُّك. عطوفٌ ولبق، ويشعر بالمسؤولية تجاه عائلته.

(بيلموت)

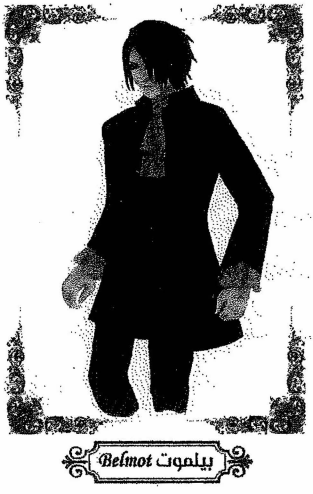

غامض، مستهترٌ وغير مبالٍ، ولا يأبه بالفتيات، ساخرٌ كثيراً، ويحب الإثارة والمغامرة، متعطشٌ للدماء والقتل، عنيدٌ ويسلُك الطريق الذي ينفعه فقط.

أبناء (إيبير):

(غيلبرت)

أناني ومغرور، قاسٍ وعنيف، يُعامل قريبته (باربرا) بجفاءٍ رغم حبها الشديد له، فقلبه مشغولٌ بحب طفولته (أندرونيكا). يعمل في الحرس الخاص، يُعتمد عليه، ويهتم بحماية عائلته.

(أندريون)

لطيفٌ وطيب وخدوم، وبالرغم من وجهه الطفولي وصغر سنه، إلَّا أن ذكاءه يفوق الكبار. يحب القراءة والبحث بين صفحات الكتب، ويجيد التحليل والاستنتاج. وهو صديقٌ مقرَّبٌ من قريبه (إيمانويل).

https://t.me/fantazynov

(فيوليت)

فيوليت Violette

هادئةٌ ورقيقة، ضعيفة الشخصية، تحمل مشاعرَ دفينةً لقريبها (إيمانويل) منذ الصغر. وتُعتبر صديقةً لقريبتها (باربرا) وللأميرة (ديميتير) أيضاً، والاثنتان عدوتان تحاولان استغلالها في نزاعاتهما.

ابنة (مارغريت):

(باربرا)

باربرا Brbara

يتيمة الأب ومدلَّلة والدتها، مندفعة ومغرورة، وماكرةٌ إلى حدٍّ ما، فأحياناً لا تنجح خططها. تعشق قريبها (غيلبرت) إلى حدٍّ مُهين، فحبها له من طرفٍ واحد. وعدوَّتها اللدود هي الأميرة (ديميتير).

أسرة مونبيتيت

عائلةٌ عريقةٌ برَزَت أجيالها في خدمة جيش بانسيلينوس، ولم يبقَ منها إلّا الجنرال (أركاديوس) الذي قُتل غدراً في المعركة، ثم توفيت زوجته مسمومةً. فهرب ابناهما ليكملا حياتهما في مزرعة العائلة في البلدة الشمالية (مولنيا).

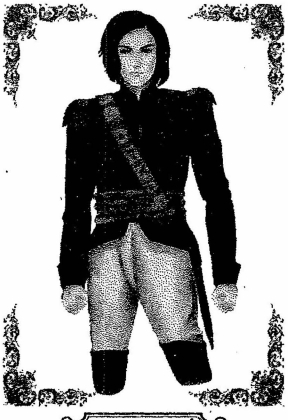

ألباين Albine

(ألباين)

مغرورٌ وكبرياؤه عالٍ، يفتخر بنُبل أُسرته ومجدها، يُحب شقيقته الوحيدة (دليا). يعمل في الجيش برتبة رقيب. ويكنُّ الحقد لأسرة (بونيفيل)، معتقداً أنهم من قتل والديه لسببٍ غامض، فيعزم على إيجاد الحقيقة، والانتقام لهما.

دليا Dylia

(دليا)

عطوفٌ وحنونٌ، قوية الشخصية، وصارمةٌ أحياناً في إدارة مزرعة عائلتها. تعشق (ياني) وتغدق عليه بحنانها كما لو كان ابناً لها.

أسرة رونثو

الأسرة الحاكمة لمملكة (رومبيانيا)، كان يتربَّع على عرشها الملك (هيروديون)، وكان على عِداءٍ طويلٍ مع مملكة (بانسيلينوس)، إلى أن غدر به شقيقه (بيلزبيل) وقتلَه بتآمرٍ مع شقيقيه الآخرَين: (تريتون) قائد الجيش، و(أنارغيروس) قائد القوّات البحرية. أخذ (بيلزبيل) يطارد (أرجوس) ابن (هيروديون) والوريث الشرعي للعرش لكي يقتله.

(أرجوس)

الابن الوحيد للملك (هيروديون)، والوريث الشرعي لعرش (رومبيانيا)، كان ضعيفاً ومدللاً جدّاً في صغره، لكنَّه نضج بعد أن عاش الحياة القاسية مع جيشه بعيداً عن الترف، وهرب طويلاً من عمِّه (بيلزبيل). عنيدٌ ومتهورٌ أحياناً، عاطفيٌّ ويعشق الملكة (أفروديت)، حيث حاول كسب قلبها وتحالَف معها، ودَعمَته في حربه ضد (بيلزبيل) واستعادة عرشه.

كليوزهيست
Klyuzhest
وادي الذئاب
Valley of the Wolves
دولين
Dolien
غابات الشرق
The East Forest
رومبيانيا
Roumbeania
سيفياتوست
Sivyatost
مولنيا
Molniya
لوردير
Lourdior
أثانيسيا
Athanisia
غابة ميغالوس
Megalos Forest
بولشوف
Bolishoff
المنطقة الحمراء
The Red Zone
إمبياسو
Embiasso
أوسيوس
Ousseos
إمسايا
Emmaya
تشيستوتا
Chistota
بانسيلينوس
Panselinos
Map الخريطة

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الأول

«١»

https://t.me/fantazynov

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

كانت ليلةً هادئةً سوى من صخب احتفالات النبلاء في البلاط، وبينما بقيت سيدات بونيفيل لقضاء أمسيةٍ في القصر الملكي، قررت أغلاي العودة إلى المنزل حاملةً بين ذراعيها مجموعةً من الأقمشة الجديدة التي حصلت عليها من المربّية أديلايد، إلّا أن طريقها اعتُرِض فجأةً من قِبَل الشاب المستهتر، بيلموت.

انزعجت عندما لم يفسح الطريق لها للعبور، ونظرت إليه بنفاد صبر، فقال: رائحة دمك!

ذهلت وشعرت بالخطر، بينما قال: كيف تتجولين ببساطةٍ في هذا المنزل؟.. ألا تُدركين أنكِ تعيشين بين مجموعة وحوش؟.. ألم تتعلمي من المرّة الماضية؟

ثم اقترب منها ورفع إحدى خصلات شعرها برقّةٍ وهو يقول: أنتِ لا مبالية، وأنا أيضاً!

وأكمل مُنبِّهاً: أرجوكِ، لا تظنّي أني منجذبٌ إليك، فإني لا أهتم بالفتيات أبداً!

ثم استنشق رائحة دمها وقال: فكل ما أهتم به، هو الدماء!.. أنا منجذبٌ لدمائكِ فقط يا أغلاي!

ارتعش قلب أغلاي هلعاً فور أن رأت عينيه تضيئان كشرارةٍ من البرق في ليلةٍ ماطرة، فقامت بدفعه بعيداً وحاولت الهرب، لكنَّه استخدم سرعته الخارقة لاعتراض طريقها مجدداً.

وكلما حاولت الهرب بأي اتجاهٍ وجدته أمامها، وابتسامةٌ ساخرةٌ على شفتيه، وكأنه يستمتع بمشاهدة سيركٍ لحيوانٍ أليفٍ محتجزٍ في قفص، قال بنبرةٍ متهكمة: يجدر بكِ أن

تيأسي، ما الذي حدث لك؟..أنتِ تدركين تماماً أنه لا مجال لمقاومة سرعة مصاص الدماء!

ثم ظهرت أنيابه، وقام بدفعها باتجاه الحائط، فأخذت تصرخ بينما كان يغلق فمها ويقترب بأنيابه من رقبتها ويقول: لن يسمع أحدٌ صرخاتك!.. فالجميع لا يزالون في القصر، إنهم يقضون وقتاً ممتعاً، ولن يعودوا إلّا بعد انقضاء ليلةٍ صاخبةٍ لا تنتهي!.. لقد ارتكبتِ خطأً بعودتكِ وحيدة!

ثم قال ولعابه يسيل عطشاً: دعيني فقط أرتشف من هذه الدماء، قبل أن تجف عروقي!!.. ثم سأدعكِ تذهبين!

كانت تبكي بصوتٍ مكتومٍ تحت قبضة يده، وتحاول دفع جسده عنها بقوىً خائرة، واستمرت تركل قدميه دون أن يتأثر، فقوّتها لا يمكن أن تقارن بقوته، وبعد اليأس أخذت تنادي على أملها الأخير: إيمانويل!.. إيمانويل!!.. أنقذ..نـ..ـي!!

ولكنَّ يد بيلموت منعت تلك الحروف من الظهور عبر شفتيها، وفتح فمه لتظهر أنيابه الحادة لتطبق على شرايينها. لم تكن تفكر سوى بشيءٍ واحدٍ تلك اللحظة: «هل سأموت الآن؟».

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

ركض رايموند مع اثنين من رفاقه الغربان، هرباً من حراس أغنى نبلاء مولنيا، وكانوا يفوقونهم عدداً، وأثناء المطاردة، اقتادهم الغربان إلى الأحياء الفقيرة، فقد كانوا يحفظون تفاصيلها أكثر من مطارديهم، وكانت تلك الخطة المثلى للتخلص منهم.

وثَب رايموند إلى أحد الأزقة الضيّقة، واختبأ به مع صاحبه، وانتظر الاثنان رفيقهما الثالث، ولكنه تأخر باللحاق بهما، فأطلَّ رايموند بحذرٍ وشاهد الحرّاس يقبضون عليه..

قال أحد الحراس: أيها اللصوص!.. لن نترككم حتى تردُّوا أموال السيد!

وقال آخر: سنأخذكم إلى القاضي، فمكانكم الوحيد هو السجن!

استنجد الشاب: أيها الزعيم!!

التفت رايموند نحو صاحبه وقال بعزم: لن ندعهم يأخذونه!.. اذهب لاستدعاء الغربان، ريثما أقوم بمناورتهم!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

كان آرميل يجلس متخفِّياً فوق إحدى الأشجار، ومنهمكاً في عدّ النقود التي حصل عليها من ألباين مونبيتيت، مقابل مبادلته كتاب النبلاء، ثم قام بإعادتها إلى الصرّة، وقرر التقصِّي عن ياني، فمنذ تلك اللحظة، لم يغب عن ذاكرته المشهد الذي رآه في مكتبة القصر الملكي، عندما كان ياني مُنهمِكاً برسم لوحةٍ ضخمة. فتوصَّل إلى استنتاجٍ سريع: «ياني يعمل كرسامٍ ملكي!»

وقام بإخفاء ملامحه تحت القلنسوة، ثم قفز هابطاً إلى الأرض، وقبل أن يخطو خطوته الأولى.. تفاجأ عندما قامت مجموعةٌ كبيرةٌ من الفيركولاس بالإحاطة به!.. وبدؤوا يضيّقون عليه الحصار بخطواتٍ واثقةٍ بطيئة، أهدأ من حفيف الأشجار. نظر إلى سيوفهم، وإلى أعينهم الحمراء المُشعَّة، فأدرك أنه وقع بين أيديهم ولا مجال للمقاومة، ودون أن يمنحوه أي فرصةٍ للتحرك، انقضُّوا عليه وقاموا بتقييده بإحكام، ثم انزاحوا عنه، فرفع رأسه ورأى قائدهم، أرام.

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

يرافقها ياني، ورغم رفضها إلّا أنه أصرَّ على اللحاق بها، فقد كانت تعلم بأن دليا ستغضب إذا فطِنت أن ياني غادر المزرعة دون علمها، وتحديداً إلى وكر رايموند الذي لا تثق به أبداً..

سألها ياني: هل أحضرتِ الرسالة؟

أجابت: بالطبع، سأُقدمها لرايموند اليوم!

أشعّ وجه ياني لهفةً: أتشوّق لإخباره!

امتعضت داناي: ألهذا السبب لحقتَ بي؟

وفور أن وصل الاثنان إلى الوكر، فوجئا بأحد الغربان يقتحمه مُسرعاً ليُبلِّغ العصابة بأن زعيمهم رايموند وحده في مجابهة حراس النبيل الذي سطوا على منزله..

صاح قائلاً: اجلبوا جميع الأسلحة!.. أسرعوا!!.. لن نسمح لهم بالقبض على الزعيم!!

ركض الجميع متجاهلين وجود ياني وداناي، فوضعت سلّة الطعام على الأرض وقد اختلطت مشاعرها بين الخوف على رايموند، والمسؤولية تجاه وجود ياني معها..

فقالت وهي تخفي توترها: علينا أن نعود إلى المزرعة يا ياني، فالشمس توشك على المغيب..

كان ياني ينظر إلى الغربان وهم يبتعدون عن ناظريه، ثم التفت نحو داناي وقد تبدَّل خوفه إلى شجاعةٍ عندما قال: رايموند صديقنا، لن نتركه ليموت كما حدث لأريس، ولن نتركه ليُسجن كما حدث لآرميل!

تفاجأت داناي من كلماته، فرغم نظراته الطفولية البريئة، بدا لها ناضجاً تماماً، فأجابت: سيكون رايموند بخير، فالغربان سيقفون معه!.. يجب أن نعود الآن، فالآنسة دليـ..

لكنَّ ياني تجاهلها وركض ليلحق بهم، وتركها تصرخ منادية: ياني!!.. توقف!!

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

وبعد اليأس أخذت تنادي على أملها الأخير: إيمانويل!.. إيمانويل!!.. أنقذ..نـ..ـي!!

لكنَّ يد بيلموت منعت تلك الحروف من الظهور عبر شفتيها، وفتح فمه لتظهر أنيابه الحادة لتطبق على شراييها. لم تكن تفكر سوى بشيءٍ واحدٍ تلك اللحظة: «هل سأموت الآن؟».

لكنَّ ضربةً قويةً وُجهت نحو رأسه، وقوةً عظيمةً دفعته بعيداً، ليرتطم جسده بالحائط المقابل، وتتكسر أحجاره!

شهقت أغلاي واستعادت أنفاسها، والتفتت لترى إيمانويل يقف أمام شقيقه، وكانت عيناه تُشعّان بلون الثلج استعداداً للنِّزال..

صاح إيمانويل غاضباً: أيها الحقيـــر!!

نهض بيلموت وقام بتعديل ثيابه، بينما يرمق شقيقه الأكبر بانزعاج، ثم اقترب منه وخنق رقبته، وقال ضاغطاً على حروف كلماته: كيـف تجـــرؤ؟!

كانت أغلاي تشاهد ما يجري بينهما، وتلهث ذعراً، فقد تكرر معها هذا الموقف، ولكنَّه بدا أكثر جديةً هذه المرة، فلم ترَ إيمانويل بهذا الغضب من قبل!

رفع بيلموت أحد حاجبيه، وقال مُستفِزّاً: هل تقوم بهذا لحماية عشيقتك؟

قام إيمانويل بلكم وجهه على الفور بعد جملته تلك، ولكنَّ العجيب أن بيلموت لم يقاومه، بل اكتفى بمسح الجرح عن فكّه فقط، ثم نظر إليه بالنظرة المستفزة ذاتها، وأكمل: لا أظن أنك تكترث بقَسَم الجدِّ إيفرانور إلى الحد الذي يدفعك لحماية دماء بشريةٍ انضمَّت لتوِّها إلى العائلة!

ثم اعتدل في وقفته وابتسم بسخرية: إنه العشق المحرم!.. لا يمكنك إخفاء الأمر أكثر

من هذا يا إيمانويل!

رفع إيمانويل قبضته من جديد، ولكنَّ بيلموت استوقفه هذه المرة، وأمسك بذراعه بعنفٍ وهو يقول: اطمئن، لن أخبرهم عن عشقك، وسأتركها لك، لتتملّك دماءها!.. لكني سأستمتع بشرب دماء البشر أيضاً!.. فلستُ أكترثُ لقَسَمٍ أو أي أمرٍ لَعِينٍ!.. عليك ألّا تعترض طريقي بالمقابل، أو فإنني سأفضح سرّكما الصغير!

أرخى إيمانويل قبضته وأفلَت ذراعه من يد شقيقه، ولكنَّه لم يُزح ناظريه عنه، قائلاً: افعل ما تشاء، ولكن إياك والاقتراب من أغلاي!

رمقه بيلموت بنظرةٍ باردة وغادر المكان، فالتفت إيمانويل نحو أغلاي التي كانت تقف مذعورة، وسألها: هل أنتِ بخير؟

أومأت أغلاي برأسها، ونظر إيمانويل إلى الأقمشة المتناثرة على الأرض وبدأ يلتقطها لها وهو يقول: لا تبقي في المنزل بمفردكِ أبداً!.. كوني على مقربةٍ من فيوليت والدوقة ميرابيل، فقد لا أكون موجوداً دائماً لإنقاذك!

التقطت أغلاي الأقمشة من بين يديه بصمت، والتقت أعينهما لوهلة، ثم هرعت نحو حجرتها وأسندت ظهرها نحو الباب، وكانت تفكر بأنها أكثر لحظةٍ ترغب فيها باحتضانه، إنها تفتقد وجوده بقربها، فقد كان ثمة فراغٌ موحشٌ بداخل قلبها. ولكنها شعرت بأن هجر إيمانويل لها وغضبه منها، قد تلاشى عند لحظة دفاعه عنها، فهمست بشغف: «إنه يحبني بالفعل!.. لقد رأيتُ ذلك في عينيه!.. فلا يمكننا معرفة حقيقة الحب، إلّا في لحظات الخطر!».

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كان رايموند ممدَّداً على الأرض بجروحه النازفة، بينما يقوم الحراس بتقييده مع رفيقه، وكان أحدهم يقول:

- يجب أن تُطبَّق العدالة على هؤلاء اللصوص!.. لقد نَهبوا سكان مولنيا بما فيه الكفاية!

وقبل أن يقوموا بحملهما إلى القاضي، انهالت عليهم السهام، وهجمت عصابة الغربان بسيوفهم، وبعد اشتباكٍ همجي، قتلوا بعضَ الحرّاس بعشوائيةٍ، بينما تمكَّن بقيّتهم من الفرار، وقام الغربان بفكِّ قيود زعيمهم وإنقاذ مُصابيهم، وكان من بينهم.. ياني!

وصلت داناي إلى المكان لاهثةً، بعد ركضٍ طويلٍ خلف ياني، وهرعت إليه بعد أن رأت قدَمه المصابة، وكان يبكي بشدَّة، التفت رايموند إليهما ثم طلب من غربانه مساعدته على المشي نحو صديقيه، هلع ياني عندما نظر إلى الدماء التي تغطي جسد رايموند، وقال له: لا تمت أنت أيضاً يا رايموند!

انزعج رايموند من طفوليته: اهدأ، لن أموت أيها المغفَّل!.. هلّا أخبرتماني ما الذي تفعلانه هنا؟!

انفعلت داناي: توقف عن إهانته!.. انظر إلى قدمه، ألا ترى كم تأذى بسببك؟

ردَّ رايموند: لِمَ جلبتِه إلى هنا؟.. الأجدر أن تلومي نفسكِ يا داناي!

ثم التفت إلى اثنين من أفراد عصابته آمراً: رافِقاهما إلى المزرعة، وتحققا أن يصلا بسلام!

❁❁❁

(بانسيلينوس)

بعيداً عن العاصمة لورديور، وعبر طريقٍ وعر، ثمة عربةٌ تسير على مهلٍ مع مجموعةٍ من الخيول يركبها رجال الفيركولاس بقيادة أرام، بدَت تلك الوحوش متنشيةً بعد أن تقاسمت المال الذي نهبته من آرميل، والذي كان يجلس في زاوية العربة مقيَّد القدمين واليدين، ومُقتاداً إلى بالتازار. لاحظ أن الطريق يؤدي إلى الغابات، ولم يتمكن من استخدام أيٍّ من قدراته، سوى القدرة الوحيدة المتاحة.. فمه، فكان يراوغ في الحديث

محاولاً إيجاد مخرجٍ يساعده على الهرب. نظر إلى ظهر أرام، الذي كان يقود المجموعة على ظهر حصانه، فأراد مساومته حتى يُطلق سراحه بأي مقابلٍ يطلبه، ولكنّ تلك المحاولة ستحتاج أن يتحدث إليه على انفراد، لأنه لن يقبل تلك المساومة أمام رجاله، فحاول استفزازه ليستدرجه قائلاً: يبدو أن بالتازار قد اضطهدك كثيراً حتى تتغير هكذا!

وكما توقّع، فإن أرام لم يلتفت له أو يرد عليه، فأكمل حديثه: هل قتلتَ الكثير من الأبرياء لإرضاء عطش سيدك؟!.. هل تذكر كيف كنت تركض في شوارع لورديور مستجدياً أموال الأغنياء لكي يطعمك أبراكساس ويسمح لك بالنوم في منزله؟.. يبدو أنك تفضِّل الاستمرار بحياة العبودية تلك، إلى الآن!

كان آرميل يتعمَّد إهانته أمام رجاله حتى يستفزه أكثر، وكانوا يضربونه كلما تكلم، ورغم كدمات وجهه، إلا أنه يصرُّ على الاستمرار في الحديث، فأكمل قائلاً: كنتَ تخاف أبراكساس وتهرب منه باكياً، كنتَ مسالماً وديعاً، تخشى أن تؤذي نملة!.. انظروا من أصبح يستلذُّ بالقتل، ويغدر بأصدقائه، ويقتل أحدهم ببشاعة!.. في الواقع، إنه خلف ذلك الدرع المزيف، يخبئ قلبه الصغير، الذي يرتعد خوفاً من سيّده بالتازار، الرجل الذي اختطفه من بين أولئك الأصدقاء، وقام بتعذيبه وترويضه، ليصبح عبداً له، وبالتالي، هو يحاول الانتقام من حظه السيئ!.. لمَ ينجو أصدقائي، وينسونني وراءهم، وأعاني أنا وحدي؟.. سأدمِّر حياتهم، كما دُمِّرَت حياتي!

كان يريد من أرام النزول عن حصانه ليحاول إسكاته، وحينها سيتسنَّى له الحديث معه على انفرادٍ ومن ثم يتساوم معه، ولكنّ الفيركولاس أشبعوه ضرباً بعد كلماته الأخيرة، وظلّ أرام صامتاً وبارداً كالثلج، لم يتأثر ولم يُبدِ أي ردةِ فعلٍ سوى أنه رفع يده آمراً، ففهِم أحد الجنود أوامره وقام بحشو قطعةِ قماشٍ في فم آرميل ليسكته.

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

في مزرعة مونبيتيت..

وقفت دليا أمام مدخل المزرعة، تنتظر عودة داناي وياني بتوترٍ وغضبٍ شديدين، بينما كانت إيوانا تحاول تهدئتها، إلى أن شاهدتهما قادمين مع اثنين من عصابة الغربان، كانا يساعدان ياني على المشي وهو يعرج، فهرعت إليه ونظرت إلى الدماء النازفة من قدمه، وحاولت دعمه على الوقوف عندما أمسكت بذراعه بقلقٍ، والتفتت لتأمر إيوانا: استدعي الطبيب، بسرعة!!

ثم التفتت إلى داناي ورمقتها بعينين حانقتين، وقالت: أنتِ معاقبةٌ يا داناي!!

وأشارت إلى رئيس المزارعين آمرةً أن يأخذها إلى الإصطبل ويقوم بحبسها.

❁❁❁

في وكر الغربان..

كان رايموند يرقد في إحدى الزوايا، بينما يقوم أحدهم بتضميد جراحه، نظر إلى أعين غربانه القلقة والمحدِّقة به، وقال: سأتعافى قريباً أيها الأوغاد!.. توقفوا عن تلك النظرات البائسة!

ثم رفع ظهره ليجلس بصعوبةٍ: لم يتوقف عملنا!.. ستذهبون للسطو على العربات القادمة إلى مولنيا كما اعتدتم، فلا يزال هناك المزيد من المال بانتظارنا!.. لقد أثبتُّم قوَّتكم اليوم، أنتم تستحقون تلك المكافأة!

لَمعت أعينهم بجشعٍ، وهتفوا بحماس: عاش الزعيم رايموند!!

❁❁❁

في مزرعة مونبيتيت..

خرج الطبيب من المنزل وكانت دليا ترافقه لتشكره، وطمأنها عندما رأى القلق في

عينيها: لا تقلقي، آنسة مونبيتيت، سيتحسن بعد بضعة أيام!

وبعد أن غادر، توجهت إلى ياني وأخذت تعتني بقدمه المصابة حسب توجيهات الطبيب، ولم تسمح للخادمات بالقيام بذلك نيابةً عنها، وبينما كانت تُعدّ له الأعشاب المهدئة، قال ياني: رايموند مصابٌ أيضاً، هل سيذهب الطبيب لمساعدته؟

تنهدت دليا وكانت منهمكةً في خلط الأعشاب: عليك أن تبتعد عن ذلك اللص يا ياني، إنه شخصٌ سيئ، وسيسبب لك الأذى والمتاعب!

فكّر ياني: كان آرميل يقول بأن رايموند متعجرفٌ وعنيف، ولكنه يظلّ صديقنا!

توقفت دليا وتركت ما بيدها ونظرت إلى عينيه بحزم: يجب أن تتوقف عن رؤية رايموند، وكذلك، إياك ان تغادر المزرعة دون علمي!

وعندما رأت التحفُّظ في عينيه، أمسكت بيديه بلطفٍ وابتسمت: لا تفهمني على نحوٍ خاطئ، أرجوك، إنني أفعل هذا لحمايتك!.. ستكون دليا سعيدةً إذا ما بقي ياني آمناً بجانبها، أليس كذلك؟

ولكنَّها لاحظت التردد والقلق في قسمات وجهه عندما قال: وهل داناي سيئةٌ حتى تحبِسيها؟

اختفت الابتسامة من وجهها وحملقت في عينيه للحظة، ثم قالت: لقد أخطأت داناي عندما أخذتْكَ إلى هناك، فهي من تسبب بإصابتك!.. ومن يخطئ يستحق العقاب!

قال ياني: ولكنني أنا من أصرّ على الذهاب معها، كانت داناي ترفض اصطحابي!

صمتت دليا وهي تتأمل وجهه النادم، فجذب يديه من بين يديها ونظر إلى الأرض، وقد أدركت أنه يشعر بالإحباط، والاستياء منها. فقالت وهي تتصنع تلك الابتسامة اللطيفة مجدداً: لا تقلق، سينتهي عقاب داناي خلال يومين!.. وستعود لرؤيتها!.. سيمضي الوقت سريعاً!

تنهد بارتياح، ثم رفع رأسه ولمعت عيناه عندما قال سائلاً: وهل سأتمكَّن من زيارة الخيول؟

ابتسمت ضاحكةً: بالطبع، ابقَ في حجرتك حتى تتعافى قدمك، وبعدها سنذهب لزيارة الإصطبل، ونشاهد الخيول معاً!

ابتسم لها برضاً أخيراً، وكانت تلك الابتسامة الجميلة، هي أقصى أمانيها..

❁❁❁

في تلك الليلة..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

كان أندريون في حجرته، منهمكاً بالتفكير في حواره الأخير مع زوي، حينما أخبرته عن الشابين اللذَين كانت تعرفهما منذ الصغر، والومضات التي كانت تراها، وعن تلك الليلة التي سبقت هروب مجموعة المتسولين، وقد أيّدها أندريون بأن الومضات كانت تحكي عن الجزء المفقود من اللغز، وعمّا حدث في تلك الليلة الغامضة.

{تعجّبت زوي ثم سألت بحيرةٍ: ومن يكون، الذي فعل بي كل هذا؟!

أجاب وعيناه تلمعان بذكاءٍ ولهفةٍ لاصطياد الحقيقة: بما أن الأمر مرتبطٌ بالسحر، فسنبحث عن السحرة الموجودين في بانسيلينوس..

وفور أن أتى على ذكر السحرة، تذكّرت زوي تلك الومضات التي كانت تراها، فأخبرته عنها، وأخذ يفكر مذهولاً: قلتِ بأن الرجل كان يردد: «المختارون».. «الفيركولاس»!

ثم لمعت عيناه: «الفيركولاس».. إنها كلمة يونانية الأصل، وتعني «مصاص دماء»!..

كانت تُستخدم في كروفستروفا!

اتضح الاهتمام على زوي ثم تساءلت: وماذا عن تلك المرأة التي كانت تُتمتم؟!

أندريون: إنها ساحرةٌ بلا شك!.. وبما أننا تيقنّا الآن من أن الساحر امرأة، فهذا يختصر علينا الكثير!.. لقد تحدثتُ لتوي مع إيمانويل، وسوف يُرسل رجالاً في مهمة البحث..

ثم قال على عجل: والآن، علي أن أعود لأبلغه بأن القائمة ستقتصر على الساحرات فقط!

ونظر في عينيْ زوي لوهلةٍ ليقول مودعاً: احذري أن تموتي خلال المعارك!.. فأنتِ تعرفين الآن كيف تتفادين الموت!

أومأت زوي برأسها، والتفت أندريون ليغادر، ففكرت في تلك الثواني السريعة: «قد يكون حلّ جميع هذه الألغاز موجوداً لدى آرميل وأرام!.. ولكن، أين يمكن أن يكونا الآن؟».

ثم فكرت: «هل أُخبره عنهما؟».

وبعد لحظاتٍ من التردد والصراع الداخلي: «لم أكن أرغب بإطلاع إيمانويل على ذلك!.. ولكنّ كبريائي قد يحول دون وصولي إلى الحقيقة، فربما يساعدني إيمانويل وأندريون على الأقل في العثور على آرميل وأرام، فكل ما يهمني الآن، أن أفهم ذاتي!».

تشجعت وقامت بمناداته: لورد أندريون!

التفت إليها منتظراً أن تتحدث، فقالت: سأُطلعك على أمرٍ ما!

وبعد أن أخبرته، قالت: إن اسمهما آرميل، وأرام!.. أظن أن الأمر حدث لثلاثتنا في تلك الليلة، كما تعتقد لورد أندريون!

قال أندريون باهتمام: أنتم الثلاثة «المختارون»، وقد يكون هناك المزيد منكم!.. هناك

شيءٌ ما يميزكم عن بقية مصاصي الدماء المستحدثين، وهذا ماجعلهم يطلقون عليكم ذلك المسمى!.. وأظن أن أبرز ميزةٍ، أنكم لا تحترقون بأشعة الشمس!

تلألأت عينا زوي ذهولاً وشغفاً لمعرفة المزيد، وعن المصير الغامض الذي يربطها بأرام وآرميل، وتلك الساحرة، والمستحدثين الآخرين..

لكنَّ أندريون حدّق بها بحدةٍ وقال بنبرةٍ ممتلئةٍ بالعزم: ولكن، يتبقّى أن نعرف أين يستوطن ذلك الجيل المستحدث!

وأحكَم قبضة يدِه بقوة، واحتبست أنفاس زوي من فرط حماسها، وأومأت برأسها تأييداً..}.

نهض أندريون من مقعده فور أن طُرِق باب الحجرة ودخل إيانويل، حيث مشى باتجاهه بخطواتٍ بطيئةٍ، بينما كان يقول: يبدو أن ثمة اكتشافًا مهمًّا في جَعبتك، لتستدعيني في هذا الوقت!..من الواضح أن بحثك قد أتى بما نحتاج!

أندريون بثقة: بل.. بأكثر مما نحتاج!

عندها ابتسم إيانويل بزاوية شفتيه، ابتسامةً تنمُّ عن الرضا، والفضول..

❁❁❁

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس - غابة ميقالوس)

هبط أحد رجال الفيركولاس من سفح الجبل راكضاً نحو الكهف، حيث التقى بالساحرة كالغينيا في طريقه وقدّم إليها ورقةً صغيرةً وهو يقول: وصلتنا للتو مع الحمام الزاجل!

التقطت كالغينيا الورقة: إنها من زيس!

وبعد أن قرأتها، بدا الارتياح على وجهها، ثم هرعت إلى بالتازار لتُبشِّره: المختار آرميل في طريقه إلينا، وسيصل خلال يومين!

نهض بالتازار وقد ظهرت ابتسامته الصفراء: لم يُخيّب زيس ظنّي هذه المرة!.. ستقومين بتجهيز الطقوس حين وصوله!

أومأت كالغينيا برأسها بثقة: هذا ما كنتُ أنتظره بفارغ صبر!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي، جناح الأميرة ديميتير..

نطَق الحارس خلف باب الجناح: سمو الأميرة، وصلت الآنسة أغلاي بونيفيل!

سمحت لها ديميتير بالدخول، واستضافتها على كوب شايٍ مع بعض الفطائر اللذيذة، وقالت: إذا أردتِ أن تصعدي وتنتقلي إلى الخدمة كحائكةٍ ووصيفةٍ في الجناح الملكي..

لمعت عينا أغلاي، وظهر الاهتمام عليها، فأكملت ديميتير وهي تدنو برأسها تجاهها: أخبريني كل ما تعرفينه عن الكونت أرماند؟

ثم همست في أذنها: كل شيء!

واستندت باسترخاءٍ ثم قالت: الكونت أرماند يثير ريبتي وفضولي، وشكوك أختي أفروديت بالطبع، إنها لا تثق به، ومع هذا لا يمكنها الاستغناء عنه!.. ذاك الرجل يخبئ شيئاً، ومن خلال فِراستي، يمكنني التنبؤ بذلك!

قالت بابتسامةٍ مُشجِّعة: يجب أن تقدِّمي لي شيئاً يستحق أن أجعلكِ تصِلين إلى ذلك الموقع المميز، ليس بالسهولة أن تحظى فتاةٌ بمنصب وصيفة الملكة!

استغربت أغلاي ذلك الطلب المريب، وتساءلت: «ما الذي تحاول الأميرة الوصول

إليه؟.. هل هو قلب الكونت؟.. أم أنها تخطط للانتقام منه، أو ربما استغلاله؟.. ما هي الشكوك التي تتحدث عنها؟.. لا يوجد من هو أكثر حذراً من الكونت في خطواته!».

وفكَّرت بأهم سرٍّ يخبئه أرماند: «إنها حقيقته كمصاص دماء!».

ولكنها تذكرت تهديده لها بالقتل إذا ما أفشت سرّ العائلة، فقررت التزام الصمت، للحفاظ على حياتها. ولاحظت ديميتير التردد والخوف في عينيها، فسألتها: أنتِ تعرفين شيئاً!.. تحدثي، لن يمسّكِ سوء، فستكونين في حمايتي!

تنهدت أغلاي، ثم فتحت شفتيها المرتعشتين، ونطقت: لا، لا أعرف شيئاً بعد، لكني سأحاول البحث عن أسرار أرماند، لأجلك!

❁❁❁

المجلس الملكي..

كان يصل إلى أفروديت مبعوثون من ملوكٍ وأمراء يطلبون الزواج بها، لكنها كانت ترفض عروضهم، واستمرت الحاشية بالضغط عليها كي تنجب وريثاً لعرش مملكتها، وكان مسؤول القصر ومستشارها الخاص بارنباس، يحاول إقناعها: يجب أن يطمئن الشعب لوجود خليفةٍ لإدارة وحماية وطنهم!.. جلالة الملكة، لديكِ ما يكفي من الحكمة لتصوُّر الحاجة إلى وريث!

لكنَّ التردد كان يظهر على مُحيَّاها دائماً وكانت تقول: أدرك تلك الحاجة أيها المستشارون!.. ولكن لا يمكنني التفريط ببانسيلينوس، لن يحكمها إلَّا من يستحق حمايتها، وإلى حين ظهور ذلك الرجل المناسب للزواج، فإنني سأنتظر!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كانت داناي تتضور جوعاً وعطشاً بين زوايا الإصطبل، ولكنَّ إيوانا قامت بزيارتها سرّاً، وقدَّمت لها وعاءً من الماء وقطعة رغيفٍ وهي تقول: ستغضب مني الآنسة دليا لو علمَت!

أكلت داناي بسرعةٍ وروَت عطشها، ثم سألت: كيف هي قدَمُ ياني؟

أجابتها إيوانا: لا تقلقي، إنه يرتاح الآن في حجرته، ويستمتع بالرسم!

أنهت داناي طعامها وسألت بقلقٍ بعد أن تنهدت: هل ما زالت الآنسة غاضبةً مني؟

أمالت إيوانا شفتيها: الآنسة دليا طيبةٌ وكريمةٌ للغاية، ولكنها تصبح قاسيةً عندما تغضب!.. عليكِ أن تطلبي العفو منها غداً!

❁❁❁

(بانسيلينوس)

كان آرميل ملقىً بإهمالٍ في تلك العربة التي ظلَّت تتأرجح مع نتوءات الطريق، وكانت يداه مقيدتين خلف ظهره، وفمه مغلقًا بقطعة قماش. نظر رجلٌ من الفيركولاس إلى أحد بيوت الفلاحين على الطريق، وقال: إننا عطشون أيها القائد زيس!.. هلّا سمحت لنا؟

أوقف أرام جواده، ثم أشار لهم بالسماح، فنزل مصاصو الدماء عن خيولهم بنهمٍ شديد، ورأى آرميل أعينهم الحمراء المُشعَّة وهم يركضون بهمجيةٍ نحو ذلك الكوخ، وبعد لحظاتٍ بدأ يسمع صرخات سكَّانه، عندما اقتحمه وحوش الفيركولاس، وبدؤوا بإرواء عطشهم من الدماء، حاول آرميل إبداء اعتراضه، ولكنَّ قطعة القماش على فمه لم تسمح له بالكلام، أخذ ينظر إلى أرام ويحاول ضرب أرضية العربة احتجاجاً على ما يفعله الفيركولاس بأولئك البشر الأبرياء، إلى أن خرج أحد مصاصي الدماء من الكوخ واقترب حاملاً وعاءً تتقاطر الدماء منه، ورفعه باحترامٍ نحو أرام الذي ما زال

يعتلي جواده، فالتقط الوعاء وتجرَّع ما فيه، ثم ألقاه على الأرض بإهمال. وخرج الفيركولاس من الكوخ وقد أشعلوه بالنيران ليُخفوا آثار جريمتهم البشعة، ونظر أحدهم إلى عينيْ آرميل الغاضبتين، ثم أشفق عليه وقدَّم له وعاءً دمويّاً، وفور أن أزاح القماش عن فمه ليدعه يشرب، صاح آرميل غاضباً: لمَ تفعلون ذلك؟!.. كيف تهاجمون الآمنين في منازلهم؟!

أعاد الرجل قطعة القماش بعنفٍ وهو يقول ضاحكاً: يبدو أن هذا المختار ضعيفٌ جدّاً!.. إنه لا يريد مشاركتنا الوليمة، يبدو أنه يقتات على دماء الحيوانات فقط!

ضحك بعض مصاصي الدماء وهم ينظرون إليه بتهكم، حتى قال أحدهم: سيخيب ظن الزعيم بالتازار عندما يراه!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي في غاية انهماكها بالعمل على حياكة الفستان الجديد وفقاً لطلب الملكة، وكانت تُركِّز كل طاقتها وإبداعها في ابتكار تفاصيل ذلك الفستان، فطموحها كبير، وحماسها شديدٌ لإثارة إعجاب أفروديت، لكنها لم تكن تتوقع أن إيانويل سيقتحم عزلتها فجأةً ويشتت تركيزها، ليلمس وجنتها قائلاً: اشتقت إليكِ!

التفتت إليه بذهول، ورأت كيف بدَت عيناه حنونين على غير العادة، فخفق قلبها بعنف، وألقت بنفسها بين أحضانه دون تفكير، وتشبّثت بثيابه بقوةٍ بينما أجهشت بالبكاء: لا تبتعد، لا تبتعد عني أبداً!.. أنا آسفة على كل ما فعلته، ولكن، لا تعاقبني بهذا الشكل، أرجوك يا إيانويل!.. فإنني لا أحتمل قسوتك!

قام بلفِّ ذراعه حولها، وابتسم بهدوء، ثم قال: أنتِ آنستي، لي.. وحدي!

❁❁❁

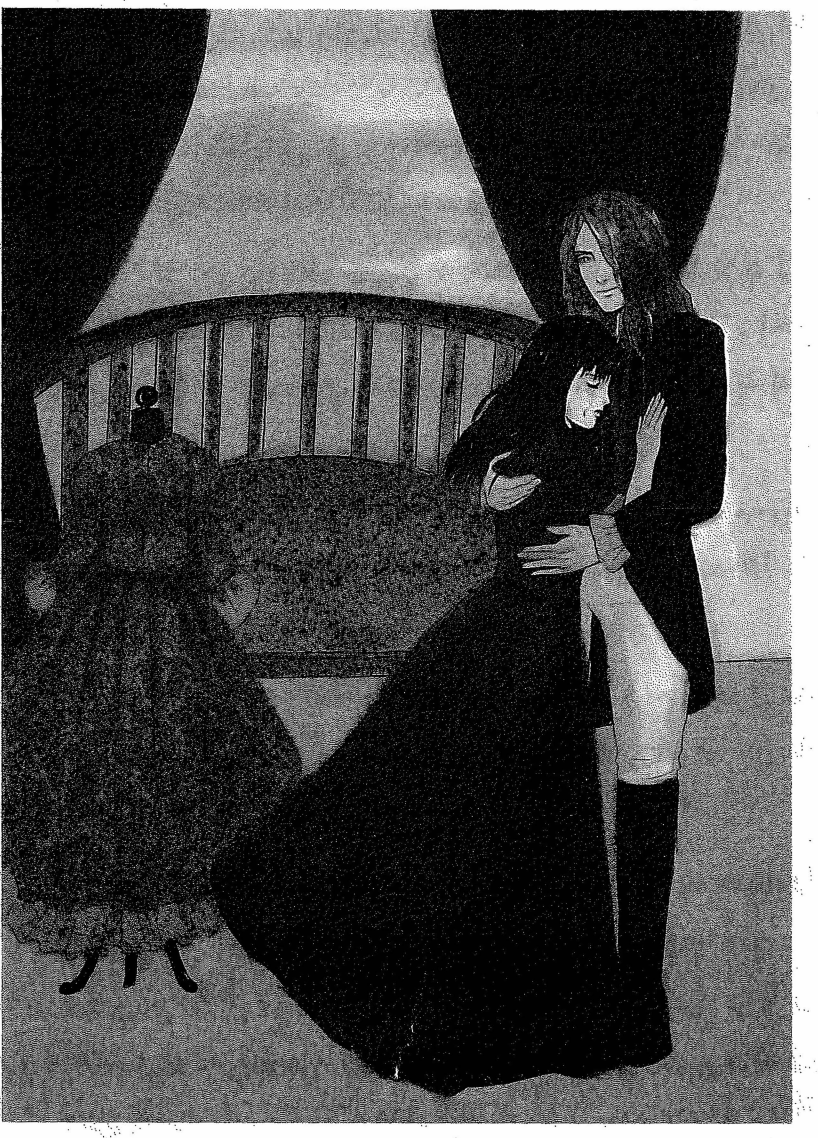

(بانسيلينوس)

بالقرب من أحد المستنقعات، كان آرميل يُطلّ برأسه طوال الطريق، ليشاهد الأماكن التي يمرّ بها، محاولاً التعرف عليها وتخزينها في ذاكرته، إلى أن وقعت عيناه على تلك الشجرة، كان ارتفاعها يصل إلى ثمانية أمتار، وكانت ثمارها البيضاء والصفراء تنمو على شكل عناقيد متدلِّية، تعرَّف آرميل على نوع تلك الشجرة علىَ الفور، فقد قرأ عنها في أحد الكتب، فابتسم في أعماقه، ولمعت أفكارٌ رهيبةٌ في ذهنه..

ثم أشار برأسه لأحد الحراس طالباً السماح له بأن يتحدث، وبعد محاولاتٍ أزاح الرجل قطعة القماش عن فم آرميل الذي قال بانفعال: أوقفوا العربة حالاً!.. أحتاج لقضاء حاجتي بشدة!!.. لا يمكنني الاحتمال أكثر!!.. سأفعلها في العربة إذا لم تتوقفوا!!

امتعض الرجل، ثم طلب الإذن من أرام لإيقاف العربة موضحاً السبب، وبعد موافقة أرام، نزل آرميل بصحبة اثنين منهم، وتوجَّه نحو تلك الشجرة وهو يقول: هناك!.. إنه مكانٌ مناسب!

لم يَقبل الرجلان باختيار آرميل لذلك المكان البعيد، لكنهما تماشيا مع رغبته في نهاية الأمر بسبب عجلته، وفور أن توقف آرميل أمام الشجرة التفت نحوهما: إلى ماذا تنظران؟!.. استديرا للناحية الأخرى!

وبعد أن التفت الرجلان بتثاقلٍ ليبعدا بصريهما عنه، ظلَّ آرميل يركز ناظريه عليهما، ولا تزال يداه مقيدتين خلف ظهره، ولكنهما كانتا تقطفان ثماراً من خلفه سرّاً..

خيَّم الفيركولاس للراحة إلى حين شروق الشمس، واقتاد اثنان منهم آرميل عبر أرض التخييم ليُجلساه قرب جذع شجرة، وفور أن مرّ بجوار النار التي أضرموها للدفء والشواء، أخرج الثمرات من ثيابه، وألقاها في النار بحركةٍ سريعةٍ وخفة يد، آملاً ألّا يكون أحدٌ قد لاحظه.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الثاني

«٢»

https://t.me/fantazynov

وبعد مرور ساعات..

كان الفيركولاس يأكلون شواء صيدهم، ثم يتناوبون في النوم، وقد خلعوا قبعاتهم السوداء..

بينما جلس آرميل مطأطئ الرأس ودافناً أنفه بداخل ثيابه ليحبس أنفاسه، ومغمضاً عينيه ليتظاهر بالنوم، وحينما بدأ يسمع أصوات صرخات الفيركولاس، فتح عينيه ورآهم يتخبَّطون في محاولاتٍ مستميتةٍ للتنفس، وكانوا يسعلون دماً!

نهض آرميل على الفور وقد بدأ يشعر بالاختناق مثلهم، واتجه نحو أقرب رجلٍ منه، والتقط خنجره ثم دفعه بعيداً، واستخدم الخنجر في قطع الحبال التي تُقيّده، ثم هجم على رجلٍ آخر واستولى على سيفه، ولم يكتفِ بذلك، فقد أدخل يده في ثياب الرجل ليلتقط صرَّةً من المال، ورفعها أمام وجهه المنهك، وكان يقول بسخريةٍ متصنعاً التهذيب: عذراً، أنا أستعيد نقودي فقط!

وفي غمضة عين، أخذ يركض بين المصابين ويجمع قبعاتهم السوداء بسرعةٍ خاطفة، حتى توقف أمام أرام الذي كان يسعل منهاراً على الأرض، حيث رفع رأسه ونظر إلى آرميل من بين خصلات شعره الطويلة، وحاول النهوض ليمسك به، وظلّ آرميل يرمقه بسخرية، فهو يعرف بأن خصمه لن يتمكن من فعل شيءٍ في اللحظة الراهنة، وبالفعل سقط أرام على الأرض مجدداً، ورفع رأسه لينظر إلى آرميل بعينين تشعان احمراراً وغضباً..

وعندما التقت أعينهما، ابتسم آرميل بانتصار: قد تكون أقوى مني فعلاً يا أرام، لكنني بالتأكيد أذكى منك!!

ثم ولّى هارباً، وركض كثيراً بكل ما أوتي من طاقةٍ وسرعة.. إلى أن اطمأن إلى أنه ابتعد مسافةً كافية، فتوقف ليستعيد أنفاسه..

ثم أخذ يفكر وابتسامةٌ ماكرةٌ ترتسم على شفتيه: «شجرة السُّمَّاق السام!.. لقد نجحَت الخطة تماماً بعد أن وضعتُ ثمارها في النار!.. فالدخان المستنشق عن طريق حرق السماق السام، يسبب وذمةً رئوية، حيث يدخل الدم إلى الرئتين ويؤدي إلى وفاة الضحية من الاختناق!».

ثم ضحك، وأخذ نفساً عميقاً وقال: «ولكن في النهاية، إنهم مصاصو دماء، ولن يقتلهم ذلك!.. فلن يستغرق الأمر وقتاً حتى يستعيدوا عافيتهم تماماً!».

نظر إلى مجموعة القبعات التي كان يحملها على كتفيه، وألقى بها في النهر وهو يفكر: «تبدو كبيرةً للغاية، ولم أرَ مثل نوعها قبلاً!.. إنني أشاهدهم يرتدون هذه القبعات مع شروق الشمس، ويزيحونها عن رؤوسهم عند غروبها، أعتقد أن لها أهميةً ما بالنسبة لهم، أمرٌ ما يتعلق بأشعة الشمس!.. قد تكون الأشعة مؤذيةً أو حتى قاتلةً، وهذه نقطة ضعفهم!.. لهذا سيكون من الأفضل ألّا تبقى القبعات بحوزتهم، كي يتعطّلوا عن تعقُّبي!».

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

في مزرعة مونبيتيت..

حضّرت لها إيوانا شاي الأعشاب، ثم سألتها وهي تسكبه لها: ماذا بشأن داناي؟.. لقد مضى يومان منذ احتجازها في الإصطبل!

أمسكت دليا بالكوب وقالت: يمكنها الخروج، أرجو أن تكون قد تعلَّمت درساً عن قوانين هذه المزرعة!

وبعد مدةٍ قصيرة، جثت داناي أمامها، وكانت تتوسل إليها: لقد أخطأت، آنسة دليا!.. أرجو أن تسامحيني!

نظرت دليا إلى حالتها المزرية، ووجهها الشاحب، ثم قالت: لن أكون رحيمةً في المرَّة القادمة، لا تقتربي كثيراً من ياني، فذلك أفضل لسلامته!

أومأت داناي برأسها طاعةً، ثم التقطت كأس الماء من إيوانا، وأخذت تتجرعه بعد عطشٍ شديد.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ بوليشولي)

بينما كان ألباين يُعاين سريَّته بعد تخييم الليلة الماضية، اقترب أرماند ووقف بجانبه، ثم أسرَّ إليه بصوتٍ خافت: حافظ على منصبك، سيرجنت مونبيتيت، ولا تجعل فضولك يؤدي إلى هلاكك!

كانت زوي تُجهّز سرج جوادها ونظرت إلى ألباين الذي تغيرت تعابير وجهه وبدا أنه يحاول إخفاء انزعاجه، فهمست لألارد: لا يبدو السيرجنت ألباين بخيرٍ مؤخراً!

نظر ألارد ناحية ألباين، ورأى الكونت أرماند يخطو مبتعداً عنه بعد ذلك التهديد، فقال: إنما العلاقة بينه وبين الكونت، هي التي لا تبدو بخير!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كان ياني سعيداً في ذلك الصباح عند رؤيته لداناي أثناء عودتها للعمل في الحقول، ركض نحوها وقام بجذبها بلهفة: فلنذهب لركوب الخيل، هيا!!

رفضت داناي وحاولت إفلات يدها منه وهي تتذكر أوامر دليا الأخيرة: كلّا، ياني!.. لا أستطيع مرافقتك!

لكنَّ إصرار ياني والسعادة البريئة على وجهه جعلاها تلحق به مرغمةً، وركضا باتجاه الإصطبل، وساعدته على الركوب ثم ساعدها لتجلس خلفه وتتشبث به، وانطلقا بالجواد بين حقول المزرعة، وكانا يضحكان بسعادة، بينما تداعب الريح وجناتهما، وأثناء ذلك، ارتفع الجواد بحافريه الأماميين عن الأرض، ولم تكن داناي قد تشبثت جيداً حينها، فسقطت إلى الخلف مرتطمةً بالأرض، وتدحرجت عبر التلّ..

صرخ ياني مذعوراً: داناااااي!!

شاهدت داناي عالماً آخر يمرُّ أمام عينيها ويشقُّ ذاكرتها بعنف:

{امرأةٌ نبيلةٌ شقراء، تعتمر قبعةً فاخرة، وتجلس على مقعدٍ خشبيٍّ في حديقةٍ جميلة، تحت ظلِّ شجرةٍ تتدلى منها أرجوحة، وتضع أمامها قدحًا من الشاي على منضدةٍ زجاجية، كانت تنظر إلى داناي وهي تقول بلطف: اذهبي للعب بالأرجوحة، هيّا عزيزتي!}.

فتحت داناي عينيها وهي ترى خيال ياني البلّوري أمامها، كان يحاول إفاقتها ويمسح دموعه فور أن لاحظ أنها استعادت وعيها، فسألها بقلق: داناي!!.. هل أنتِ بخيرٍ؟!.. أنا آسف، آسفٌ جدّاً!

جلست بصعوبةٍ وأمسكت برأسها لتُهدئ ذلك الدوار، ورفعت طرف ثوبها لترى بعض الجروح الطفيفة على ساقيها، ثم قالت: أجل، أظن أنني بخير!..لا تقلق عليَّ يا ياني!

ساعدها على الوقوف ثم اتجه الاثنان نحو الجواد، فقالت: فلنعد قبل أن تعرف الآنسة!.. من الجيد أنني أنا من سقط ولست أنت يا ياني!

نظر إليها مستغرباً، فقالت: أنت محظوظ، لأنك جوهرةٌ ثمينة، بالنسبة لها!

وخلال طريق عودتهما إلى الإصطبل، كانت داناي تفكر في ذلك الوميض الذي عاد من أعماق ذاكرتها، وظلَّت تمسك برأسها بتعجب، فقد كان يؤلمها بشكلٍ مزعج، وأدركت

أنه قد ارتطم بالأرض بشدَّة، مما جعلها ترى ذلك الحُلم الجميل، الذي تمنت لو لم تُفِق منه..

أغلق ياني باب الإصطبل بعد أن أعاد الجواد إلى مكانه، وظلّت داناي تقف هناك، شاردة الذهن: «تلك النبيلة، هل كانت من ذاكرتي فعلاً؟.. أم أنها مجرد هلوسةٍ وحلمٍ سريع؟.. هل يمكن أن أستعيد ذكرياتي كاملةً إذا ما ارتطم رأسي مجدداً؟.. آه!!.. هذا الألم لا يُحتمل!».

قطعت إيوانا تفكيرها، عندما نادت عليها: ما الذي تفعلينه عند الإصطبل يا داناي؟

ولكنها انتبهت إلى وجود ياني، ففهمت الأمر، وقالت: أنتِ تحبين الوقوع في المشكلات!

وبعد أن لاحظت ارتباكها، قالت: بحثتُ عنكِ في الحقول، يجب أن ترافقيني الآن، سنذهب للتبضُّع لمخزون الشتاء!

❁❁❁

(بانسيلينوس)

في مكانٍ ما من مملكة بانسيلينوس الواسعة، ظلّ آرميل يجري حتى قطع مسافةً شاسعة، ثم توقف ليلتقط أنفاسه ويصطاد حيواناً ليشرب دماءه ويستعيد طاقته..

وبعد أن عثر على أرنبٍ بريٍّ وأروى ظمأه منه، قام بدفنه حتى لا يُبقي أثراً يسمح لأرام والفيركولاس بتتبُّعه..

وفي مكانٍ ليس ببعيد، استعاد وحوش الفيركولاس عافيتهم ونهضوا خلف أرام، مركِّزين جميع حواسهم ليتعقبوا آرميل، وبما أنهم لم يتمكنوا من السير في النهار، لأن آرميل أخذ قبعاتهم السوداء، فكانوا يختبئون من الشمس، ويكملون سيرهم في الليل، مما منحه وقتاً كافياً للهرب والابتعاد مسافةً أكبر.

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

كان بالتازار متوتراً لتأخر وصول المجموعة التي تصطحب آرميل، إلى أن وصل أحد رجاله حاملاً خبر هروب آرميل، فاجتاحه الغضب وبدأ بتحطيم المكان من حوله وضرب جنوده المحيطين به، فلحقت به كالغينيا لتحاول تهدئته، ولكنه لم يكن يستمع إليها، إلى أن صرخت به: سيدي!!

توقف بالتازار في مكانه والشرارُ لا يزال يتطاير من عينيه، فقالت: يجب أن تهدأ!.. لا يمكننا انتظار المختارين أكثر من هذا، فعلينا أن نبدأ بالتنفيذ!.. سيدي!.. موعد القمر الأحمر سيحلّ هذا الشتاء!

كان الجندي المرسَل يقف مرتعشاً من غضب بالتازار الذي تقدَّم نحوه بخطواته السريعة الانفعالية وقال: اذهب لإبلاغ زيس بأوامري، يجب أن يعود إلى الكهف لاحتياج الفيركولاس لوجوده!!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كانت داناي تحمل بعض المشتريات وتسير خلف إيوانا في سوق البلدة، ويرافقهما أحد المزارعين وهو يجرُّ عربةً صغيرةً خلف ظهره، وقد ملأتها إيوانا بالمؤونة الشتوية للمزرعة، وبعض المواد التي يستخدمونها في الطهي والزراعة. وبينما كانت داناي تُقدِّم الآرغتات للتاجر، شعرَت بوجود شخصٍ ما يراقبها من خلف أرفف الدكّان، فالتفتت لتتحقق، لكنها لم تجد أحداً. وحدَّثت نفسها: «ربما أتخيل!.. فبعد أن ارتطم رأسي، أصبحتُ أهلوس فعلاً!».

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في ردهة منزل آل بونيفيل..

كانت مارغريت في زيارةٍ لمنزل عائلتها، حيث جلست مع الدوقة ميرابيل لاحتساء الشاي بينما تتبادلان الأحاديث كعادتهما، ثم ارتشفت من قدحها وسألت: لم نعُد نرى أغلاي في جلسات الشاي؟

أجابت ميرابيل: أصبَحت تعكف على عملها بالحياكة طوال الوقت، ولا تخرج من الحجرة إلَّا لزيارة الأميرة، حتى إنها لم تترك مساحةً كافيةً لحاجيات ابنتي فيوليت!.. فستان الملكة يأخذ جلَّ اهتمامها، إن أبواب الحظ تُفتح أمامها بأعجوبة، ولكنها لا تزال تُنكر الجميل!

وفي الرواق، توقفت باربرا عندما سمِعت حديثهما، ثم ابتسمت بخبث.

بينما في حجرتها، فاجأها إيمانويل عندما جذبها: أغمضي عينيك!

نظرت إليه باستغراب: إيمانويل، ما الذي تفعله؟

لكنه أجبرها على إغماض عينيها، عندما قال بصوتٍ عذب: آنستي، عندما أطلب منكِ إغماض عينيكِ، فستغمضينهما فوراً!

استسلمت لطلبه وأغمضت عينيها، ثم أحسّت بأنامِله تتخلل خصلات شعرها، وقام بتثبيت شيءٍ ما على جانب رأسها، ثم لفَّ جسدها باتجاه المرآة وقال لها: والآن، افتحي عينيكِ الجميلتين!

فتحت عينيها لترى دبوس شعرٍ جميلاً مزيَّنًا بالألماسات المتلألئة، يرفع طرفاً من شعرها لتظهر رقبتها والقرط الذي يُزيِّن أذنها..

فهمست بسعادة: إيمانويل!.. هذا الدبوس، غايةٌ في الجمال!

ابتسم لها عبر المرآة، فالتفتت إليه، وقالت: كم أحبك!

ثم تذكرت كلمات باربرا لها:

{لن يتزوجكِ إيمانويل، فهذا الأمر محرمٌ في عائلة بونيفيل، أن يتزوج أحد أفراد العائلة من البشر، حفاظاً على استمرار نسلنا ودمنا النقي!.. هل نسيتِ ما حدث بين والدتكِ والعم كوتريه؟.. هل تنوين تكرار القصة؟!

وأردفت بكلماتٍ بدَت كصاعقةٍ هزّت قلب أغلاي: إيمانويل يعبث معكِ فقط، وفي نهاية الأمر سيتزوج مصاصة دماء، والأرجح أنها ستكون فيوليت!.. أفيقي يا أغلاي!!}.

سألته: إيمانويل، كيف ستكون نهاية.. عشقنا؟

رفع ذقنها بأنامله، وتأمل عينيها لوهلةٍ، ثم قال: أعلمُ عمّا يدور في ذهنكِ، لا تُرهقي هذا الرأس الجميل بكثرة القلق!.. ستكون خطوةً متهورة، لكني سأتحدث مع كبار العائلة.. عن رغبتي بالزواج بكِ!

قالت بيأسٍ وحيرة: سيرفضون هذا الزواج لأني بشرية، إنني أعيد القصة التي حدثت مع والدتي!

أمسك بوجنتها وقال: سنهرب ونتزوج سرّاً إذاً!.. أريد احتضان جسدكِ الدافئ بين يديَّ كل ليلة!.. ولن يحدث ذلك ما لم تكوني زوجتي!

ظهرت ابتسامةٌ خجلةٌ على مُحيّاها، واطمأن قلبها..

وخلف الباب، كانت باربرا وفيوليت تتنصَّتان على خلوَتهما، التفتت فيوليت بعينين يائستين، وقلبٍ معذَّب، وصوتٍ يقتله الحزن: باربرا، سيتزوجان!!.. ساعديني، افعلي شيئاً، أرجوك!

نظرت باربرا إليها، وقالت بثقة: لن يحدث هذا!.. وسترين!

ثم نزلت على الفور، وتحدثت مع والدتها والدوقة: يتعيّن علي مصارحتكما!.. في صغَري، كنت أتجسس على اجتماع كبار العائلة مع الجد إيفرانور، وسمعتُ خطط الكبار حول زواج أبناء العائلة، وفهمتُ أنني سأصبح زوجةً لغيلبرت!

ذهلت مارغريت، وحزنت على ابنتها: ألهذا وقعتِ في عشق غيلبرت؟.. باربرا، لم أكن أعلم أبداً بأنكِ..

لكنَّ باربرا قاطعت شفقتها عندما سألت: متى سيحين الوقت؟.. فمن الأفضل أن تُعجّلوا به، لأن بعض أبناء العائلة قد بدؤوا بالانجراف..

سألتها ميرابيل: ماذا تقصدين؟.. هل يمكن أن تكون ابنة كوتريه؟

غضبت مارغريت بعد أن فهِمت مقصد ابنتها: هذا خطأ الدوق إيبير، فهو من أضاف للنار الحطب!

❁❁❁

في اليوم التالي..

وصل آرميل إلى لورديور، وكان يُحدِّث نفسه: «أعلمُ أنه من الحماقة العودة إلى لورديور، فهي ليست الوجهة الصحيحة للهرب من الفيركولاس، ولكن يتوجَّب علي الاهتمام ببعض الأمور هنا!».

حاول الاستعلام والتقصّي عن زوي ليُحذِّرها من أرام والفيركولاس، وعندما علِم بأنها لحِقت بالجيش إلى الحرب، شعر بمزيجٍ متضاربٍ من الخيبة.. والاطمئنان.. والدهشة.. في آنٍ واحد، فكانت خيبته لأنه فشل في تحذير صديقته مرتين، واطمئنانه لأنها بعيدةٌ جدّاً عن بالتازار، أما دهشته.. فلأنها تعمل كجنديٍّ وتخاطر بهويتها كفتاة.. ومصاصة دماء!

فكر لبرهةٍ: «ما الذي يدفع فتاةً لمخاطرةٍ كهذه، عدا الحب!!.. الحب يُعمي ويدفع

للجنون، ومن ثم التضحيات المتهورة!.. ستُضحِّي من أجل شخصٍ تعرفه جيداً، والأرجح أنه أحد أصدقائنا القدامى، ولا يوجد سواه، الوحيد الذي كان يطمح للعمل في الجيش، ألارد!».

قُطعت أفكاره عندما شعر بأعينٍ تراقبه وسط الزحام، وكان يدرك أن أرام ما زال يترصَّد له، وأنه سيستمر بتعَقُّبه إلى أن يقبض عليه، لذلك قرر أن يختبئ في مأوىً مناسب، إلى حين أن يفقد أرام أثره ويغادر لورديور، ثم يتمكّن آرميل من الخروج من مخبئه، ليعمل على المهمَّة التي عاد إلى العاصمة من أجلها..

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

استيقظت أغلاي بطاقةٍ ونشاط، لتُكمل عملها على فستان الملكة، ولكنها تفاجأت عندما وجدته ممزقاً!

فتراجعت إلى الوراء وهي تحدّق به بصدمة، ثم اقتربت منه وجَثَت لتلتقط قصاصاته المتساقطة على الأرض: الأقمشة الفاخرة التي استلمتُها من الملكة!!.. ماذا سأفعل؟!

وسرعان ما تبدَّلت تلك الصدمة إلى غضبٍ شديد، فهناك من تعمَّد تمزيقه، ولا يوجد سوى شخصٍ واحدٍ في هذا المنزل، يحسدها على مهارتها، ويتسبب لها بالمتاعب طوال عملها بالحياكة. فنهضت وكانت عيناها تضيقان حقداً، وضغطت على قبضة يدها بقوةٍ لكبت غضبها، ثم اتجهت إلى حجرة الدوقة ميرابيل.

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

بعد أن ضاقت ذرعاً، وجَّهت أغلاي اتهامها للدوقة ميرابيل مباشرةً هذه المرة، لكنَّ الدوقة استنكرت واستشاطت غضباً من تطاول أغلاي، مما جعل المشكلة تزداد حدةً بينهما، وعندما عادت أغلاي إلى حجرتها، استقبلتها فيوليت بتوتّرٍ مفضوح، ففهمت أغلاي الأمر، والتفتت لتجد باربرا تقف أمام الفستان الممزق، وكانت الأخيرة تعقد ذراعيها بينما تتأمل شقوقه: يا ترى، هل سيُعجِب الملكة هكذا؟

تقدَّمت أغلاي نحوها بغضب: أنتِ الفاعلة إذاً؟

ابتسمت باربرا: حسناً، أنتِ من بدأ هذه اللعبة يا أغلاي!.. فأنتِ من مزَّق ثوبي في تلك الحفلة، وأمام الجميع!.. لا يمتلك أحدٌ تلك المهارة سواك!

ثم أكملت بنبرةٍ حاقدة: لقد جعلتِني أضحوكة البلاط لإرضاء ديميتير!.. وأنا الآن سأجعلكِ فاشلةً أمامهم، بعد أن خذلتِ الملكة!

ثم وقفت أمامها بتعالٍ: وسنرى كيف ستساعدكِ الأميرة ديميتير في هذا!

نظرت أغلاي إليها بحدَّة: يا لكِ من حقيرة!

وفجأةً تنبَّهت، وأدركت أنها اتهمت الدوقة ميرابيل خطأً، وأنها قد أفسدت علاقتها بها للتو، وستُغضِب محبوبها إيفانويل لهذا السبب. وفي الزاوية، ظلَّت فيوليت تشاهد بصمت، وودَّت لو تتمكن من تهدئة الأمور بينهما، لكنها كانت تخشى انفعال باربرا عندما تظن أنها تنحاز ضدها، لذلك فضَّلَت الصمت، وظلّت تُنقِّل ناظريها بينهما بارتباك، إلى أن قالت باربرا بخبث: أرى أنكِ تسرَّعتِ في التوجه إلى حجرة الدوقة، وهذا بالضبط ما كنتُ أريده!.. إذا كرهتكِ الدوقة، فسيكون بقاؤكِ في المنزل مستحيلاً!

لم تتمالك أغلاي نفسها: كنتِ تخططين لإفساد علاقتي بالدوقة ميرابيل؟

وكانت صدمة أغلاي أكبر عندما أجابتها باربرا: أقنعتُها أنها تستحق نصيباً مما بذلَتهُ لدعمكِ!.. فعندما ترتبط تصاميم الثياب مع اسمها، ستعلو سُمعتها في أوساط النبلاء!.. ألا تستحق الدوقة مقابلاً كهذا على جمائلها معك؟

ثم ضحكت بلذَّةٍ قبل أن تغادر، مما جعل أعصاب أغلاي تفور، وحاولت فيوليت تهدئتها: كان تصرفاً شنيعاً من باربرا، أنا أفهم هذا!.. أرجو أن تهدئي يا أغلاي، سأتحدث مع والدتي، فهي لن تقبل أن يتم التلاعب بها!

سخِرت منها أغلاي: ألم تقرري التدخل إلّا بعد رحيل تلك السافلة؟.. لم تجرئي على قول تلك الكلمات أمامها، فأنتِ جبانةٌ يا فيوليت وستبقين كذلك!.. ابتعدي عن طريقي!

ارتدت قبعتها وعباءتها الثقيلة، وخرجت متجاهلةً سؤال فيوليت: إلى أين تذهبين؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

وصلت داناي إلى وكر الغربان، حاملةً الذرة والخبز كما اعتادت أن تفعل، واطمأنت على صحة رايموند بعد الإصابات التي تعرض لها، ثم قدّمَت له الرسالة وهي تقول: جئنا أنا وياني في ذلك اليوم لنُطلِعك على هذه، إنها رسالةٌ من أصدقائنا في لورديور، ألارد، زوي.. وأغلاي، لقد التقاهم ياني في القصر الملكي!

خفق قلبه عندما سمع الاسم الأخير، وكانت داناي تتوقع هذا، فابتسمت وراقبته وهو يقرأ..

(رايموند وداناي العزيزين،

سعِدنا برؤية ياني في قصر لورديور وسماع أخباركما، نتمنى أن تكونا بخير،

ألارد وزوي سيذهبان إلى الحرب في رومبيانيا، وأغلاي تقيم في منزل عائلتها، آل بونيفيل، وستسرُّ بلقائكما إذا ما قدِمتما إلى العاصمة.

اعتنيا بياني، نتوق لرؤيتكما.)

حبس رايموند تنهيدته، لكنه ما لبث أن أطلقها، ثم نظر إلى داناي: أعتقد أنني سأذهب في زيارةٍ إلى لورديور عمّا قريب..

ثم عبّر رايموند عن عدم اتفاقه مع سياسة دليا مونبيتيت، واستنكر محاولاتها الغريبة لامتلاك ياني، فأيّدته داناي وهي تتذكر حبسها في الإصطبل: بالفعل، إنها تصبح قاسيةً إذا ما تعلق الأمر بياني!.. ليس ياني فحسب، بل كل الأشياء التي تحبها!.. إنها تحبه يا رايموند، وهو يعيش في حالٍ جيدةٍ بفضلها، فهي تعتني به وتحرص على بقائه آمناً.. وهذا ما يطمئنني!

ولكنَّ الرضا لم يكن بادياً على وجه رايموند، فالتقط السلّة منها، ثم قال وهو يأكل الذرة: عاد أحد الغربان اليوم من بلدة أورانوس، قال بأنه شاهد مجموعة رجالٍ هناك، تنطبق أوصافهم على ما ذكره ياني عن أولئك الذين كانوا يرافقون أرام في طريقه إلى إيمبياسو، قبعاتٌ سوداء كبيرة، وثيابٌ داكنة..

وبعد أن لاحظ اللهفة في عينيها، قال محذِّراً: ولكنَّكِ لن تفكري بالذهاب إلى هناك!.. تعلمين بأن رجاله عنيفون!.. لقد قتل آريس، ولن يتردد في قتلكِ أنتِ أيضاً!

أومأت داناي برأسها بسكِينةٍ وهدوء: اطمئن، لن أذهب!

وأثناء طريق عودتها إلى المزرعة، شعرت بوجود شخصٍ ما يراقبها، ولكنَّها تحققت، من أن هذه المرّة.. لم تكن هلوسة!

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

وصلَت أغلاي إلى جناح الأميرة ديميتير، وطلبت لقاءها لأمرٍ عاجل، فسمحت ديميتير بإدخالها، وأمرت الخدم بتقديم الشاي لها، فحنت أغلاي رأسها: أرجو أن تعذريني، سموكِ، فلستُ بحالةٍ تسمح لي بالاسترخاء وشرب الشاي..

ومن خلال عينيها ونبرة صوتها المرتعشة، لاحظت ديميتير الغضب المكبوت في داخل الفتاة، فأومأت لها بالجلوس، ثم سألت: أخبريني؟.. هل هم آل بونيفيل، أم هي باربرا مجدداً؟

خلعت أغلاي قبعتها وحدَّقت في عيني الأميرة: لقد تمادت باربرا، ويجب أن يضع أحدهم حدّاً لتماديها!.. والشخص القادر على هذا، والأكثر نفوذاً ودهاءً، هو أنتِ.. سمو الأميرة!

رفعت ديميتير أحد حاجبيها، وسألت: وما الذي فعلَته باربرا هذه المرة؟

أغلاي حانقةً: مزقَت باربرا فستان الملكة الذي أعمل عليه، انتقاماً لمَا فعلتُه بثوبها ذلك اليوم، ولكي تُفسد العلاقة بيني وبين الدوقة ميرابيل، وتجعلني منبوذةً في منزل العائلة!.. فضلاً عن كونها تحاول إبعادي عن الحظوة بإعجاب الملكة، والوصول إلى المكان الذي أطمح إليه!

ثم قالت بيأسٍ ونفاد صبر: لقد وعدتُ السيدة أديلايد بتسليمه لها بعد يومين!.. إن الوقت غير كافٍ أبداً لحياكة فستانٍ جديد!

مكثت ديميتير هادئةً تفكر للحظاتٍ بابتسامةٍ متعجبة، ثم قالت بثقةٍ، وكانت عيناها تلمعان بغموض: لقد أتيتِ إلى المكان الصحيح يا عزيزتي!.. إنني أحمي أصدقائي الأوفياء دائماً!

في المجلس الملكي..

كان الدوق إيبير بونيفيل يجلس إلى يمين الملكة ليعاونها في شؤون المملكة، ويناقشها بالقضايا التي تندرج ضمن نطاق صلاحياته، وقد قدِم الناس من أرياف لورديور ومن مناطق بعيدة ومتفرِّقةٍ من أنحاء بانسيلينوس بعد أن عجز دوقات المناطق عن حلّ قضاياهم، وكانوا يتوافدون إلى المجلس الملكي على جماعاتٍ، يشرحون أوضاع بلدَاتهم وقُراهم، ويطلبون مساعدتها، وكان القاضي يجلس إلى يسارها ويستلم القضايا القانونية، بينما كان الكاتب يدوّن كل شيءٍ.

نظرت أفروديت إلى مسؤول القصر ومستشارها الخاص بارنباس الذي يقف خلفها وأومأت له، ففهم أوامرها وتقدَّم ليهمس للدوق إيبير: يجب أن ترتاح جلالتها الآن!

أمرَ إيبير بإغلاق البوابة، وطلب من الوفود أن يعودوا في الغد لتنظر الملكة في شؤونهم، ثم وجَّهت أفروديت حديثها إلى إيبير: دوق إيبير!.. إضافة إلى مسؤوليتك كدوق لورديور، ستتولى مهام الكونت أرماند إلى حين عودته!

انحنى لها إيبير: كما تأمرين جلالتك!

ثم رفع رأسه وقال: انطلق أسطولنا البحري هذا اليوم، وسيرسل لنا الكونت تقارير الحرب!

ردَّت أفروديت: لن تكون حرباً سهلة، فبيلزبيل ليس بالندِّ الضعيف!.. لكنني سأضع جميع آمالي على الخطط التي وضعناها، وعلى مهارة الكونت أرماند القيادية، وخبرة الجنرال أبوليون العسكرية، وأهمية الأمير أرجوس السياسية.

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

كانت العربة تنطلق بباربرا نحو منزل آل بونيفيل، وعندما عبرت طريقاً كثيف الأشجار، وخالياً من الحياة، تفاجأت باربرا عندما توقفت العربة فجأةً وسمعت صهيل الخيول، فأطلَّت لتسأل السائس: ما الأمر؟

ولاحظت نظرات الخوف في عينيه، عندما التفت إليها وقال بصوتٍ مُرتعد: إنهم قطاع طرق، سأحاول تعطيلهم، اهربي يا آنستي!!

ذعرت باربرا، وقبل أن تتمكن من النزول من عربتها، أحاط قطاع الطرق الملثَّمون بالعربة من كل اتجاه، وضربوا السائس حتى أفقدوه وعيه!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

خرجت داناي من أسوار المزرعة تحمل صرّة من المال وقائمةً باحتياجات سيدتها دليا من سوق البلدة، وأثناء سيرها لاحظت وجود الشخص الذي استمرَّ يراقبها..

وحدّثت نفسها بتوترٍ شديد: «كيف تمكّن من الوصول إلى المزرعة؟!.. ما الذي يريده مني؟!!».

فأمسكت بقوةٍ بصرّة المال، وأخفتها في ثيابها خوفاً من أن يسرقها، وأسرعت في خطواتها حتى وصلت إلى السوق، ثم التفتت وراءها ولم تجده..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في أحد الأكواخ المهجورة بأطراف العاصمة، جلست باربرا مقيدةً على الأرض، وقد اتَّسَخت ثيابها، وتشعَّث شعرها، إثر مقاومتها لأولئك الخاطفين، وترددت في استخدام قواها الخارقة لحماية نفسها، إلا أنها فكّرت بأن أفراد العائلة سرعان ما سيفقدونها ويأتون لإنقاذها، وأنها يجب أن تتحلى بالصبر وألّا تفسد الأمر بنكث قسَمها وكشف سرّ العائلة..

في البداية كانت تتحدث مع قطّاع الطرق متسائلةً عن سبب هذا الاختطاف: كم تحتاجون من المال؟.. سأمنحكم المبلغ الذي تريدونه، مقابل إطلاق سراحي!

لكنهم كانوا يتحاشون الحديث معها، ثم قاموا بإغلاق فمها بقطعة قماشٍ بعد أن أصبحت مصدر إزعاجٍ لهم، وفجأةً، باغتتها الدهشة عندما رأتهم يفسحون الطريق لدخول شخصٍ ما، وظهرت الأميرة ديميتير من بينهم وخلفها كانت أغلاي، ففهمت أن الاختطاف كان من تدبيرهما، وكانت نظرات الغضب تشتعل في عينيها لعدم تمكُّنها من الحديث..

قالت ديميتير بعد أن وقفت أمامها: إذا أردتِ أن تقف الأمور عند هذا الحد، فيجب أن تقدِّمي اعتذاركِ إلى أغلاي، حالاً!

استَفزَّت تلك الكلمات باربرا، ونهضت وقد مزَّقت الحبال عن قدميها بقوّتها الهائلة كمصاصة دماء، وأزاحت القماش عن فمها، وركضت بسرعة مرعبةٍ هاجمةً على ديميتير، لكنَّ أحدهم قام بمدِّ قدمه في طريقها وأسقطها، وذهل الجميع من ذلك الموقف. ولكنَّ ذهولهم لم يستمرَّ طويلاً، فقد نهضت باربرا بعد سقوطها، ونظرت إلى أغلاي التي وقفت مشدوهةً، فباربرا أظهرت جزءاً من قواها، ولم تعد تكترث لسرّ العائلة.

نطقت ديميتير ساخرةً: أنتِ عنيدةٌ كعادتكِ يا باربرا!.. يبدو أنكِ لم تفهمي أوامري جيداً، لم يكن مطلوباً منكِ المقاومة، فإما الاعتذار أو الاستسلام لتعذيب رجالي!

وكانت تشير نحو الخاطفين الذين رفعوا أسلحتهم وحملقوا بها، فأردفت ديميتير بنبرةٍ خبيثة: لن يعلم أحدٌ ما حدث لكِ بالضبط!.. مجموعة قطاع طرقٍ هجموا على العربة وسلبوا أموال الآنسة النبيلة، وأوسعوها ضرباً، وانتهت القصة القصيرة!

استفاضت باربرا غيظاً: أي دناءةٍ هذه؟!.. لن تتغاضى الملكة عندما تعلم عمّا فعلتِه!.. سأتثبت من أن يصلها كل شيء، لنرى من ستكون الحقيرة!.. سأتحقق من أن تُجرِّي إلى السجن أمام ناظريَّ!

ردّت ديميتير بغطرسة: أعتقد أنك تفهمين تهديداتي بوضوح، لذلك يجدر بك انتقاء كلماتك بعنايةٍ، خصوصاً في مثل هذه اللحظات!

ورفعت يدها آمرةً، فأخرج الرجال أسواطهم تأهباً لتعذيبها، فذهلت أغلاي، وابتلعت باربرا ريقها بتوتر، كانت تعلم بأن الألم سيكون مؤقتاً، لقدرة جسدها السريعة على التعافي، لكنها كانت تهاب الإذلال ولا يمكنها القبول به، ففكرت كثيراً، لن يكون من الحكمة أن تهجم على الأميرة التي تمتلك منصباً رفيعاً وسلطة، ستتم محاكمتها ومن ثم ستخسر دعم عائلتها بسبب نكثها للقسَم، وبعد لحظةٍ من التفكير، رفعت رأسها ونظرت إلى ديميتير، وقررت أن تنطق على مضض، فقالت وهي تشيح بعينيها عن الجميع: أنا.. أعتذر!

لكنَّ ديميتير تقدمت نحوها ورفعت ذقنها بيدها: اعتذري بشكلٍ لائق!

فقالت مُكرهةً: أنا أعتذر من سموك، كما أعتذر من أغلاي..

ابتسمت ديميتير وبسطت يديها إلى جانبيها: هكذا يتم الأمر بكل بساطة، أليس كذلك يا باربرا؟

استمرت باربرا تحدِّق بها بالنظرة الحارّة ذاتها، ولم تنطق بشيء، فهمست أغلاي: أظن أنه يكفي إلى هذا الحد، سمو الأميرة!

نظرت ديميتير إلى عيني باربرا لوهلة، ثم تراجعت نحو الوراء وقالت: لحسن حظكِ أن أغلاي عطوفٌ!.. قوموا بإعادتها إلى منزلها!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

عبَرت داناي سوق البلدة حاملةً مشتريات دليا، وظهر خلفها ذلك المتعقِّب من جديد، فقررت أن تلجأ إلى رايموند للحصول على حمايته، وغيَّرت اتجاه سيرها نحو الأزقة الضيقة، فلحق بها، حينها أدركت كم ينوي الإضرار بها، فأسرعت بخطواتها وأخذت تركض باتجاه وكر الغربان، وكانت تلهث مع أفكارها المضطربة: «بقي القليل، لقد اقتربت!.. سأسرع أكثر!».

وأثناء عبورها للزقاق الأخير، شعرت بخطواته تقترب شيئاً فشيئاً، انقطعت أنفاسها وتعرّق جبينها، وأدركت أن الحاجيات التي تحملها كانت تُرهقها وتُبطئ من حركتها، فقامت بإلقائها ليصبح وزنها أكثر خفةً، مما سمح لها بزيادة سرعتها، وكذلك ازدادت سرعة خطوات المتعقب خلفها، واستمرت تركض حتى لاح لها وكر الغربان، الملاذ الآمن الذي سيجعله يندم على مطاردتها، هذا إن بقي حيّاً ولم يقتلوه. ولكنها رأت الوكر يبتعد ويصغر فجأةً، عندما شعرت بقوة ذراعين تجذبانها من الخلف، وعندما همّت بالصراخ لطلب النجدة: رايمـ..

لم تتمكن من مناداته بعد أن أطبقت يدٌ ضخمةٌ على فمها، وشعرت بضربةٍ خلف رأسها، أفقدتها وعيها.

❁❁❁

في المساء..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لوردِيور)

منزل مارغريت بونيفيل..

عادت باربرا إلى المنزل لترتمي في أحضان والدتها، وكانتا تسترخيان في حوض الاستحمام الساخن وتتحدثان..

أغمضت باربرا عينيها محاولةً الاسترخاء: كان يوماً عصيباً!.. عصيباً جدّاً!

ثم قالت حانقةً: هل نسكتُ بعد كل هذا؟!

فتحت مارغريت عينيها ونظرت إلى ابنتها: فلتتحلي بالصبر يا باربرا!.. لا تنفعلي، ودَعي عقلكِ يعمل قبل عاطفتك!.. سننتقم من أولئك النسوة، ولكن عندما يحين الوقت المناسب!

باربرا غاضبةً: كدتُ أُمزِّق رقبتها بأنيابي!!

انزعجت مارغريت واعتدلت في جلستها بداخل الحوض، ووجَّهت نظراتها الموبِّخة نحو ابنتها: لأنكِ خرقاءُ يا باربرا!.. أخبرتكِ بأن تفكري قبل أن تتسرعي، لأنكِ بتهوركِ كنتِ ستفسدين جميع ما حاولت عائلتنا الحفاظ عليه لسنين!.. هل نسيتِ أنها أميرة؟.. إذا تعرض أحدٌ لأفراد الأسرة المالكة، فسيُعدَم!.. إضافةً إلى أنها تمتلكُ سلطةً للتأثير على قرارات الملكة، وهذا قد لا يضرُّكِ أنتِ فحسب، بل كل آل بونيفيل!.. يمكنها أن تسلب منا ثروتنا، ممتلكاتنا، ومناصبنا!.. وربما تنفِينا من المملكة!

كانت باربرا تنظر إليها بعمقٍ وهي تفكر في كلماتها، فأكملت: بتصرفاتكِ الطفولية في القصر الملكي، وضعتِ نفسكِ ضمن دائرة أعدائها!

انفعلت باربرا: تعلمين بأنها هي التي لم تتركني أعيش بسلامٍ منذ البداية، هل تريدين مني الخضوع والاستسلام لتنمُّرها؟

أمسكت مارغريت بيد ابنتها بعد أن جذبتها من الماء، وقالت بجدية: كلا، اعرفي أعداءكِ جيداً، اعرفي من تواجهين، ثم خططي بحِكمة، ونفّذي، دون أن تتورطي!.. أعدكِ يا صغيرتي، سنلقّنها هي وابنة كوتريه، درساً لن تنسياه أبداً!!

حدّقت باربرا في عينيْ والدتها، ولم ترَ تلك العزيمة النابعة منهما من قبل، فشعرت بالأمان، لأن أمها تدعمها وتساندها.

وبعد أن ساعدتها الخادمة على ارتداء ثيابها، صعدت نحو حجرتها، وأغلقت الباب خلفها، ونظرت نحو شرفتها لترى الهواء يحرِّك الستائر لتتراقص بخفّة، فتساءلت متذمرةً: من ترك زجاج الشرفة مفتوحاً؟.. يا لإهمال الخدم!

وعندما اتجهت لإغلاق الزجاج، شعرت بوجود شخصٍ يقف خلفها، فالتفتت نحوه وقد أشعّت عيناها تأهُّباً للهجوم: لص؟!

وقبل أن تصرخ مُستنجدةً بوالدتها، أغلقَ فمها بيده المغطاة بقفازٍ أسودَ من الجلد، وقال: لستُ لصّاً!.. أيتها الآنسة، اهدئي من فضلك!

ولكنه أُرهِق من قوّتها ومقاومتها العنيفة: يا إلهي!.. سأشرح لكِ الأمر، ولكن اهدئي!!

ثم ابتعد عنها وتراجع إلى الوراء، فهدأ إشعاع عينيها وقد ذُهلت من قوّته، ودفعته بعنف: كيف تجرؤ على اقتحام منزلي وحجرتي؟!.. من أنت أيها السافل؟!.. يمكنني أن أقتلك في ثوانٍ الآن!!

ظهر آرميل من بين الظلال واقترب منها بخطواتٍ متّزِنة، لتتضح ملامحه تحت إضاءة القمر المتسللة عبر زجاج الشرفة، وهو يقول ساخراً: ما الحظُّ الذي وضعني أمام فتاةٍ عنيفة؟

كانت تنظر إليه بحذرٍ واستعدت للهجوم من جديد، لكنَّه قال: أنا شابٌّ نبيل!.. ولستُ هنا كي أسرقكِ أو أوذيكِ، يا آنسة!.. أنا أحتاج مساعدتكِ فقط!!

أرخَت باربرا يديها ببطءٍ عندما سمعت جملته الأخيرة، وانتظرته ليوضح الأمر أكثر.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الثالث

«٣»

https://t.me/fantazynov

وعندما بدأت باربرا بتفحُّص مظهره، قال وهو ينفض ثيابه متظاهراً بالتقزز: استمرَّ هربي لعدَّة أيامٍ مما جعل ثيابي تتسخ بهذا الشكل!

ثم قال: جدي هو دوق أثانسيا، الدوق موتارد، الأكثر نفوذاً وثراءً في الغرب!.. إنه شخصٌ قاسٍ تماماً، أراد أن يقضي على حياتي لأنني تسببت له بخسائرَ طائلة، بدون قصدٍ مني بالطبع، ولكنه لم يصدق أيّاً من تبريراتي!

ثم اقترب خطوتين منها وهو يُظهر تعابير بريئةً ومستجدية: هربتُ كل تلك المسافة من أثانسيا، ولا يزال رجاله يلحقون بي!.. لم أجد مكاناً لأختبئ به، سوى هذه الشرفة التي كانت مفتوحةً أمامي، وكأنها تدعوني للاختباء!.. أرجوكِ أن تساعديني!

اعتدلت باربرا في وقفتها ورفعت حاجبيها محملقةً به، ومتعجبةً مما تسمع، ومترددةً في تصديقه، وفجأةً سمِعت خطوات والدتها تقترب من الحجرة منادية: باربرا!

التفتت باربرا نحو الباب بربكَةٍ ثم نظرت إلى آرميل، وأشارت نحو الشرفة آمرةً: اخرج من هنا!!.. اخرج حالاً!!

لكنَّه استمر بالتحديق بها مستجدياً: لا يمكنني الخروج، فرجال جدي يبحثون عني بالخارج، لا أستطيع العودة إلى جدي!.. لا أستطيع!.. أرجوكِ!

طرقت مارغريت الباب، وشعرت باربرا بأنها وقعت في ورطةٍ لا مهرب منها، ولم يكن لديها وقتٌ كافٍ للتفكير، فقامت بدفع آرميل نحو الخزانة لتُخبِّئه، في اللحظة التي فتحت بها مارغريت باب الحجرة وسألت: ألم تسمعي ندائي؟

ارتبكت باربرا: لا، مـ.. ماذا أردتِ؟

تقدَّمت نحوها مارغريت وابتسامةٌ ماكرةٌ على شفتيها: وجدتُ خطةً للإيقاع بالأميرة!

خشيت باربرا أن تتحدث والدتها على مسمعٍ من ذلك الغريب، فقالت بارتباك: آهه!..

لم أتوقع أنكِ ستتوصلين إلى الخطة بهذه السرعة!.. ما رأيكِ لو أكملنا حديثنا بالأسفل؟

لكنَّ مارغريت جلست على الأريكة وسألت: وهل هناك مكانٌ أكثر خصوصيةً من حجرتك؟

ولم تلحظ التوتر الشديد على ابنتها عندما وضعت قدماً فوق الأخرى وقالت بمكر: يجب أن نقوم باستفزازها إلى حدٍّ يجعلها تُقدِم على خطوةٍ انتقامية، فتنزلق قدمها نحو الهاوية!

كان ذهن باربرا منشغلاً بوجود آرميل في الخزانة، وبما يمكنه أن يسمع، فأردفت مارغريت بعينين متلهفتين وهي تضغط على قبضة يدها: إن لم نكن قادرين على إيقافها بسبب تفاوت مراكزنا الاجتماعية، فسنستدرجها لتقع في مصيَدة العدالة!!.. سنجعلها تغضب منكِ بشدة، لدرجةٍ تفقِدها صوابها وتدفعها لارتكاب خطأ، وستكون فرصتنا هي استغلال ذلك الخطأ!

باربرا بسخرية: تعلمين أن ديميتير لا ترتكب الأخطاء!

مارغريت بخبث: فلنجعل الأمر يبدو وكأنها ارتكبته إذاً!

أومأت باربرا برأسها مؤيدةً، ثم قالت على مضض: سنفكر بهذا لاحقاً!

اتَّجهت مارغريت نحو الباب، فأسرعت باربرا لتغلقه خلفها وتنفست الصعداء، ثم سمعت طرق آرميل على باب الخزانة، فقالت: يمكنك الخروج الآن!

خرج آرميل مبتسماً بخبث: مخططاتٌ ضد الأميرة إذاً؟

نظرت إليه بتحفُّظ، فقال: يا ترى كم ستدفع الأميرة مكافأةً على ولائي، عندما أُخبرها بما سمعتُ هذه الليلة؟

غضبت باربرا ولكنها تمالكت أعصابها، فقد كانت تفكّر كيف تغير موقف هذا الشاب الغامض، كان حملاً وديعاً قبل دقائق، والآن كشَّر عن أنيابه وتحوَّل إلى ذئبٍ فور أن وجد فرصةً لتهديدها. وتفاجأت عندما اقترب بجرأةٍ ولَمس خصلةً من شعرها: إن والدتكِ جميلةٌ وذكية!.. رأيتها من خلال ثقب الخزانة، لقد أورَثتكِ لون شعرها الأحمر، أتساءل إن كنتِ بمثل ذكائها أيضاً، يا باربرا.. بونيفيل!

ثم قال ضاحكاً بعد أن رأى الدهشة على عينيها لمعرفته اسمها: هل كنتِ تظنين أني سأدخل منزلاً بدون أن ألاحظ الراية المرفوعة فوقه؟.. من يجهل ذلك الشمعدان الرباعي؟

ثم قام بجذب قلادتها: والموجود أيضاً على قلادتكِ الثمينة!

دفعَت يده عنها بعنف، ثم سألته بحذر: ما الذي تريده بالضبط؟!

طلب منها آرميل مقابلاً لالتزامه الصمت: طعاماً ومأوى، لبضعة أيامٍ فقط!.. إلى حين أن يغادر رجال جدي لورديور، وبعدها سأذهب!.. وسأبقي فمي مغلقاً، وأنسى ما سمعت، وستظلّين أنتِ ووالدتك في مأمنٍ من تلك الأميرة!

تنهدت وهي تحاول كتم غضبها، ثم أومأت برأسها مرغمةً على الموافقة، وقالت: ثق بأنني سأُرسل من يقتلك، إذا ما تفوَّهت بكلمةٍ عمَّا سمعتَه اليوم!

نظر إليها آرميل باستصغارٍ بسبب قامته الطويلة، مستهتراً بتهديدها له. فسألته: لم تخبرني عن اسمكِ بعد؟

حدّق بها لوهلة، وقد كانت هي الضحية الأولى التي لم يكذب عليها متقمِّصاً شخصية (بيون بيكارد)، لأن ذلك الاسم أصبح معروفاً، وخطراً.

فنطق وهو ينحني بلباقةٍ قائلاً: آرميل.. موتارد!

أخذت باربرا نفساً عميقاً ثم قالت بحزم: حسناً!.. ستمكث هنا لبضعة أيامٍ فقط يا

آرميل.. ثم تغادر ولا تريني وجهك أبداً!.. ستنام في تلك الخزانة.. ولا تغادرها إلا عندما أسمح لك!

نظر إليها بازدراءٍ: خزانة؟!

أشارت نحو الشرفة بنفاد صبر: يمكنك المغادرة إذا لم يَرق لك العرض!

قال بامتعاضٍ بعد أن خضع: ما أسوأ أن تضطر للجوء إلى خزانة أحدهم!

ثم قال وهو يخلع معطفه وقفازيه: أولاً، أودُّ الاغتسال من فضلك، فإنني لم أغتسل منذ زمن، وبعد ذلك.. أرغب بوجبةٍ دسمة تُشبع معدتي الجائعة!

نظرت إليه بتقزز: أجل، فرائحتك نتنةٌ لا تُطاق!

وعندما ذهبت لتجهيز الحوض والتحقق من خلو المكان من الخدم، وقف آرميل في شرفتها يفكر، كان لديه شكٌّ كبيرٌ بأن آل بونيفيل مصاصو دماء، لأنهم يشتركون معه هو وأرام وزوي والفيركولاس ببعض الصفات الجسدية التي قرأها في ذلك الكتاب..

وكان قد قرر سلفاً خطته الجديدة، فبعد أن وضع عينيه على باربرا.. كضحيةٍ لهدفٍ جديد، بعيداً عن المال، عزم على إيجاد وسيلةٍ تجعلها تثق به، وتعترف بالحقائق التي يحتاجها..

❁❁❁

كانت ليلةً هادئةً..

في منزل آل بونيفيل..

استلقت أغلاي وفيوليت في حجرتها وتقلَّبتا على فراشيهما الوثيرَين في محاولةٍ للنوم، إلى أن تحدَّثَت فيوليت، وسألتها: يتنابني الفضول دائماً، هلْ لي أن أعرف.. كيف كانت طفولتكِ يا أغلاي؟

تعجَّبت أغلاي من ذاك السؤال، لكنها فهمت أن فيوليت تحاول إعادة الودِّ وقتل التوتر بينهما، فأخذت تتأمل السقف المزخرف، وترحل مع انحناءاته عبر ذاكرتها، لتُجيب: طفولتي كانت مزيجاً من الخوف والضحكات، طرقاتٌ وأزقّة، أسواقٌ وأناس، والقليل من الآرغنتات، طعامٌ رديء، وحليبٌ لذيذ، بردٌ قارسٌ ومدفأة، وقطرات مطرٍ تتسرب من السقف، وثمانية أصدقاء.. كالإخوة، كانوا يُدعون بالمتسولين، يتجنبهم المارَّة، ولا يلتفت لهم سوى أصحاب القلوب الرحيمة!.. انفضَّت أياديهم بعضها عن بعض، لكنها عادت لتتشابك من جديد!.. اثنان منهم الآن جنديان في الجيش، وأخرى تعمل في مزرعةٍ بصحبة ألطف فردٍ منهم، وآخر يتزعَّم عصابة، وسادسٌ محتالٌ هارب، وسابعٌ وحشٌ قاتل، وثامنٌ مقتول، وتاسعة.. تستلقي على فراشٍ وثير.. لم تكن تعرف يوماً، كيف سيبدو شعور النوم عليه!

ذهلت فيوليت: يا لها من قصةٍ مذهلة!.. أنا آسفةٌ، لمعرفة هذا!

كانت أغلاي تفكر بقلق، حول أصدقائها المختارين، وبعد لحظة صمتٍ قالت: قد يعاني بعضنا، دون أن يعلم البقية!

ثم أغمضت عينيها في محاولةٍ للهروب من الواقع واللجوء إلى النوم: كم هي مخيفة، هذه الأقدار، وهذه الحياة!

استسلمت أغلاي لحضن النوم الدافئ، وظلَّت فيوليت تحدق بدبوس الشعر الذي كانت تضعه أغلاي بجوار سريرها، وكانت ألماساته الصغيرة تلمع تحت ضوء القمر المتسلل عبر زجاج الشرفة، تأملت فيوليت ذلك البريق إلى أن نامت، بعد دمعةٍ متحسِّرة..

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

شاهدت داناي ومضاتٍ من ذاكرة طفولتها، وأخذت تُحدِّث نفسها أثناء تلك الغيبوبة:

«كأنه خيالٌ من الاحلام، حديقةٌ جميلة.. ثيابٌ ملونة.. ومجموعة دمى، وأشياءُ أكاد أذكرها، شخصٌ ما كان يحتضنني بدفءٍ وأمان، وخيولٌ تتقافز مع الرياح، عبقٌ جميل.. وموسيقى عذبة، وصورٌ تتراقص.. عبر ذاكرتي!.. بعيداً.. ومنذ زمنٍ طويل.. أشياءُ تعوَّد قلبي على معرفتها.. وأشياءُ يشتاق لتذكُّرها..».

استيقظت وفتحت عينيها ببطء، وكانت الشمس تسطع على جبينها بحرارة، لتجد نفسها في عربةٍ تتأرجح مسرعةً بين السهول، فرفعت رأسها لتنظر إلى مقدمة العربة، ورأت ظهر خاطفها!

لم تتمكن من القفز من العربة بسبب سرعتها الجنونية، فترددت أن تتحدث إليه، إلى أن تشجعت ونطقت: من أنت؟!.. وإلى أين تأخذني؟.. وما الذي تريده من فلّاحةٍ فقيرة؟.. سأوفِّر الوقت عليك، فإنك لن تجني من اختطافي أي فدية!

ردَّ الرجل: لقد استيقظتِ أخيراً!

ثم التفت إليها فرأت وجهه بوضوح، بدا في العقد الخامس من عمره، ذا ثيابٍ رثةٍ ولحيةٍ غير مُشذَّبة. قال ساخراً: إن الأمر أكبر من مجرد فديةٍ يا عزيزتي!

التفتت داناي إلى المنطقة حولها: أين نحن؟!

فأجاب: ابتعدنا عن مولنيا كثيراً، نحن متجهان إلى روميانيا!

ذهلت وانفعلت: ما الذي تقوله؟!.. لمَ تأخذني إلى هناك؟!.. ما الذي تريده مني، هيا تحدَّث!!

ضحك الرجل: اهدئي يا صغيرتي، سنتوقف للراحة وتناول الطعام بعد قليل، وسأخبركِ بكل شيءٍ حينها..

أخذت داناي نفساً عميقاً، وانتظرت بتوترٍ لحظة وقوف العربة..

(المنطقة البحرية بين رومبيانيا وبانسيلينوس)

لاح الأسطول الرومبياني عبر الأفق، واتجه الجنود البانسليون نحو مقدمات السفن ليشاهدوا السفن الرومبيانية، وأعلامها التي رفرفت من بعيد، وكان أرجوس يشاهد أعلام مملكته عبر المنظار، ثم قام بإرسال مبعوثَين في قاربٍ إلى سفينة أنارغيروس رونثو في محاولةٍ أخيرةٍ للتفاوض، ناقلين له رسالةً شفهيةً باسم الأمير أرجوس والملكة أفروديت..

كانت الرسالة تفيد بأن يُسلِّم بيلزبيل العرش إلى مالكه الشرعي، أرجوس هيروديون رونثو، أو فليكن مستعدّاً للقتال، ولكنَّ أنارغيروس سخر من الرسالة التي نقلها المبعوث، وأمر بقتله، وترك المبعوث الآخر ليعود إلى الجيش البانسلي ويخبرهم بإجابته المُهدِّدة:

(عليكم العودة من حيث أتيتم، وإلَّا فإن الجيش الرومبياني سيُغرقكم، وسيكون هذا البحر مقبرةً لسفنكم!).

وبعد أن سمِع أرجوس ذلك الردَّ الشفهي، عقَد حاجبيه، وأحكم قبضة يديه وقال: حان وقت الهجوم!

ثم صاح في الجنود بإقدام: استعداااااد!

فهبّ الجنرال أبوليون لقيادة جيشه الصغير: كلٌّ إلى موقعه!

وقاد الكونت أرماند الأسطول البانسلي، وبدأت السفن تموج بحركة الجنود على أسطحها، وشُحنت المدافع، وشُدّت السهام، وعندما اقترب الأسطول البانسلي من مرمى الأعداء، رفع أرماند يده وانتظر اقتراب السفن أكثر، كانت تلك لحظةً حاسمةً حُبست بها أنفاس الجميع، فإما أن يبدؤوا هم بالهجوم، وإما أن يسبقهم أنارغيروس وتكون حينها بدايةً مُهلكة..

وعلى الجانب الآخر، رفع أنارغيروس يده عالياً، وعندما أنزلها آمراً بالهجوم، كان أرماند قد سبقه، وانطلقت القذائف من الجانبين ليتصادم بعضها ببعض، ويسقط بعضها الآخر مدمِّراً السفن، وكانت خسائر الطرفين في الضربة الأولى متساوية، لكنَّ خسائر الرومبيانيين تصاعدت عندما بدأت سهام البانسليين بالهطول كمطرٍ غزيرٍ في ليلةٍ كئيبة، تأبى غيومها الانجلاء، فتساقط جنود أنارغيروس في البحر، كأسماكٍ متقافزة..

أصبحت القذائف والسهام تتراشق بين الطرفين، حينها وضعت زوي الدرع فوق رأسها، والتفتت لتطمئن على ألارد، ولكنَّ قذيفةً أصابت سفينتهم، فبدأت بالتمايل وابتلاع الأمواج، وبدأ الماء بالتسرب إلى جوف السفينة، فأعطى القبطان توجيهاته لإنقاذ الموقف، فزاد البحّارة من سرعة السفينة للاتجاه نحو أقرب سفينةٍ للعدو، واستعد الجنود بالحبال والخطّافات عندما أوشكت السفينتان على الاصطدام، فبدأ الجنود بالقفز نحو سفينة العدو بعد أن ألقوا حِبالهم وثبّتُوا خطّافاتهم على سطحها. ولاحظ ألارد قفزة زوي السريعة، حيث سبقت الجميع، وهبطت على متن سفينة العدو بخفّةٍ وشهرت سيفها استعداداً للقتال. كانت دفاعات الرومبيانيين عنيفةً وسريعةً، ولم يتركوا فرصةً لاستيلاء البانسليين على سفينتهم، فتساقط البانسليون في البحر تِباعاً.

بدأت السفن الناجية من الطرفين بالالتحام بعضها مع بعض، يحتضنها الموج المتلاطم، والمياه الجائعة المتلهفة لابتلاع جثث البشر، ولكنَّ القتال بدأ يأخذ منحىً آخر، عندما استولى الكونت أرماند على سفينتين من سفن رومبيانيا، ونجا السيرجنت ألباين مونبيتيت بإصاباتٍ طفيفةٍ من قذيفةٍ كانت توشك على إنهاء حياته، وظلّت السفينة التي تحمل الأمير أرجوس على متنها في مؤخرة الأسطول للحفاظ على سلامته، وترأّس نوي فرقة حماية الأمير، ولكنَّ بعض الرومبيانيين حاولوا التسلل إلى سفينته المستهدفة عبر القوارب الصغيرة، فشارك أرجوس في القتال مع حرّاسه، إلى أن

أسقطوا المتسللين في غياهب البحر.

نظر أنارغيروس عبر المنظار إلى سفينة أرجوس، وغضب عندما رآه لا يزال حيّاً، والتفت حوله ليرى الدمار الكبير الذي حلّ بأسطوله، والتقدم المتسارع الذي يحرزه عدوُّه، ثم نظر إلى سفنه الناجية والتي ما زالت تقاوم باستماتة، فقرر الانسحاب قبل أن يهلك كامل الأسطول، وأمر بنفخ الأبواق إعلاناً للانسحاب، فبدأت سفن الأسطول الرومبياني بالتراجع نحو سواحل رومبيانيا.

عندها رفع الكونت أرماند سيفه عالياً لتُرفع رايات النصر على صواري السفن البانسلية، فابتسم الجنرال أبوليون ولمعت عيناه بفخر، ونظر نوي إلى أميره الذي وقف مُحدّقاً عبر الأفق، تائقاً للوصول إلى وطنه.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

دخلت مارغريت منزل عائلتها، وطلبت الحديث مع أغلاي على انفراد، وقد لاحظت أغلاي قسمات وجهها الغاضب وفهمت الأمر. جلسَت مارغريت أمامها: هل تودّين إخباري عمّا حدث لابنتي بالأمس؟.. أم تنتظرين أن أتوجه إلى القاضي مباشرةً؟

كانت أغلاي تتوقع ردة الفعل هذه، فقالت بنبرةٍ صارمة: أيتها العمّة مارغريت، باربرا أوقعت نفسها في شباك أفعالها، واستحقَّت العقوبة!.. يمكنكِ الاتجاه إلى القاضي الآن، وتذكري أني سأُدلي بشهادتي عن كل شيء، فابنتكِ عبثت بثوب الملكة، وهذه إهانةٌ لجلالتها!

نهضت مارغريت ووجهت سبّابتها نحو وجه أغلاي: كان من المفترض أن تعتذري!.. قمتِ بنصبِ كمينٍ لفتاةٍ صغيرةٍ وتهديدها بالتواطؤ مع تلك الأميرة!.. لقد آويناكِ

وقبلناكِ كفردٍ من عائلتنا!.. بالفعل كما قالت ميرابيل، يا لكِ من ناكرةٍ للجميل!

ورغم شدة وقع تلك الكلمات الجارحة على قلب أغلاي، إلّا أنها ابتلعت غصّتها وقالت: لا يتوجَّب علي الاعتذار!. ابنتكِ تجاوزت حدودها، وأنتِ على علمٍ بهذا!.. لا جدوى من الحديث معكِ، فلن تعترفي بخطأ ابنتك، وستدافعين عنها في جميع الأحوال!

قالت مارغريت مهددةً: سيعلم الدوق عمّا جرى، وسأجعلكِ تذوقين ما فعلتِه لابنتي!

❁❁❁

بينما في منزل مارغريت بونيفيل..

استيقظ آرميل وخرج من الخزانة، وقد ارتدى ثياباً نظيفةً قدَّمتها له باربرا من صندوق ثياب والدها الراحل، نظرت إليه عندما كانت تجلس أمام مائدة إفطارها قُرب الشرفة، ولاحظت الجوع في نظراته نحو طعامها، فدَعته لمشاركتها وظلّت تحدق به إلى أن أنهى طبقه، ثم مدَّ يده ليلمس ذراعها وهو يقول: أشكر لطفكِ معي يا باربرا!.. لا أعرف ماذا كنتُ سأفعل لولاك!

شعرت ببرودةٍ غريبةٍ في يده، وكذلك أحسَّ هو بالبرودة المنبعثة من جسدها، فلم يكن إحساس ملامسته لها كبقية النساء، ثمَّة شيءٌ غريبٌ في ذلك الجسد الماثل أمامه، لغزٌ يحاول فكَّ رموزه!.. كان يظنُّ أنها سهلةٌ وساذجةٌ كبقية الفتيات اللاتي يحتال عليهن، ولكنَّ حدسه كان يخبره بأن ثمة شيئًا مختلفًا بها، وكانت هي أيضاً تبادله الشعور المرتاب ذاته، فقد تلاشت أفكارها عندما أدركت أنه يحاول إغواءها واستغلال عواطفها..

وأبعدت يده عن ذراعها: لا تحاول التملُّق، فقد كنتُ على وشك طردك بالأمس، ولكنَّك هددتني، سأقع في المشكلات بسببك، لذا يجب أن تغادر منزلي سريعاً!

❁❁❁

(بانسيلينوس)

في سهول بانسيلينوس، جلست داناي لتأكل بعد جوعٍ شديدٍ، وكان الرجل يجلس أمامها بعد أن فرغ من طعامه، وقال: في الماضي، رأيتُ صورةً رُسمت لطفلةٍ تشبهكِ، ظلَّت الطفلة مفقودةً منذ ما يُقارب الاثنتي عشرة سنة، وقد شوهدت آخر مرةٍ في غابات شرق رومبيانيا، ومع انتشار الصورة عُرِضَت مكافأةٌ كبيرةٌ لمن يجلبها حيةً..

ذُهلت داناي، وتوقفت اللقمة في حلقها، وشعرت بقشعريرةٍ تسري في أطرافها، أصبحت السهول ساكنةً تماماً في تلك اللحظة، سوى من صوت مداعبة الرياح لأوراق العشب، وصوت نبضات قلبها التي بدَت مدوِّيَةً، يتردد صداها عبر المكان، وكأن الزمن قد توقف، ليعود بها نحو الوراء، إلى أول ذكرى شاهدتها، إلى بداية حكاية وجودها، ووطنها الوحيد الذي تعرفه، حيث أشجار غابات الشرق الضخمة، وأغصانها المتشابكة، ورائحة تربتها الرطبة، والرجل الذي حملها على حصانه، ونقلها إلى الحياة.. لتبدأ أول فصول حكايتها في بانسيلينوس!.. فكرت، ربما يكون الأمر حقيقيّاً الآن، وعائلتها لا تزال تبحث عنها..

وأثناء شرودها، قال الرجل: أعتقد أنها تشابهكِ كثيراً، تلك الطفلة في الصورة!.. سواءً كنتِ هي أم لا، فإنني أطمح إلى تلك المكافأة!

أخبرَته داناي عن حكاية فقدانها لذاكرتها، وعن مطابقة تلك القصة لقصتها، فابتسم الرجل بطمع، وقد لمع المال في عينيه، فسألته: أنت رومبيانيٌّ إذاً؟!

أجاب بفخر: بالطبع!

بدَت اللهفة على وجهها الفرِح، وعينيها الفضوليتين: في أي بلدةٍ شاهدت الصورة؟!.. ومن يكون المُعلن؟!

أجاب منزعجاً من كثرة أسئلتها: على مهلكِ يا فتاة!.. حسناً، شاهدتُ الإعلان في بلدةٍ

قُرب الميناء، ولكني لا أعرف من كان المُعلِن، فلم أكترث لقراءة التفاصيل بعد أن شاهدتُ اليأس المختوم على وجوه السكان، ولكن من الواضح أن المُعلن كان شخصاً ثريّاً، لعرضِه مبلغاً كبيراً!

ثم قال بحماس: ومع أن الزمن قد مضى على ذلك الإعلان، إلّا أنني لم أتصوَّر أن الحظ سيحالفني الآن، وأجدكِ مصادفةً أمام ناظريَّ هنا في بانسيلينوس!.. وبالرغم من أن الأوضاع في رومبيانيا ستكون سيئةً بسبب الحرب، إلّا أنني سأضطر للعودة إليها من أجل تلك المكافأة!

وباندفاعٍ قبِلت داناي الذهاب معه إلى رومبيانيا، لكي تعرف الحقيقة وتستعيد ذاكرتها، وتعود لأحضان أسرتها، ولكنَّ الرجل تفاجأ عندما طلبت منه طلباً غريباً: هل يمكنني العودة إلى مولنيا أولاً لأودِّع سيدتي وأصدقائي، يجب أن أخبرهم عن سبب رحيلي، أظن أنهم قلقون الآن!

أجاب ساخراً: كم تجيدين المزاح!.. لقد ابتعدنا عن مولنيا مسافة كبيرة جدّاً، ولستُ مغفّلاً لتحاولي الهرب مني على هذا النحو، هيا اصعدي إلى العربة ولا تتحدثي كثيراً!

فكَّرت داناي برغبتها المُلحّة في لقاء عائلتها، ومعرفة ماضيها، فاستسلمت وصعدت إلى العربة، وظلّت طوال الطريق تفكر بياني ورايموند، دليا وإيوانا، وكانت تدرك أنهم سيبحثون عنها، ولكنها لا تعرف.. ما هي الأفكار والمشاعر التي ستعتريهم تجاهها..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

في مزرعة مونبيتيت..

وبالفعل أمرت دليا مزارعيها بالبحث عن داناي في أنحاء مولنيا، لكنَّ عمليات البحث لم تأتِ بنتيجة، عندها تيقن الجميع من أنها غادرت البلدة، وغضبت دليا كثيراً عندما

اقتنعت بوسوسات بعض المزارعين وشائعاتهم، بأن داناي قد هربت، وربما يكون سبب هربها، أنها سرقت من ممتلكات المزرعة..

ترددت دليا في تصديق ذلك، إلى أن تمكّنوا من إقناعها بعدم وجود سببٍ آخر يدفعها للهرب، وعندما اقترب ياني ليسأل عن صديقته المفقودة، تبادلت دليا النظرات المتوترة مع إيوانا، ثم اقتربت منه وأمسكت بوجنتيه بلطفٍ محاولةً طمأنته: داناي رحلت لتعمل في مكانٍ بعيد..

كان الخبر صادماً لياني، فسأل بحزن: وهل ستعود لزيارتنا؟!

التفتت دليا إلى إيوانا، فأجابته الأخيرة: لا أحد يعلم، ياني!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

ذهبت أفروديت في زيارةٍ للمقبرة الملكية في أطراف القصر، ووضعت باقاتٍ من أزهار الكاميليا البيضاء، ثم جلست أمام قبر والديها، وشقيقها الصغير إياس..

وقفت الحاشية على مسافةٍ بعيدةٍ خلفها، وكان الهواء لطيفاً وبارداً.. والسكون يعم المكان..

بدأت أفروديت بالتحدث إلى والدها بصوتٍ هادئٍ يُخفي خلفه قلقاً: إنني أفعل الصواب، أليس كذلك؟

ثم قالت: سأُعيد التحالف مع رومبيانيا، بواسطة أرجوس هيروديون، الذي وقفت أنت ضده وضد والده فيما مضى، لم تستمع إليَّ عندما حذرتُك من بيلزبيل، لقد كنتُ محقةً عندما شككتُ بأنه طامعٌ في خيرات بانسيلينوس، وحان دوري الآن لأُوقفه..

قدِمت من خلفها ديميتير، ووضعت الأزهار أمام كل قبرٍ، ثم قالت: اليوم هو ذكرى وفاة والدتنا، توقعتُ أن أجدكِ هنا في مثل هذا الوقت من النهار..

التفتت أفروديت إلى أختها: من الجيد أنكِ لم تنسي..

حدّقت ديميتير بقبر والدتها وقالت بنبرةٍ تخفي شيئاً من الحزن: لقد تُوفيَت بعد فترةٍ قصيرةٍ من ولادتي، وبالرغم من أنني لا أتذكرها أبداً.. إلّا أنني لا أنسى زيارتها!

قالت أفروديت وهي تحدّق بالشاهد المُنتصب فوق القبر، والاسم المنقوش عليه بخطٍّ فاخر: كانت جميلةً ولطيفةً للغاية، وشقراء مثلي، هذا كل ما يسعني تذكّره..

والتفتت نحو أختها وابتسمت، فبادلتها ديميتير تلك الابتسامة وهي ترفع حاجبيها: هل تعنين أنك محظوظةٌ لمشابهتها؟.. لقد أخبروني بأنني أحمل نفس أنفها وشفتيها كذلك!

ضحكت أفروديت ثم قالت: قضينا طفولتنا بين المُربِّيات والمعلمين، دائماً ما كُنت أتساءل: كيف ستكون حياتنا لو قضيناها معها؟

رفعت ديميتير رأسها لترى الغيوم التي بدأت بالتشكُّل فوقهما، وقالت: ربما لم تكن طفولتي سعيدةً تماماً، ولكنَّ مستقبلي سيكون لامعاً، أنا متيقنةٌ من ذلك!

نظرت أفروديت إلى ذلك الطموح الغامض في عيني شقيقتها المُحدّقتين بالسماء، والتزمت الصمت. عندها اقترب أحد الحراس: جلالة الملكة، وصلتنا رسالةٌ مع الحمام الزاجل!.. إنها من الكونت أرماند!

نهضت أفروديت على الفور واستلمت الرسالة وقرأتها، ثم ابتسمت برضاً وقالت تُبشِّر شقيقتها: لقد اجتازوا الحدود البحرية لرومبيانيا!

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

كان غضب بيلزبيل عارماً عندما وصله خبر انسحاب الأسطول الدفاعي الذي يقوده شقيقه أنارغيروس، فأمر بكتابة رسالةٍ عاجلةٍ إلى شقيقه الآخر تريتون، ليأخذ استعداداته حسب الخطة المُتفق عليها، لمنع أرجوس والجيش البانسلي من التقدُّم برّاً..

❁❁❁

وعندما جنحت الشمس للمغيب..

وصل الجيش البانسلي إلى شواطئ رومبيانيا، وكان أرجوس أول من نزل إلى اليابسة، وفور أن وطئت قدَمُه أرض الوطن، جثا على ركبتيه وقام بتقبيل تربتها، وكان الجنود يراقبونه في تلك اللحظة الشاعريّة، عندما بدأت زخّات المطر بالتهاطل فوق رأسه بلطف، مبللةً التربة الرملية التي كان منحنياً عليها، ولم يتجرأ أحدٌ على الاقتراب منه، سوى صديقه وحاميه المطيع، نوي..

وبينما كانت السماء ذهبية اللون، ممتزجةً بعتمة الغيوم المتراكمة بها، حدَّث نوي أميره: إن شعوراً بالحنين ينبعث من هذه الأرض!.. وكأنها تعبِّر عن اشتياقها لسموك!.. إنها تشعر بأنك قد أتيتَ هذه المرة لتستعيدها.. وتُعيد الحياة إليها!

رفع أرجوس رأسه ثم نهض وأمسك بسيفه بقوةٍ، ونظر إلى السماء وما تبقَّى من شعاع الشمس الذهبي، وقال: رومبيانيا هي وطني، سأحيا وأموت فيها!!

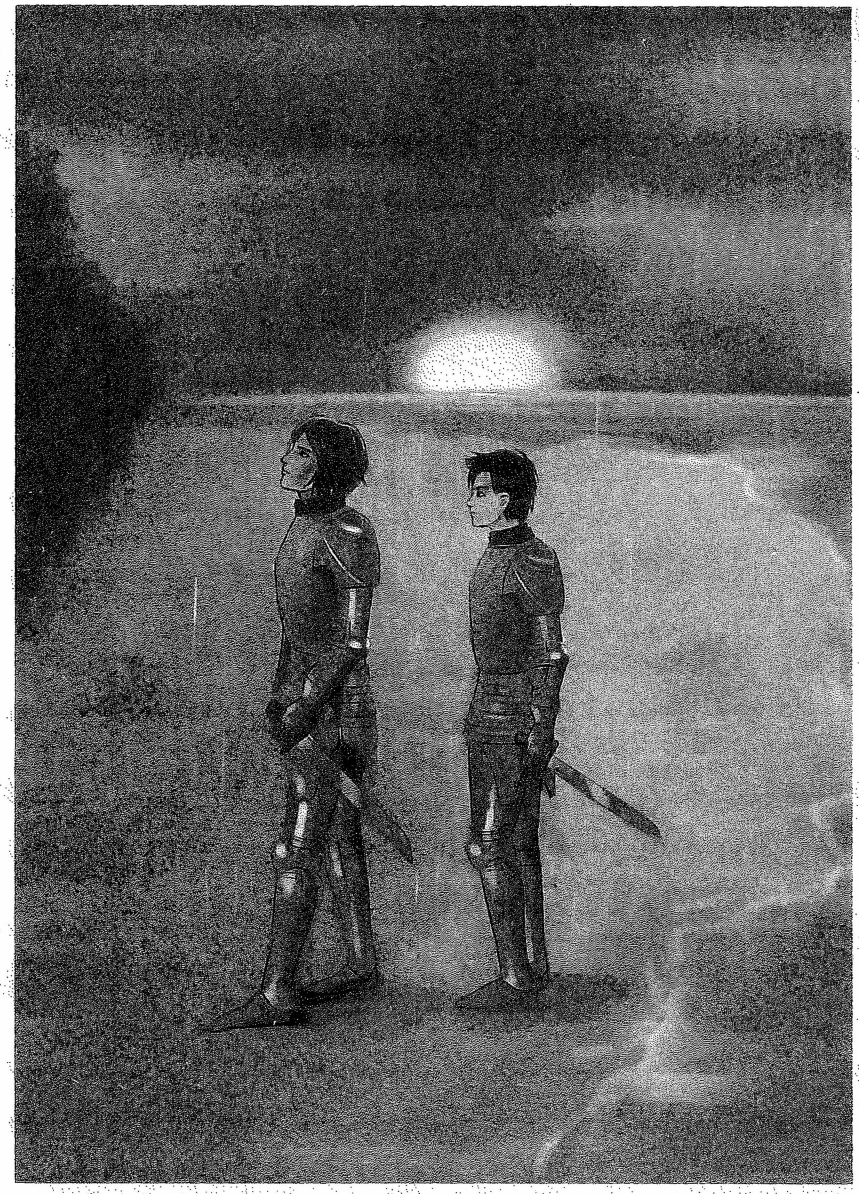

(مملكة تشيستوتا)

جلس الملك رودولف على عرشه، وكان يقول لوزرائه: أفروديت تتخذ خطوةً جريئةً مع بداية حكمها، تحالفها مع أرجوس في الحرب ضد بيلزبيل، والسير في الاتجاه المعاكس لسياسة والدها!.. إذا انتصر جيشها في دعم أرجوس، فستصبح العلاقة بين مملكتيهما أكثر صلابة، وسيُنعش ذلك اقتصادنا من جديد، إذا أعدنا فتح خط التجارة بين الممالك الثلاث!

ثم قال: وبالرغم من أن أرجوس هو ابن عدونا السابق هيروديون رونثو، إلَّا أنه سيتحتَّم علينا بناء علاقةٍ جيدةٍ معه إذا اعتلى عرش رومبيانيا!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي، جناح الأميرة ديميتيرُ..

مدّت ديميتيرِ صندوقاً فتناولته أغلاي بيدين مُمتنتين، ثم فتحته لترى قماشاً جميلاً ومطرّزاً بعناية..

قالت ديميتير: ستبدئين العمل من جديدٍ على الفستان الذي طلبَته الملكة، هذا قماشٌ مشابه تماماً للذي قامت باربرا بإفساده، وقد أقنعتُ أديلايد بتأجيل موعد استلامه.

انحنت أغلاي وعيناها تلمعان بشعورٍ غامرٍ بالامتنان: أشكركِ سمو الأميرة!.. إن لطفكِ يغمرني!

ارتسمت ابتسامةٌ هادئةٌ على شفتي ديميتير ثم قالت: ولكنَّ لطفي وحمايتي لا يأتيان بدون مقابل، تعرفين سابقاً بأن هذا هو منهجي.

رفعت أغلاي رأسها لتنظر إلى عينيِ الأميرة التي كانت تخبئ خلفها نوايا غامضة، فأومأت برأسها موافقةً، لأنها تعرف تماماً ما تريده ديميتير، فالانضمام تحت جناحها

يعني الحصول على حمايتها، والمزيد من المكافآت والهدايا، مقابل خدمة مصالحها ومؤامراتها..

في منزل آل بونيفيل..

استغلّت فيوليت عدم وجود أغلاي، وذهبت لاصطياد وقتٍ قصيرٍ كي تقضيه مع عشقها الأبدي إيمانويل، وجدته يقرأ في مكتبة المنزل الصغيرة، وترددت بالدخول في بادئ الأمر، لكنها تشجعت أخيراً، ودخلت تحمل كوباً دافئاً من الأعشاب..

وضعته على المنضدة وهي تقول بخجل: أعددتُه لك ليساعدك على الاسترخاء..

نظر إليها مُتعجّباً، ثم قال: شكراً، فيوليت!.. هذا لطفٌ منك!

وعاد ليكمل القراءة باهتمامٍ وكأنه يبحث عن ضالّته بين الأسطر، لكنَّ تلك الرقيقة ما زالت تقف في طرف الحجرة، كانت تودُّ تبادل الحديث معه عن أي شيء، تريده أن ينظر إليها ويستمر التواصل بين أعينهما، أخذت تفكر بترددٍ فيما يمكنها أن تقوله..

حتى لاحظ إيمانويل وجودها فسألها مستغرباً: ما الأمر يا فيوليت؟

لمعت عيناها فور أن شعرت باهتمامه، واحمرَّ وجهها خجلاً، فأجابت بصوتٍ رقيق: كنتُ أفكر.. بأننا نعيش في المنزل ذاته، ولكننا لا نتحدث إلا نادراً، لذا..

دخل شقيقها أندريون المكتبة وقطع حديثها، وكان ينظر إلى إيمانويل بجدية: إيمانويل!.. يجب أن أتحدث معك..

شعرت فيوليت بالخيبة فور أن لاحظت أن اهتمام إيمانويل قد انصرف عنها ليتحول إلى شقيقها أندريون، والذي لم يجد سوى هذه اللحظة الثمينة ليُفسِدها، وشعرت بالحرج عندما فهمت أنهما يريدان التحدث على انفراد، فانسحبت بهدوءٍ إلى خارج المكتبة وأغلقت الباب خلفها، واستندت عليه بخيبة..

أندريون: وصلَتني رسالةٌ من الرجال الذين استأجرناهم للبحث عن الساحرة..

أرعى إيمانويل انتباهه، فأردف أندريون: لقد عثروا على كهفٍ لساحرةٍ تُدعى كالغينيا، قالوا بأنها هجرت ذلك الكهف بشكلٍ مفاجئ بعد التقائها برجلٍ أعورَ غريبٍ عن المنطقة..

رمش إيمانويل بعينيه بهدوء، ثم قال مُقرراً: سنذهب إلى هناك!

تفاجأ أندريون من قراره السريع: هل أنت متيقن؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

افتقد رايموند زيارات داناي لوكر الغربان، والخبز والذرة التي تجلبها معها، وعندما قرر إرسال أحد أفراد عصابته إلى مزرعة مونبيتيت ليسأل عنها، تفاجأ بزيارة إيوانا للوكر لتسألهم هي عنها، وأخبرتهم بأن داناي قد تخلّت عن العمل في المزرعة فجأةً..

وبعد فترةٍ من زيارة إيوانا تلك، بدأ القلق يتسلل إلى نفس رايموند، كان يرجو أن تكون داناي قد عادت إلى المزرعة أيّاً كان السبب الذي غادرت لأجله، لكنه غضب عندما علم بأنها لم تعد أبداً، وتأكدت ظنونه بأنها رحلت فور أن أخبرها عن اسم البلدة التي يوجد فيها أرام، فقال غاضباً: تلك الحمقاء!

ثم أرسل ثلاثةً من غربانه للحاق بها إلى أورانوس..

❁❁❁

(بانسيلينوس)

عندما خيّم الليل..

كانت داناي تستعد للتخييم مع خاطِفها لإكمال طريقهما في النهار إلى رومبيانيا..

كانت تشعر بالإعياء الشديد، وترغب بالانغماس بالراحة أخيراً، والتي حُرمت منها طوال هذا اليوم الشاق، لكنها شعرت فجأةً بالرجل يقترب منها أثناء محاولتها للنوم، وقبل أن ترفع رأسها كان قد هجم عليها، وقال ضاحكاً بخبث: سأكون غبيّاً إن لم أستغل الفرصة الجميلة التي بين يدي!.. عليكِ التزام الصمت، إذا أردتِ الوصول إلى عائلتك حيّةً!

ذُعرت من نظراته الشهوانية البشعة، فقامت بضرب وجهه بأقرب حجرٍ استطاعت التقاطه، ثم ركضت هاربة!.. ولم تهدأ نبضات قلبها العنيفة طوال ركضها، وكانت أنفاسها تتصاعد، وتزداد ثقلاً مع كل خطوةٍ تخطوها..

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

كانت باربرا تستعد للنوم، وقالت له: عليك أن تجد مأوىً آخر، لا أريد وجودك هنا غداً!

ردَّ آرميل ساخراً من خلف باب الخزانة: ربما أذهب غداً إلى الأميرة وأُخبرها عمَّا سمعتُ هنا، فتمنحني مكافأةً ومأوىً يليق بي!

امتعضت باربرا وكتمت غيظها بعد أن فهمت تهديده، ثم وضعت رأسها على الوسادة، ومرّت لحظاتٌ من السكون المطبق، إلى أن نطق آرميل بصوتٍ هادئ: وأنا أرتدي ثياب والدكِ الآن، أفكر بأنكِ ربما تفتقدينه، هل ما زلتِ تذكرين ملامحه؟

استغربت باربرا تطرُّقه لمثل هذا الموضوع، فأجابت: ليس كثيراً!.. لمَ تسأل؟

تظاهر آرميل بالحزن: منذ رحيل والدي، وجميع أفراد عائلتي يعاملونني بقسوة، تحديداً.. جدي، إنني أحسدكِ على وجودكِ تحت جناح عائلة بونيفيل، فيبدو أنهم

يقومون برعايتكِ ولم يتركوا لكِ مجالاً للشعور بالاحتياج لوجود والدك..

أجابت: ربما يكونون كذلك، إن آل بونيفيل عائلةٌ مترابطة، وهذا ما كان يحرص عليه جدي إيفرانور..

وجد آرميل مدخلاً للحديث، فقال: سمعتُ أن إيفرانور كان دوقاً على لورديور، وقد ورث ابنه إيبير ذلك اللقب أليس كذلك؟.. الأمر مثيرٌ للإعجاب، فأفراد العائلة يَشغلون مراكزَ هامة في المملكة، لا شك بأن إيفرانور كان يحرص على مستقبل عائلته، وقد مهّد الطريق لها..

أجابت باربرا: كان جدي يرغب بتوسيع نفوذ عائلتنا، فنحن نستمد قوّتنا من قوة السلطة!

قال آرميل وقد وصل إلى غايته: أعتقد أن بونيفيل تستمد قوتها من أمرٍ أكبر من كل ذلك، لا أعرف، لكن أظن أني بدأت أُعجب بهذه العائلة..

شعرت باربرا بالتوجُّس من كلماته الأخيرة، فصمتت ولم ترد، وانتبه آرميل إلى أنه قد تسرَّع، وأن الفتاة نبيهةٌ وليست ساذجةً كغيرها، فقال متداركاً: ربما جميع عائلات لورديور تتشابه في طموحها العالي!

قُطع حديثهما عندما طرقت إحدى الخادمات الباب وهي تسأل بقلق: آنستي، هل كل شيءٍ على ما يرام؟.. لقد سمعت صوتكِ قبل قليل..

أجابت باربرا بارتباك: لا تقلقي، كنتُ أفكر بصوتٍ مرتفع، فقط!

وبانزعاجٍ طلبت من آرميل أن يصمت، هامسةً: ابتلع لسانك وإلّا قطعتُه!

وفي أرياف لورديور..

كان بيلموت يعرف عن علاقة أخيه إيمانويل بقريبته البشرية أغلاي، وقد استغلَّ هذا السرّ لإسكات شقيقه ومنعه من التطفل على حريته في شرب دماء البشر، حيث أصبح يخرج في الليل إلى الأرياف ويقتل الفلّاحين ليروي ظمأه، مستغلًّا عدم وجود الكونت أرماند ليمنعه، وكان هذا بعِلم إيمانويل الذي ظلَّ يراقب خروجه في الليالي بصمتٍ تام، ودون أن يحاول إيقافه، مُخاطراً بانكشاف سرّ العائلة الدفين، من أجل الاستمرار بعشقه المُحرَّم لأغلاي..

وبعد أن فرَغ بيلموت من تجرُّع دماء فرائسه بنهم، حدَّث نفسه مفكراً: «إن البشر ضعفاءُ جدّاً!..لمَ لا يفهم آل بونيفيل ذلك؟!».

كان يلاحظ تضاعف قوته، بعد كل مرّةٍ يتزود فيها بدمٍ بشري، وكان يقوم بتجربة قواه في الريف، حيث ازدادت سرعة عدْوِه بين الحقول، وارتفع مستوى قفزاته، وتعاظم تركيز حواسِّه، سمعه.. وبصره.. وشمّه، فكّر بوحشيةٍ متغطرسة، وهو يستشعر طاقته الهائلة: «فهمتُ الآن، لمَ يمتلك أرماند مثل هذه القوة!.. ذلك الوغد، كان يقتات على دماء البشر وحده، ويمنعنا عنها!».

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

في منزل آل بونيفيل..

رافقت أغلاي إيمانويل إلى ضريح العائلة، ووقفت أمام الجرّة التي تحوي رماد والدها كوتريه، ووضعت زهرةً بيضاء، ثم قالت بحزن: إنني لا أعرف تماماً كيف تبدو ملامحه!.. الجميع يخبرونني بأنني أشبهه..

وبعد لحظةٍ قالت: كنتُ محظوظةً لأنني تمكنت من رؤية وجه أمي قبل أن تموت!.. كان

أمراً مؤلماً أن أحضر دفنها بعد لحظاتٍ فقط من لقائي بها!.. كان ذلك سريعاً جدّاً، وغير مُنصف!.. أردتُ أن أعرفها أكثر، وأسألها لماذا تخلّت عني؟.. أردتُ أن أُخبرها بكل ما مررتُ به، ماذا أحب وماذا أكره، وأحاول معرفة إن كانت تشاركني الشعور ذاته!

رمشت ونظرت للأعلى لتمنع دموعها من التسلل عبر عينيها، فقال إيمانويل: الفرق بيني وبينكِ، أنني رأيت والديّ وعشتُ معهما، وعرفتهما جيداً كما كانا يعرفانني، وهذا الأمر زاد من ارتباطي بهما!.. وبينما مات والداكِ بسبب القدَر، فإن والديَّ ماتا مقتولَين!.. وما زلتُ إلى الآن أفكر، من الذي قتلهما، ولماذا!

ثم قام باحتضانها ليواسيها: ابتهجي، فربما يكون حالكِ أفضل مني!

ضمّته بذراعيها وكانت تشعر بحزنه، وفي تلك اللحظة العاطفية، تغيّرت تعابير وجهه، عندما استنشق رائحة دمها الجذابة، حيث نفذت بقوةٍ إلى أنفه، فطلب منها الابتعاد عنه، فتراجعت للخلف ببطء وانتبهت إلى أنيابه وإشعاع عينيه الذي بدأ يخفت تدريجيّاً، فأخذت نفساً عميقاً وحاولت تهدئة الرعشة بيديها. ولم يلحظ الاثنان، أن أندريون قد اقترب من الضريح وشاهد ذلك العناق، والرغبة الدموية البادية على إيمانويل، فتذكر المنديل الأرجواني المطرز باسم أغلاي، وخطَّ إيمانويل المميز، فشعر بالقلق على مستقبلهما، لأن قوانين العائلة تُحرِّم زواجهما، ولم يسعْه سوى أن يتقدَّم ليقف أمام باب الضريح بعد أن انتبه إيمانويل إلى وجوده، وكان يصطحب جوادَين ويقول: هل أنت جاهزٌ يا إيمانويل؟

فالتفت إيمانويل إلى أغلاي: إنني مغادرٌ في رحلةٍ للصيد مع أندريون، وجب علي أن أودِّعكِ الآن، آنستي..

وعندما لاحظ نظراتها القلقة، قال: سأعود إليكِ قريباً!

وبعد أنْ ودَّعت محبوبها، شاهدت عربةً تتوقف أمام المنزل، هبطت منها باربرا، وكانت

ترتدي قفازين من الصوف، وقبعةً مطرَّزةً بالأزهار، وعباءةً تُدفئها مع برودة رياح الصباح الخريفي..

تجاهلتها أغلاي ووجَت على عجل، بينما عبَرت باربرا حديقة المنزل وهي تفكر بآرميل، فقد كانت تشكُّ به، بعد أن كانت تسمع عن مصاص الدماء المجهول الذي قام بحوادثَ في القصر الملكي، وفكّرت باللحظة التي أزاحت فيها يده عن ذراعها، ولمست بشرته التي بدَت باردةً، لكنها خشيت من مواجهته، فقد يكون أقوى منها، لذلك فضّلت اللجوء إلى الشخص الذي طالما تمنت أن يكون هو من يحميها، ولا أحد سواه، محبوبها غيلبرت..

انتظرت خروجه في توقيت عمله الصباحي، ولم تلبث طويلاً حتى خرج غيلبرت مرتدياً الزي العسكري لحرس القصر، وكانت بزَّته البيضاء تُجسِّد عضلاته وقوامه الرشيق، نظرت باربرا إلى فارسها الوسيم، وتقدَّمت نحوه بلهفة: غيلبرت!

توقف غيلبرت ونظر إليها، فقالت: أودُّ إخبارك بأمرٍ مهم..

انزعج غيلبرت ولم يترك لها مجالاً للحديث، وأكمل سيره وهو يقول: لا وقت لدي يا باربرا لعواطفك التافهة، ألا ترين أني متجهٌ إلى القصر؟

صُدِمت باربرا من كلماته القاسية، ولحقت به على عجلٍ لتقول: لم آتِ للحديث عن مشاعري!.. ثمة شيءٌ سيهمُّك معرفته، أظن أنني عثرتُ على مصاص الدماء المجهول!

لكنَّه خرج ولم يستمع لجملتها الأخيرة، وفي تلك الأثناء، كان الدوق إيبير ينظر إليها خلف زجاج النافذة، وقال منزعجاً: ما الذي فعلتِه لتلك الصغيرة؟

أجابت أغلاي: أخبرتُك، حضرة الدوق، كم كانت باربرا تحاول مضايقتي!.. لم يستمع إلي أحد، أو يحاول مساعدتي، وكانت الأميرة هي داعِمتي الوحيدة!

لكنه قال: ليس على هذا النحو يا أغلاي!.. لقد خاب ظني بكِ!

ثم قال بنبرة غضب: باربرا هي ابنة العائلة، وأي أذىً يصيب أحدنا فهو يصيبنا جميعاً، ولن نتساهل مع الفاعل!

ثم غادر وتركها بعد أن قال: سأتحدث مع الأميرة ديميتير!

بينما ظلّت أغلاي تقف بشموخ، موقنةً بأنها تتعلَّم القوة من ديميتير، وهذا ما يجعلها حيّة، خرج إيبير والتقى بباربرا في حديقة المنزل، ووضع يده بلطفٍ على كتفها: هل أنتِ بخير؟

فهمت باربرا أن والدتها قد أخبرته عمَّا حصل لها، فعبست بوجهها وقالت: لا، لستُ بخير!.. أنا أثق بأنك ستفعل شيئاً لأجلي، أيها الدوق!

أومأ برأسه وقال: لا عليكِ، ادخلي الآن فالطقس بارد!

تردَّدت باربرا في إخبار الدوق عن آرميل. وكانت أغلاي تراقبهما عبر النافذة، وضعت يدها على الزجاج بينما كانت تحاول ابتلاع غصّةٍ احتُجِزت في حلقها: «يبدو ألَّا قيمة حقيقةً لي في هذه العائلة، هذا أمرٌ طبيعي، أن يُفضِّل الدوق ابنة أخته التي يعرفها جيداً ورآها تكبر أمامه، عوضاً عن ابنة أخيه.. البشرية اللقيطة.. التي لم يعرفها إلا للتو!.. الجميع يكرهونني هنا ويحاولون إما تجاهلي أو إيذائي، العمَّة مارغريت وابنتها باربرا، غيلبرت، بيلموت، الدوقة ميرابيل، والآن الدوق إيبير!».

ثم أبعدت يدها عن زجاج النافذة، وحدَّثت نفسها بعزم: «لا أحد منهم يستحق أن أحميه بِصَمتي!».

توغّل الجيش البانسلي في غابات الشرق وشرَع بإنشاء معسكر، وبالرغم من أن ألباين قد تعافى إلى حدٍّ ما، إلّا أنه كان يحاول إخفاء إصابته التي حدثت أثناء قتاله مع رجال أرماند بسبب كتاب النبلاء، فلم يخلع ثيابه أمام أي جنديٍّ بعدها، وكان ينزوي إلى مكانٍ منعزلٍ ليقوم بتغيير الضماد باستمرار، لاحظته زوي، وكانت تُحدث نفسها وهي تراقبه: «إنه يحاول إخفاء ذلك الجرح منذ أن كُنَّا في لورديور، مع من كان يتعارك يا ترى؟.. السيرجنت ألباين بدأ يصبح غامضاً..».

جال الكونت أرماند بين جنوده ليشرف على التجهيزات، ولكنه توقف فجأة أمام زوي قاطعاً شرودها، فرفعت رأسها ولاحظت نظراته الغريبة تجاهها، واضطربت نبضات قلبها، ونهضت على الفور لإلقاء التحية العسكرية، واقترب ألارد قلِقاً عندما لاحظ وجود أرماند معها..

أرماند باستنكار: هذا غريب، لقد أخبروني بأن الملكة أرسلتك معنا لتَميُّز مهارتك يا ليون!.. ولكنك تبدو ضئيلاً للغاية!.. ما الذي يُميّزك إذاً؟

صمتت وحاولت السيطرة على ارتباكها، وتفاجأت عندما قال أرماند بتحدٍّ: أرِنا ما لديك!

واستلَّ سيفه مباعداً بين ساقيه في وقفةٍ ثابتة، فتجمهر الجنود حولهما وهم يصيحون بحماسةٍ وتشوّقٍ لمشاهدة المبارزة، بينما كانت زوي تتصبب عرقاً وتفكر: «أخشى الاقتراب منه أثناء المبارزة، فقد يلامس بشرتي ويلاحظ برودتها!.. سأضطر لإخفاء قواي.. وإبطاء سرعتي، يجب أن أقاتل كالبشر تماماً، وبمهارات السيف التي أُتقنها فقط!.. ولكن في الوقت ذاته، يجب ألّا أسمح له بهزيمتي، فعندها ستتحول شكوكه إلى يقينٍ حول ضآلة حجمي، الأمر الذي سيجعله يفطن إلى أنني فتاة!!.. إنني الآن أواجه خطراً ذا حدّين، فإمَّا أن يكتشف أنني فتاة، أو مصاصة دماء!».

ورغم تلك المخاطر التي حاصرتها، وأعين الجنود التي حملقت بها، بحثت عيناها بين الوجوه، لتعثر عليه، نظرت إلى عينيه بغصّة: «ألارد!».

كان ألارد مرتبكاً مثلها، ولم تمرَّ الثواني السريعة، حتى رفع أرماند سيفه.. وهجم عليها..

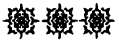

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الرابع

«٤»

https://t.me/fantazynov

ولم تمرَّ الثواني السريعة، حتى رفع أرماند سيفه.. وهجم عليها، فقامت بصدِّه بسيفها والتحم السيفان على مستوىً موازٍ لذراعيهما، فسحب أرماند سيفه إلى الوراء ثم هجم مرةً أخرى، واستمرَّت زوي تصدُّ هجماته بمستوى القوة نفسه، كانت نظرات أرماند تجاهها ثاقبةً، وعيناه تلمعان بإصرار، فثمة أمرٌ يجعله يصرُّ على هزيمتها..

كان ألارد يبتلع ريقه الجاف بتوترٍ وهو يرى ذلك الالتحام بينهما، والنظرات الغامضة التي كانا يتبادلانها، إلى أن اقتحم المبارزة أحد الجنود، صائحاً: الرومبيانيون قادمون باتجاه المعسكر!!.. لقد قتلوا عدداً من حراس المنطقة!!

عندها تحرك أرماند لقيادة الموقف وصدِّ الهجوم، وصاح بجنوده: الخطة الدفاعية (أ)!!.. إلى مواقعكم!!

فتلاشى القادة والجنرالات والجنود كلٌّ إلى موقعه، وهبّ الجنرال أبوليون لقيادة جيشه وفقاً للخطة، وأحاطت فرقة الحماية بأرجوس، وكان يترأَّسهم نوي..

أخذت زوي نفساً عميقاً ثم التفتت إلى ألارد الذي بادلها النظرة المتذبذبة ذاتها بين الارتياح والقلق، ثم استلَّ سيفه وهرع لقيادة سريَّته، واعتمرت زوي خوذة رأسها وانضمَّت إلى وحدات المشاة، وشاهدت غبار خيول العدو تلوح من بعيد، فأمسكت بسيفها بقوةٍ.. وتذكَّرت كلمات أندريون عندما سألته:

{سألت بقلق: باستثناء تأثير أشعة الشمس، وبما أن جسدي يتعافى ذاتيّاً من أي جرحٍ أو مرض.. فكيف نموت إذاً؟

نظر إليها بجديّة: سأخبركِ..

ثم أجابها وهو يضرب قبضة يده على قلبه: عندما يخترق نصلٌ حادٌّ قلوبنا!.. أو عندما تُفصل رؤوسنا عن أجسادنا!}.

وتذكَّرت كلماته المودّعة:

{احذري أن تموتي خلال المعارك!.. فأنتِ تعرفين الآن كيف تتفادين الموت، كما أخبرتكِ!}.

فقامت بإحكام شدّ درعها الذي ترتديه، ورفعت الترس الحديدي بمحاذاة صدرها، فقد كانت الخطة الدفاعية (أ) تقتضي استخدام استراتيجية الصندوق، حيث يُفتح المجالُ للقوات المهاجمة للدخول إلى منطقة القتال، ومن ثم الالتفاف ومحاصرتها من جميع الجهات، بالإضافة إلى عدم استخدام السهام من قِبَل وحدات الرماة إلَّا بعد أن تدنو قوات العدو وتُحاصَر بداخل الصندوق البشري المتشكِّل، ثم تنهال السهام وتصيب أكبر عددٍ منهم وتضعف من قوتهم..

تشكَّلت وحدات الجيش البانسلي حسب هذه الخطة، وتُرك المجال مفتوحاً لاقتراب القوات الرومبيانية، وشدّ الرماة أقواسهم استعداداً لإطلاق السهام، ولكنَّ الجميع قد تفاجؤوا عندما انقسم الجيش الرومبياني في هجومه إلى جزأين، افترقا عند نقطة دخول الصندوق، وقام الجزآن بالالتفاف حول البانسليين وتجاوزا حدود المعسكر ليحاصراه من جميع الجهات، باستراتيجيةٍ عكسية..

صُدم أرماند عندما رأى الخطة تفشل، واتضح الغضب على ملامحه عندما قال: يوجد جاسوسٌ بين صفوفنا قد أفشى عن خططنا الدفاعية!!

بدأ الرومبيانيون بالهجوم والقتال دون أن يمنحوا الكونت أرماند فرصة للتفكير بخطةٍ بديلةٍ لإنقاذ الموقف، ورغم تساقط القتلى المتسارع، حاول البانسليون صدَّ تلك الهجمات بكل قوتهم..

صاح بهم أرماند: قوموا بتشكيلة الدرع!!

تشكَّل الجنود البانسليون بهيئة دائرة مواجهةٍ لجيش العدو الذي يحاصرهم، وحيث يحمون ظهورهم من جميع الاتجاهات.. ويحملون التروس الحديدية فوق رؤوسهم وبمحاذاة العدو للحماية من هجمات السيوف والرماح ورشقات السهام..

صاح أرماند: قاتلوا بكل ما أوتيتم من قوة!!.. قوموا باستنزاف هجماتهم!!.. إذا هُزمنا اليوم، فلا معنى لقدومنا إلى هنا!!.. يجب ألّا نخذل ملكتنا وشعبنا!!

تشجَّع البانسليون عندما شعروا بتلك الروح القتالية في صوت الكونت أرماند، وازدادت ثقتهم به أكثر، وكان الدم يتدفق باتِّقادٍ عبر شرايين زوي والعرق يتصبب من جبينها، فقد كانت المرة الأولى التي تعيش فيها لحظاتٍ مرعبةً كهذه، وتخوض حرباً عنيفةً بينما يتصادم درعها بين دروع الرجال المحيطين بها من كل اتجاه، ولكنها رغم ذلك، كانت تمتلك ثقةً عالية، لأنها تعلم بأنها تفوقهم قوةً.. ووحشية!

وبينما كان أرماند يقاتل ويدير تلك المعركة الحامية، انتبه إلى ذلك الجندي الضئيل الحجم، ذي التحركات الخاطفة، والذي كان مستمرّاً في إسقاط الأعداء بضربات سيفه المتسارعة ودون توقف، كان يناور في جميع الاتجاهات على نحوٍ لا يُشبه تحركات البشر، ولا يقدرعليه سوى.. مصاصي الدماء!

كانت زوي تقاتل بكل قوتها واندفاعها، ولم تلحظ أن أرماند كان يضع عينيه عليها، متلهِّفاً لمعرفة هويتها من تحت الخوذة التي كانت تغطي ملامحها، فعبر بين جنوده متجهاً نحوها، ومدّ يده ليمسك بها من الخلف، ولكنَّها سرعان ما اختفت وسط زحام الجنود ودروعهم المتماثلة..

تمكَّنت فرقةٌ من الرومبيانيين من الدخول إلى المعسكر، وأشعلوا النيران في الخيام والمؤن، وبينما كان الجنرال أبوليون وجيشه يحاولون الدفاع عن المعسكر من الداخل، أحاطت بهم النيران وحالت بينهم وبين أميرهم، فهرع نوي مع فرقة حماية الأمير لمقاومة الهجمات التي كانت تستهدف أرجوس، وبينما كان الأمير يقاتل، صاح نوي: يجب أن نهرب بك، سمو الأمير!!

وفي المقابل، كانت قوات الخيّالة تقاتل حول حدود المعسكر، ومن بينهم كان ألارد وألباين، أباد الخيّالة العديد من الرومبيانيين الذين حاصروا المنطقة، وقاموا بدفعهم

نحو النيران، وأثناء ذلك، أُصيب قائد الخيّالة، فهرع بعضهم لانتشاله من وسط الالتحام، وانتبه ألارد إلى الحصار الذي طوَّق جنود المشاة، فالتفت نحو ألباين وصاح: يجب أن نتدخل لفكّ الحصار!!.. قُد سريَّتك بذلك الاتجاه!!

والتفت نحو الرقباء الآخرين، ووجّههم للنواحي الأخرى، ثم قال: فلنشتتهم ونسمح لجنودنا بالنفاذ من تلك الدائرة!!

تفاجأ الجميع من سرعة بديهته واختياره لخطة المبادرة، وطريقته في توجيه الأوامر لهم بالرغم من أنه مساوٍ لهم في المرتبة العسكرية، فترددوا بين قائدهم المصاب غير القادر على توجيه الأوامر، وبين توجيهات ألارد المنفعلة، ولكنَّ ألارد لم يترك لهم وقتاً للتفكير، فقد رفع لجام جواده وانطلق: ما الذي تفعلونه؟!.. هيا!!

فتبعه الرقباء ومن بينهم ألباين، وقادوا جنودهم بالاتجاهات التي حددها لهم ألارد.

وكان البانسليون يتساقطون بداخل ذاك الحصار واحداً تلو الآخر، وتناقص الدرع البشري الذي كانوا يشكّلونه، فنظر الجنود إلى قائدهم أرماند بعد أن شاهدوا النيران التي التهمت معسكرهم، والأعداد الضخمة لقتلاهم، الأمر الذي بدأ يُثبط من عزيمتهم، ويُشعرهم بأن الهزيمة مؤكدة، وبأن الانسحاب هو الخيار الأمثل، وكان أرماند يفكر سريعاً بسبيلٍ للخلاص..

وبعد تدهور الأوضاع، وانهيار معنويات الجيش البانسلي بعد رؤيتهم لتقدُّم الرومبيانيين، والخسائر المستمرة، تدخلت قوات الخيَّالة أخيراً، وبدأ الرومبيانيون بالتساقط والتبعثر في جميع الاتجاهات، وفور أن رأى أرماند مجالاً للخروج من ذلك الحصار، أمرَ جنوده قائلاً: الالتفاف المضاد!!.. أسرعوا!!

تسلل البانسليون عبر المجال المفتوح، وقاموا بالتفافٍ معاكس حول صفوف الرومبيانيين المتلاشية، وبدؤوا بالهجوم المضاد بآخر ما تبقّى لهم من قوةٍ ورمق، ورفع أرماند سيفه مشيراً لقائد الرماة الذي كان يقف على تلٍّ مرتفع، ففهم القائد توجيهات

الكونت وأمر جنوده بإطلاق السهام، حيث أصبحت منطقة الرومبيانيين محددةً وواضحة، فانهالت عليهم رشقات السهام وبدؤوا بالتساقط تِباعاً..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

وقف الدوق إيبير أمام الأميرة ديميتير في أحد أروقة القصر، وبعد أن انحنى لها، قالت: من النادر أن تطلبَ رؤيتي أيها الدوق، فلا يبدو أن بيننا أعمالاً مشتركة!

ردَّ إيبير: للأسف سمو الأميرة، أن يكون طلبُ رؤيتكِ لسببٍ غير جيد، سببٍ يمسُّ عائلتي!

ابتسمت: أتقصد باربرا؟

أومأ برأسه، فقالت: هذا ما جنَته باربرا على نفسها، فمن يحاول أن يتحداني.. أو يتعرَّض لأصدقائي، فإنه يُحرق نفسه بيديه!

ولكنه قال: ما حدث لباربرا لم يكن مجرد نزاعاتٍ تافهةٍ بين فتاتين، فذلك الحادث كان خطراً عليها، ومُهيناً أيضاً لآل بونيفيل، ولم يكن لائقاً بكِ كأميرة!.. لذا أعتقد أننا يجب أن نصل إلى تسويةٍ حتى لا يتطور الأمر إلى مستوىً لا يريد كلانا الوصول إليه!

رفعت ديميتير أحد حاجبيها، وقالت بنبرةٍ قوية: هل تهددني، دوق إيبير؟

قال: إنني فقط.. أطلب منكِ عدم التعرّض لعائلتي!

ديميتير بنبرةٍ متحدية: وإلّا؟

أجاب إيبير: سأضطر لإطلاع الملكة عمّا يجري!

ابتسمت بغطرسة: إذا كنتُ أخشى الملكة كما تظن، فإنني لم أكن سأنجح بتأديب باربرا،

ذلك اليوم!.. لا أخشى أحداً، دوق إيبيرا!.. فلتعرف مع من تتحدث، وابتعد من أمامي الآن، قبل أن أضعك في قائمة أعدائي، وأعمل على إزالتك من منصبك!

ثم قالت بابتسامةٍ خبيثة: لدي مستنداتٌ تدينك أيها الدوق!.. أجل، الاختلاسات التي كنتَ تموّل بها أملاك عائلتكِ!

ابتلع الدوق ريقه، فذلك آخر تهديدٍ كان يتوقعه من الأميرة، وأدرك أن عليه أن يضع حدّاً لها، قبل أن يفقد منصبه وسمعته..

❁❁❁

وبعد غروب الشمس..

في منزل مارغريت بونيفيل..

عادت باربرا إلى منزلها، وأقفلت باب حجرتها، واتجهت إلى الخزانة وفتحتها، ثم نظرت إلى آرميل، كان يقرأ كتاباً على وميض شمعة، فنهض بتثاقلٍ وهو يقول: ربما نسيتِ أن هناك شخصًا جائعًا ينتظر عودتك!.. هل يعقل أن تستغرقي النهار بطوله في الخارج؟

قالت بجدية: ليس من شأنك!

نظر إليها بزاوية عينه وقال: أنا جائع!!.. لا تنسي أن من واجبكِ إطعامي، وإلَّا فإنني سأركض إلى تلك الأميرة لتُطعمني!

قالت بانفعالٍ بعد أن استفزَّها: توقَّف عن تهديدي بديميتير!!

ثم خلعت معطفها وقالت بينما تُعلِّقه: ستجلب الخادمة العشاء بعد قليل!

اقترب آرميل من خلفها وابتسامةٌ على وجهه، وقال بنبرة ساحرة: هل تعلمين.. إنني أفتقد وجود امرأةٍ تعتني بي!

وحاول لف ذراعه حول كتفيها، واستغرب أنها لم تقاومه، فابتسم بعد أن اطمأن إلى أنها بدأت تنساق إليه وتنجذب لإغوائه، ظلّت باربرا صامتةً وهادئةً بينما كان يحتضنها

من خلفها، وتجرأت لتضع يدها فوق يده، وتلامست بشرتاهما.. الباردتان..

أيقن آرميل أن تلك البرودة النابعة من جسدها.. وانعدام رائحة الدماء الجذابة منها، والتي كان يشتمُّها في جميع النساء اللاتي قام بخداعهن، هي أمرٌ يؤكد أنها مصاصة دماء، فنطق بصوتٍ هادئٍ وعذب محاولاً إغواءها: لقد حرَمتني عائلتي من الحصول على دفءٍ كهذا!

قال جملته تلك ولم يتوقّع أن باربرا ستفاجئه، عندما قالت: كفاك كذباً، فلا يوجد أي دفءٍ ينبع من جسدي!

صمت مذهولاً، وصدَمَته باربرا أكثر عندما قالت وهي تزيح ذراعه عنها: وكذلك، فأنت لستَ من عائلة موتارد!!

والتفتت مباغِتةً لتواجهه بنظراتها الماكرة، وعينيها اللتين لمعتا بثقةٍ وتحدٍّ، كقطةٍ شقيَّة..

❁❁❁

(رومبيانيا ــ غابات الشرق)

كانت نتائج المعركة سيئةً لكلا الطرفين، فقد انسحب منها الرومبيانيون بعد الهجوم المضاد الذي أفقدهم عدداً كبيراً من الجنود، وخسر البانسليّون كذلك أعداداً أكبر من القتلى، وإصاباتٍ من الجرحى، إضافةً إلى الخسائر الفادحة التي ترتَّبت على احتراق المعسكر، وجزءٍ كبيرٍ من مخزون الطعام والأسلحة..

كانت زوي عطشةً للغاية، فعبَرت خارج حدود المعسكر لتبحث عن فريسةٍ في الأدغال، حتى رأت أحد جنود الأعداء يستند على جذع شجرةٍ، وبدا أنه مصابٌ وبحالةٍ متدهورة، فلمعَت عيناها برغبةٍ جامحة، عندما قال لها متوسِّلاً: سأعطيك ما تريد!.. أرجوك لا تقتلني!

لكنها اقتربت منه وقالت: سأخلِّصك من ألمِك!

فأشرقت عيناه بأمل النجاة، لكنَّه ذُعر عندما رأى شعاعاً أحمرَ بدأ بالظهور في عينيها، وقبل أن تُتَاح له الفرصة لينطق، هجمت زوي على رقبته وقامت بعضّها بسرعةٍ خاطفة، وأخذت تتجرع دماءه كاملةً، حتى جفَّت الحياة منه، وانتهى جُثَّةً هامدة..

فنهضت عنه وقد تجددت طاقتها واستعادت قواها، ثم أغلقت سُترته جيداً لتُخبِّئ آثار العض..

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

عندما كان آرميل يحاول استمالة باربرا، تظاهرت بأنها انساقت إليه، لكنها فجأةً قلبت اللعبة، وبينما كان يقف مذهولاً، قالت: آسفةٌ لأنني خيبتُ ظنك، فلستُ الحمقاء التي كنت تتوقعها!

وبعد لحظة صمتٍ استدرك آرميل الأمر، وابتسم متظاهراً بالتعجب: لمَ تقولين هذا؟!

وحاول لمس يدها على نحوٍ عاطفي: هل فعلتُ شيئاً خاطئاً؟

أبعدت باربرا يدها عنه بتحفظ: لا أصدق أنك لا تزال مستمرّاً بالتمثيل!!

ثم أخبرته عمّا حدث في صباح هذا اليوم..

{كانت الشكوك تساور باربرا عن آرميل، فدخلت إلى المنزل لتستقصي من الدوق إيبير عن عائلة موتارد، وبعد أن التقته أمام باب المنزل ودعاها للدخول، تحيّنت الفرصة المناسبة للحديث، وقالت بينما تُقلِّب مُتعلقات جدها بين يديها: سمعتُ بأن دوق أثانسيا صارمٌ تماماً كما كان الجد إيفرانور!

إيبير مستغرباً: توفي دوق أثانسيا قبل فترةٍ وجيزة!.. ما الذي جعلكِ تتحدثين عنه الآن؟

صُدمت باربرا، فأجابت بارتباك: مجرد.. فضول!

ثم بدأت تتحدث عن أبناء عائلة موتارد لتدفع الدوق إلى الاسترسال بالحديث عنهم، فقالت: هل أعلنوا من سيرث منصب دوق أثانسيا؟.. برأيي، ستظل عائلة موتارد محافظةً على مكانتها لزمنٍ طويلٍ، لأني سمعت بأن لديها الكثير من الأحفاد!

قال إيبير: لا يوجد من الأحفاد سوى شابٍّ وفتاة، لن تتوارث العائلة ذلك المنصب طويلاً!

تساءلت باربرا: أتعني ذلك الشاب الأشقر الذي يتردد على البلاط، فقط؟

ثم أخذت تقلِّب عينيها بابتسامةٍ غامضة، وقد فهمت الأمر..}.

ظلَّ آرميل صامتاً بعد أن أخبرته عن وفاة الدوق موتارد وعن حفيده الذكَر الوحيد، ولم يبدِ أي ردة فعل، فقالت: أعلمُ بأنك مخادع، فلم أصدِّقك منذ البداية، لكنني كنتُ أجاريك لأعرف ما الذي تنوي الوصول إليه؟

ثم وضعت يديها حول خصرها بثقةٍ وقالت: والآن أخبرني من أنت وما هدفك الحقيقي؟

لم يحرِّك آرميل ساكناً، وبدا وكأنه يستجمع أفكاره، ليقرر أمراً ما، فاقتربت منه باندفاعٍ وإلحاح: أجبني!!

لكنها تفاجأت عندما قبض على معصمها بقوةٍ وقال: اتبعيني، سأريكِ شيئاً!

وذهلت عندما جذبها نحو الشرفة وقفز بها نحو غصن الشجرة هابطاً إلى الأسفل، وكانت متفاجئةً: انتظر!!..إلى أين؟!

❁❁❁

(بانسيلينوس)

كانت داناي تسير ليوم وليلةٍ كاملةٍ من العطش والتعب، إلى أن وصلت إلى أقرب قرية، وأخذت تأكل بقايا الطعام بنهم شديد، فقدَّمت لها إحدى السيدات ماءً، بعد أن

أشفقت عليها، وسألتها: لم أركِ هنا من قبل، ما الذي جاء بكِ؟

أخبرتها داناي بأنها تائهة، وسألتها: كيف أجد عربةً تنقلني إلى مولنيا؟

قالت السيدة وهي تدور بعينيها حول طرقات القرية بحَيرة: حسناً، إن سكان قريتنا الصغيرة لا يذهبون عادةً إلى مولنيا لأنها بعيدة، ولكن قد تجدين عرباتٍ تذهب إلى مولنيا، في البلدة المجاورة، أورانوس!

خفق قلب داناي عندما سمعت الاسم الأخير، فهي البلدة التي شوهد فيها رجال أرام من قِبل أحد الغربان، وقد أضاء ذلك الاسم شعلةً صغيرةً بداخلها.. وتوقاً لرؤيته!

ففكرت بارتباك: «قد أكون قريبةً منك الآن!.. لمَ اضطرب قلبي؟».

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

كانت ليلةً حالكةً عندما جذبها من يدها عبر الحديقة الخلفية، وكانت تتلفت حولها بتوترٍ خشية أن يراهما الخدم، وظلَّت تتساءل: ما الذي تفعله؟!.. إلى أين تأخذني؟!

توقف أمام الحظيرة، فنظرت إليه باندهاشٍ عندما دخل مسرعاً وخرج وهو يحمل دجاجةً تتلوى وتصيح في قبضته، وقفت باربرا بتعجبٍ تحاول فهْم ما يجري، ولكنَّه أجاب تساؤلاتها عندما جثا على ركبتيه وأمسك بالدجاجة بعنفٍ ثم عضَّ رقبتها إلى أن توقفت عن الحركة، وأخذ يشرب دماءها..

حينها تيقنت من أنه مصاص دماء، فاتسعت عيناها اندهاشاً، ورفع آرميل عينيه المُشعَّتين ونظر إليها، وقد وضع الدجاجة الميتة على الأرض بهدوء، وكانت الدماء تلطخ ثيابه ووجهه، واستمرت لحظة صمتٍ بينهما، إلى أن بكى آرميل فجأةً، ولم يكن يعلم حقّاً، أكانت تلك الدموع تمثيلاً من أجل اكتمال المسرحية، أو أنها كانت تنبع من أعماقه فعلاً..

أخذ يبوح لها عن طبيعته الوحشية، وعن اللعنة التي أصابته وجعلته مختلفاً عن البشر، ثم قال: أرغب بالموت!.. لأني لا أريد أن أوذي أحداً!

اقتربت منه وأمسكت بيده، فرفع رأسه ونظر إلى عينيها متسائلاً: ألستِ خائفةً مني؟

سألته بجدية: آرميل!.. هل ولدتَ في بانسيلينوس حقّاً؟!

استغرب آرميل من سؤالها: ما الذي تقصدينه؟

فكّرت باربرا: «لقد أخبرونا بأنه لم ينجُ من كروفستروفا سوانا!.. ولكن، إن كان من كروفستروفا، فلِمَ أشعَّت عيناه باللون الأحمر.. وليس الثلجي؟!».

كان آرميل حذراً من نظراتها المتفحِّصة، فراودته الشكوك عمَّا يدور بذهنها، لكنها تجاهلت سؤاله الأخير ودخلت إلى الحظيرة، وذُهِل عندما عادت إليه تحمل دجاجةً أخرى، وقد برَزَت أنيابها، ففغر فاه بعد أن رأى لون الإشعاع المختلف في عينيها، وقد فهِم الأمر..

قامت باربرا بشرب دماء الدجاجة وألقَتها على الأرض بإهمالٍ بعد أن فرغت، ولعقت شفتيها، ثم نظرت إليه، فقال متظاهراً بالصدمة: لا يمكن!

أجابته: لستَ وحدك يا آرميل!

ابتسم آرميل لنجاح خطته، فقد تمكَّن من الإيقاع بها وجعَلها تعترف بالحقيقة بعد أن كشف عن وحشيته أمامها في تلك المسرحية الدموية التراجيدية، وكانت ردة فعلها.. كما توقَّعها تماماً، فلا يزال يمتلك الخبرة بعواطف النساء..

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

تنقَّلت خادمةٌ بين ممرات المنزل لتُطفئ الشموع، ولم تشعر إلَّا ويدٌ قويةٌ تمسك بذراعها،

وقبل أن تصرخ.. أطبقت يدٌ أخرى على فمها، جذبها إلى حجرته ثم قال وقد ظهرت أنيابه وأشعَّت عيناه الثلجيتان وسط الظلمة: أخبريني ما فائدة وجود الخدم في منزلنا، إذا لم نروِ عطشنا من دمائهم؟

قالت مستجديةً: لورد بيلموت، أرجوك!.. دعني أذهب!

لكنها بكت بصمتٍ وألمٍ ممتزجٍ بالقهر، عندما كان بيلموت يغرس أنيابه في رقبتها، غير مكترثٍ لاستجداءاتها، وبعد أن روى عطشه، قال مهدِّداً: إياكِ أن تحاولي فتح فمكِ لأي فردٍ في المنزل!.. لأنني سأمزق رقبتك!

جثت الخادمة على الأرض باكيةً، وقامت بمسح الدماء عن رقبتها وحاولت إخفاء الآثار تحت ثيابها، كما اعتادت أن تفعل في كل مرةٍ يهجم عليها بيلموت، وبالرغم من أن العائلةَ تُجرِّم الاعتداء على الخدم، إلّا أن خيار الحديث لم يكن متاحاً، تماماً كخيار ترك العمل لدى آل بونيفيل، فقد وقّعت على كتمان أسرارهم، وتسليم نفسها كمِلكيةٍ أبديةٍ لهم، مقابل إعالة أسرتها، وبعد أن كانت ترى الخادمات يُقتلن عند هربهن أو بَوحِهن، أدركت أنه لم يعد هناك طريقٌ للعودة إلى الحياة.

❁❁❁

(بانسيلينوس)

في صباح اليوم التالي..

وصل الاثنان إلى الكهف، وشعرا بالرطوبة المنبعثة من رشح المياه الذي يغطي صخور الكهف الجيرية، وأخذا ينظران إلى الرواسب المُتدلّية من السقف، بينما عبَرت الخفافيش فوق رأسيهما هرباً..

أخذ أندريون يُحلل الآثار الظاهرة، فنظر إلى بعض أدوات الطعام الصدِئة، وإلى الرف الخاوي، والذي كانت كالغينيا تخزِّن كتبها السحرية فوقه، وبينما كان إيمانويل يبحث بعينيه حول المكان، عثر على بقايا رمادِ لنارٍ مخمدةٍ منذ زمنٍ بعيد، وقد امتزج الرماد

بالطين الذي يكسو أرضية الكهف، ورأى في تلك البقعة شيئاً ما، فقام بالتقاطه ليريه لأندريون: ما هذا؟

اقترب أندريون ليتفحَّصه، ثم قال: إنها نوعٌ من الإبر التي تستخدم لسحب الدم من الوريد!

ظهر الاهتمام على وجه إيمانويل عندما مال في وقفته ورفع أحد حاجبيه: وما الذي تفعله أداةٌ طبيةٌ مع ساحرة؟

أندريون مُفكِّراً: أظنُّ أنها طقوسٌ سحريةٌ من نوعٍ ما، يبدو أنها قامت بسحب كميةٍ من دماء أحدهم، ثم ألقتها في النار أو ما شابه!

رفع إيمانويل الإبرة إلى مستوى عينيه ليُحدِّق بقطرات الدماء الجافة المترسِّبة بداخلها والتي لا تكاد تُرى بوضوحٍ مع طبقات الأتربة التي تراكمت عليها مع مرور الزمن، ثم قال: لو أمكننا معرفة إلى من تنتمي هذه الدماء، لكنها قديمةٌ جدّاً، ورائحتها قد انعدمت تماماً!

وقام بإلقائها على الأرض بإهمالٍ وهو يقول: يبدو أننا لم نجد ما يُفيدنا هنا!.. علينا الاستقصاء من سكان البلدة المجاورة، إذا كان أحدهم يعلم إلى أين كانت وجهة الساحرة!.. وما علاقتها بالرجل الأعور الذي قالوا بأنها اختفت بعد لقائه!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

دخل أرام بخطواته السريعة إلى كهف الفيركولاس وخلفه جنوده، وانحنى أمام بالتازار، فانسدل شعره الأسود الطويل ليُغطِّي جسده، ويُلامس الأرض..

ابتسم بالتازار مُرحِّباً: زيس!

سأل أرام: ما هي الخطة، سيدي؟

نظر بالتازار إلى كالغينيا لتشرح الأمر، فقالت: لقد بدأت الحرب بين بانسيلينوس ورومبيانيا، وأصبحت دفاعات بانسيلينوس في أضعف حالاتها، إنه الوقت الملائم للهجوم!.. يجب أن نُسيطر على منطقةٍ كبيرةٍ من بانسيلينوس قبل حلول موعد القمر الأحمر!

وتغيرت نبرة صوتها بعد أن ابتسمت بشعور الهيمنة والنصر: وفقاً للحسابات الفلكية، فإن ظاهرة القمر الأحمر ستكون مُختلفةً هذه المرة!.. ستبطئ سرعة دوران القمر والأرض في تلك الليلة، فأنظمة الكون تعمل لمصلحتنا!

رفع أرام رأسه ونظر إليها من بين خصلات شعره، فقالت: اتحاد المختارين الثلاثة لمثل هذا التوقيت ضروريٌّ!.. فبعد بحثٍ طويلٍ في كتب السحر القديمة، تمكَّنتُ من إيجاد وسيلةٍ لإخضاع آرميل وزوي، ولكنها ستستغرق وقتاً!

ثم التفتت إلى بالتازار ليُكمل الحديث عنها، فقال: ستذهب يا زيس مع الفيركولاس إلى بلدة أورانوس، وتقومون بتحويل كل رجلٍ قويٍّ قد يفيدنا هناك، فنحن نحتاج إلى مُضاعفة أعداد قوّاتنا!.. ومن أورانوس ستكون نقطة انطلاقنا، وسنستمر بالزحف نحو لورديور!

أومأ أرام برأسه طاعةً ثم قال: كما تأمر سيدي، ولكنَّ جنودي يحتاجون إلى قبعاتٍ جديدة، فقد تمكَّن آرميل من معرفة نقطة ضعفهم وسرق قبَّعَاتهم، مما اضطرنا للاقتصار على السير في الليل..

قالت كالغينيا وهي تجمع يديها بعضهما مع بعض باستياء: أخبَرَنا رسولك عن هذا، ونحن نعمل الآن على تجهيز قبعاتٍ جديدة!.. إن آرميل يتمتع بذكاءٍ يجعلنا لا نندم على اختيارنا له!

وقف الأمير أرجوس أمام الجنود المصطَفِّين بانتظام، وتحدّث الكونت أرماند: استعدوا للمعركة القادمة!.. لقد خطط الرومبيانيون لذلك الهجوم المفاجئ على معسكرنا، وتعمَّدوا إحراق المؤن لإضعافنا، فمن المتوقَّع أنهم ينوون القيام بهجومٍ آخر لكي يقضوا علينا تماماً!.. ولكننا لن نجعل أمنيتهم تتحقق، فنحن أقوى مما يظنون!

ثم قال بنبرةٍ محفِّزة: يجب أن نثبت لهم ذلك في معركتنا القادمة!.. ثم نتقدم إلى أن نصل إلى أقرب بلدةٍ للتزود بالطعام والأسلحة.

ووفقاً للتوقعات التي أخبره بها الجنرال أبوليون، تحدَّث أرجوس بصوتٍ جهوريٍّ وإرادةٍ قوية: لن نسمح للهجوم السابق أن يُثبط من عزيمتنا!.. ها قد بدأنا للتو.. ولن ننظر إلّا للأمام!!

رفع جنوده سيوفهم وهتفوا لأميرهم، ثم قام أرماند باستدعاء ألارد، وقال: لقد لجأ السيرجنت ألارد إلى التصرف بتلقائيةٍ عندما كانت وحدات المشاة تواجه خطراً، وكانت وحدات الخيالة غير قادرة على الحصول على توجيهات قائدهم الذي أُصيب!

كان ذاك القائد يقف بجانب أرماند، معتضداً ذراع أحد جنوده ليساعده على الوقوف، وأثنى بدورِه على ألارد عندما وضع يده على ذراعه: أحسنت عملاً، سيرجنت ألارد!

كانت زوي تراقبه بفخر، عندما انحنى وأجاب بتواضع: قمتُ بواجبي فقط!

اتجه القادة بعدها إلى خيمة أرجوس لمناقشة الخطط العسكرية، واقترح الجنرال أبوليون خطةً بحكم خبرته في تضاريس المنطقة، وأشار إلى جبلٍ على الخريطة: سنقوم بجذب العدو لتكون أرض القتال في الممر الجبلي هذا، إنها منطقةٌ وعرة!

اتفق أرجوس وأرماند على تلك الخطة التي حازت على إعجابهما، ولكنَّ أرماند قال: لن نركِّز جميع قوّاتنا في الممر الجبلي، لأن الرومبيانيين سيكونون أكثر إدراكاً للتعامل مع وعورة جبالهم..

فطلب منه أرجوس أن يوضِّح اقتراحه، عندها أجاب الكونت مشيراً على الخريطة: علينا أن نجذب احتياطاتهم وتركيزهم باتجاه الجبل، ثم نقوم بالهجوم على الجانب الآخر من قوّاتهم بواسطة جزءٍ أكبر من قوّاتنا..

ثم أخذ يشرح على الخريطة موضِّحاً: لنفترض أنهم ركّزوا دعمهم على المقدمة والجناح الأيمن المتجه للجبل، وبينما تقوم المعركة في الممر الجبلي، ستلتف قوات الخيالة التابعة لنا من الناحية الأخرى للجبل لتهاجم الجناح الأيسر لجيشهم، والذي سيكون بالتالي أقل عدداً.

قال الجنرال أبوليون مُبسِّطاً: إنها خطة تعتمد على قوات التدخُّل، سمو الأمير، وتعدُّ عمليةً دفاعيةً تركِّز على تدمير العدو من خلال هجومٍ مباغتٍ من قِبل قوات التدخل، حيث سيقومون بالانتظار إلى أن يصبح العدو في وضعٍ ومكانٍ مناسب لهجومٍ مضاد، مع استغلال التضاريس بالطبع.

أيَّد أرجوس الخطة ثم لمعت في عينيه فكرةٌ ما، فقال بابتسامةٍ ماكرة: لدي خطةٌ إضافية..

❁❁❁

مع غروب الشمس..

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

بعد طريقٍ طويلٍ، وصلت داناي إلى أورانوس مع إحدى العربات المسافرة، ثم أخذت تسير في الطرقات لتبحث عن أرام وتسأل عن أوصافه، إلى أن توقفت أمام بائعٍ متجول يخطو مسرعاً، وسألته: مرحباً سيدي، هل شاهدت أشخاصاً يعبرون البلدة ويرتدون قبعاتٍ سوداء كبيرة، وثياباً داكنة؟

لكنها تفاجأت عندما أدركت أن الرجل كان يدفع عربته مذعوراً: ابتعدي عن طريقي!!

بدا وكأنه يهرب من شيءٍ ما، وانتبهت داناي إلى الفوضى التي كانت تحدث خلفه في نهاية الطريق، حيث كان الناس يصرخون ويركضون هرباً، الجميع يتدافعون ولا يكترث كل منهم سوى بنفسه، كانت وجوههم تبحث عن مفرٍّ وملجأٍ، وتنشُد الخلاص من موتٍ يُطاردها..

ذعرت داناي، وعجزت عن الحراك وسط الأفواج الهستيرية، وكان الناس يدفعونها بعيداً عن طريقهم، سألتهم: ما الذي يجري؟!

ولكن لم يكن أحدهم يُبالي ليتوقف حتى يجيبها، إلى أن سقطت أمامها امرأةٌ عجوزٌ فساعدتها داناي على النهوض، وأشارت لها العجوز بالاختباء في فتحةٍ أسفل أحد المباني، فاختبأت داناي معها وسألتها: ما الأمر؟!.. ما الذي يحدث؟!

ارتعدت العجوز فجِعةً وقالت بدموعٍ حائرة: إنهم وحوش!!.. لقد أكلوا ابني، ونهشوا جثته أمام عيني!!

وقبل أن تستفسر داناي عن تلك الكلمات المفزعة، أو تحاول مواساتها، سمعت الاثنتان صوت صرخاتٍ مرعبةٍ، والتفتتا لتشاهدا مصاصي الدماء، كانوا يمزِّقون رقاب البشر بأنيابهم، ويتجرعون دماءهم بوحشية..

ازرَقّت شفتاها واتسعت عيناها بذعرٍ وشهقت، ثم فكرت بعد أن أصابها الهلع: «الرجال ذوو القبعات السوداء، إنهم أتباع أرام!..هل أرام.. بهذه الوحشية؟!».

وتساءلت باستنكار: «لا يمكن أن يكون أرام كهذه المخلوقات!!.. هذا مُحال!!».

كان أرام قد أمرَ جنوده الفيركولاس بالانتشار في أورانوس والاندماج مع المارَّة ثم الهجوم المباغت وتطويقها من الخارج بحيث لا يُسمح لأحدٍ بالخروج منها أو الدخول

إليها ولا ينجو أحدٌ من سكانها، فإما أن يقتلوه ويتغذَّوا على دمائه إذا كان امرأةً أو رجلاً ضعيفاً، أو يحوِّلوه إلى مصاص دماءٍ إذا كان قوي البنية، حيث يتم إرغام البشري على شرب جرعاتٍ من دم مصاص الدماء المستحدث، ليمتزج مع دمائه وبالتالي تتغير تركيبتها البشرية، فتتضاعف أعداد جنود الفيركولاس، وتخضع أورانوس تحت سيطرتهم كليّاً، وتصبح ضمن نطاق نفوذهم.

❁❁❁

في تلك الليلة..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

استند آرميل بجانب باربرا على حافة الشرفة، وكانت تسأله بنبرةٍ جادة: حان الوقت لتُعرِّف عن نفسك بصدقٍ ودون خداع!

أومأ برأسه، ثم استنشق نفَساً عميقاً وأخبرها عن كل شيء، باستثناء كونِه مُحتالاً معروفاً باسم (بيون بيكارد)، وباستثناء الفيركولاس وارتباطه بهم..

ثم سألها: هل تعرفين مصاصي دماءٍ عدا آل بونيفيل؟

أراد أن يعرف ما إذا كان لعائلتها تواصلٌ مع بالتازار، ولكنَّ باربرا استنكرت سؤاله وأجابت: أنا مصاصة دماءٍ نبيلة، أصولي تنتمي لإمبراطورية كروفستروفا، وبونيفيل كانت العائلة الحاكمة هناك!.. كل ما أعرفه، أنها الأسرة الوحيدة التي نجَت من المذبحة وانتقلت إلى عالم البشر!

ثم نظرت إليه: ولكن كونكَ لا تنتمي إلى كروفستروفا، إضافةً إلى إشعاع عينيك الأحمر، فذلك لا يبدو مألوفاً، تتنابني الشكوك حولك!.. أخبرني من أين أتيت؟

أجاب آرميل: كنتُ بشريّاً طبيعيّاً، لم آتِ من مكانٍ خارج بانسيلينوس، ولم تطأ قدمِي سواها!

فسألته بعد لحظةٍ من تأمل وجهه: هل أنت مصاص الدماء الذي ارتكب الجرائم في القسم العسكري؟

أنكر آرميل وبدا أن الأمر لفت انتباهه وأثار فضوله، وعلى الفور سألها عنه، فنظرت إلى الأُفق وضحكت باستهتار: العائلة تبحث عنه، سيقتلونني لو علموا بأني أخبرتك عن كل تلك الأسرار!

فكَّر: «مصاص الدماء في القسم العسكري، هل هي زوي؟!.. كيف ترتكب زوي حماقةً كهذه؟!».

ثم سأل: ماذا كانت جرائمه؟

أجابت باربرا: كل ما أعرفه أنه قتل أحد الجنود هناك، وحصاناً من إصطبل القسم العسكري، لا يخبرنا كبار العائلة بالتفاصيل عادةً، لذا، لا تحاول معرفة المزيد من خلالي!

ثم نظرت إليه بعينين حذرتين: أشك بأن ثمّةَ علاقةً تربطك به!.. هل تحاول خداعي؟

ضحك آرميل: هل لأنني خدعتك مرةً، تظنين أنني سأستمر بذلك؟.. لا أطلب منكِ أن تثقي بي يا باربرا.. ولكني سأدع الخيار لكِ، ستثقين بي من تلقاء نفسك..

ثم أخذ يفكر بعمقٍ حول ما سمعه منها، وتذكَّر كتاب النبلاء الذي كان يتحدث عن آل بونيفيل بشيءٍ من الغموض، وقد انكشف له أخيراً، وعرف من أين جاءت أصولهم المجهولة، وأن بالتازار قد يكون جاء من كروفستروفا أيضاً، وفكَّر: «قد يكونون أعداءً لبالتازار، فمن الغريب أنه لم يتواصل معهم!.. هنالك المزيد مما يتوجَّب علي معرفته!».

ثم استرق نظرةً غامضةً إلى باربرا التي ظلّت تحدّق في الأفق، وضوء القمر يسطع على جبينها..

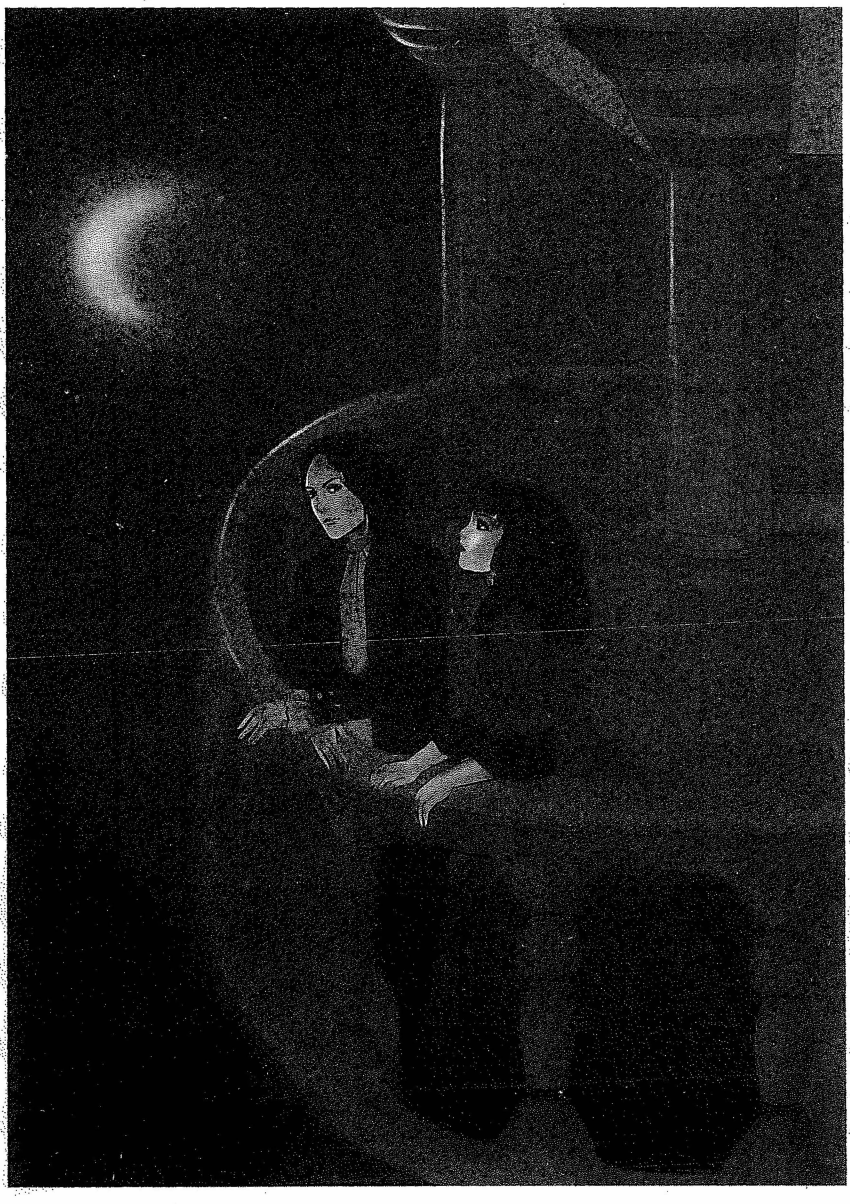

https://t.me/fantazynov

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

وتحت أشعة الشمس الدافئة، والهواء المُنعش الممتزج بالبرودة، كانت أغلاي تغزِل الخيوط الذهبية في شرفة حجرتها، إلى أن سمعت صوت حوافر الخيول، فأطلَّت لترى إيمانويل يصل مُعتلياً صهوة جواده، فتركت ما بيدها وهرعت نحو الأسفل وابتسامةٌ عريضةٌ تعلو شفتيها، كما بدا الشوق مفضوحاً في عينيها، فرمَت نفسها كغريقةٍ في بحر أحضانه، وقالت: لقد اشتقتُ إليك!

تنحنح أندريون فانتبهت أغلاي لوجوده وارتبكت، وابتعدت عن حضن إيمانويل على الفور، لكنَّه أخذ الخيول إلى الإصطبل تاركاً المكان لهما..

أمسك إيمانويل بوجنتيها: أحضرتُ لك هديةً، وأتمنى أن تلائمك..

ابتسمت أغلاي حينما أخرج صندوقاً ومدَّه إليها، وشهقت بفرحةٍ غامرة، عندما فتحت الصندوق ووجدت بداخله أدوات حياكةٍ جديدة..

إيمانويل: إنها أدواتٌ متطورة، جُلبت من خارج البلاد، وجدتُها في أحد الدكاكين أثناء طريق عودتنا!

احتضنته وقالت: شكراً إيمانويل، أحببتُ الهدية حقّاً!

أبعدها عنه بلطفٍ بينما كان يتلَفَّت حوله: ليس من الجيد لو شاهدنا أحدهم، آنستي الجميلة!

كان يشعر بأعينٍ تراقبهما، وبالفعل.. كانت فيوليت الصغيرة تراقب من الشرفة، شعرت بغصَّةٍ وهي ترى أغلاي بين أحضانه، وحاولت السيطرة على دموعها..

ولم تكن فيوليت فحسب، ففي ناحيةٍ أخرى خلف أسوار المنزل، كان يراقبهما شابٌّ ملثمٌ رثُّ الهيئة..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

لجأت داناي مع العجوز إلى أحد المنازل التي تركها أصحابها، وكانت العجوز تقول: ليست المرة الأولى، لكنها المرة الأعنف والأشد رعباً!.. فقد تعرَّضت أورانوس لهجومٍ غامض قبل هذا، ولكننا لم نعرف ما حدث بالضبط، فقد وقعت الجرائم بعد منتصف الليل، بينما كان سكان البلدة نياماً..

جلست داناي أمامها بإنصات، فأكملت العجوز: عرفنا لاحقاً أنهم الرجال الذين يعتمرون القبعات الكبيرة، فقد ارتكبوا العديد من الجرائم بالبلدة، وفُقد بعض رجالنا في ظروفٍ غامضة، ولم يعودوا إلينا بعدها أبداً!.. شَكونا إلى دوق المنطقة، وقام الحرّاس بالبحث والتحري، ولكنَّ تلك الوحوش قد اختفت تماماً كما يذوب الملح في الماء!.. فظنَّ الدوق أنَّ سكان البلدة يكذبون ليحصلوا على تعويضات المؤن التي فقدوها في تلك الغارات..

تنهدت داناي ونظرت إلى الفاكهة على المنضدة أمامها، وبالرغم من أنها كانت تتضور جوعاً، إلّا أنها لم تشعر برغبةٍ بتناولها، لأنها لم تعد ترى سوى وجه أرام الصغير البريء أمام عينيها.. وابتسامته اللطيفة، فحاولت إنكار الحقيقة المؤلمة، ولكنّها خرجت من دوامة مشاعرها وأفكارها، عندما أجهشت العجوز بالبكاء: قتلوه أمام عيني!.. ابني المسكين!!

❁❁❁

(رومبيانيا)

في المنطقة الجبلية الوعرة، ظلَّ الجيش البانسلي يترقَّب هجوم تريتون، ولم يمضِ النهار

حتى زحف الرومبيانيون نحو المنطقة، واحتبست أنفاس البانسليين في ترقُّبٍ للالتحام العنيف، وما هي إلا ثوانٍ حتى حدث الاشتباك، وفور أن أطلق أرماند إشارته، بدأت قوات المقدمة بالتراجع شيئاً فشيئاً نحو الممر الجبلي لاستدراج الرومبيانيين إلى هناك، وبالفعل استمر الرومبيانيون بالزحف خلفهم وفقاً للخطة، وأمر تريتون بتدخل الجناح الأيمن من جيشه لتعزيز ذلك الهجوم.

بدأت السهام تتراشق على الرومبيانيين فرفعوا دروعهم وحاولوا الاختباء بين الصخور، ولكنَّ وعورة المنطقة أبطأت من حركتهم، وبعد أن شاهد تريتون خسارة العديد من جنوده، أمرَ جيشه بالتراجع والعودة إلى حيث القاعدة. ولكنَّ البانسليين لحِقوا بجيشه، فأمر بتدخل جناحه الأيسر لإنقاذ الموقف، والذي كان بقيادة شقيقه أنارغيروس. ولكن، حدث ما لم يكن بُحسبانه، فقد تفاجأ بقوات الخيّالة البانسليين تهجم وتقضي على الجناح الأيسر من جيشه!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

أطلَّت داناي بحذرٍ من النافذة، فرأت الفيركولاس يقومون بتصفية أسرَاهم، ويأخذون الرجال الأقوياء البنية، فقالت: يبدو أنهم سيقومون بتجنيدهم!

أخذت العجوز تبكي فجأةً، بينما كانت تحدِّق بذهولٍ ممزوجٍ بسعادةٍ غامرة: يا إلهي!!.. إنه ابني!.. لا أصدق عينيَّ!!.. انظري يا داناي، إنه هناك، إنه لا يزال على قيد الحياة!!

تمعَّنت داناي في مظهره المخيف، حيث بدا وكأنه جثةٌ عادت إلى الحياة، فقالت بارتباك: سيُجنِّدون ابنكِ أيضاً!.. أنا.. آسفةٌ لهذا، لا أعلم إن كان عليَّ أن أهنئكِ.. أو أواسيكِ!

ثم لفَت انتباهها قائد الفيركولاس ذو الشعر الأسود الطويل، فنبَض قلبها بعنفٍ

وركضت نحو الخارج، وتركت العجوز خلفها تتساءل بقلق: إلى أين تذهبين يا فتاة؟!.. هل جننتِ؟!

ولكنَّ داناي تجاهلتها تماماً، وتجاهلت كذلك وحوش الفيركولاس والمخاطر المحيطة بها، والعالم بأسرِه، فلم تكن ترى أمام عينيها سواه، شاهدته يمتطي جواده مغادراً البلدة، فاستمرت تركض وراءه، متجاوزةً صراخ الناس في الطرقات، والجثث الدامية، المتناثرة هنا وهناك..

ومع كل خطوةٍ واسعةٍ تخطوها، تساقطت قطراتٌ صغيرة من عينيها على الأرض بنعومة، وتمايل شعرها الأشقر خلفها، وغطَّت خصلاته المتشابكة عينيها، لتحجب الرؤية عنها لثوانٍ، ثم ما تلبث أن تنزاح لتُريها الطريق، وخطوات معشوقها..

انطلق متجهاً نحو غابة ميقالوس، فأدركت أنها يجب أن تناديه قبل أن يختفي بين ظلال الأشجار التي بدأت تزداد كثافةً ووحشة، فهمست بصوتٍ به غصة حنين: أرام!

لكنَّ صوتها لم يكن مسموعاً كفايةً، فصاحت بأعلى صوتها: أرام!!

❁❁❁

(رومبيانيا)

وأثناء المعركة العنيفة، أُصيبت زوي إصابةً بليغة، حيث هجم عليها أحد الرومبيانيين من خلفها بفأسه الحادِّ وكسر ذراعها، فسقطت على الأرض ونزفت الدماء بغزارةٍ من ذراعها، وتناثرت دماؤها كبركةٍ حمراء، وظلّت تصرخ بصوتها المبحوح من هول الألم، ثم نهضت ورفعت سيفها بيدها الأخرى، وبخفةٍ وسرعة، تمكَّنت من قتل مُهاجمها، ثم نظرت إلى ذراعها المصابة.. فوجدتها تلتئم سريعاً!

فكَّرت بذهول: «ليست الجراح فقط، بل حتى.. الكسور!!».

وبلا اكتراثٍ سحبت سيفها من أحشاء ضحيّتها، وحاولت الوقوف بثباتٍ على قدميها، ثم رفعت رأسها، لتجد ألارد يحدِّق بها مرعوباً، وقد شاهد كل ما حدث!

حملقت به وقد تيبَّست قدماها وكأنهما علقَتا في وَحل، اقشعرَّ بدنها، وارتعشت شفتاها، واضطربت نظراتها لتبدو كتائهةٍ في صحراء مُقفرة.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الخامس

«٥»

https://t.me/fantazynov

شاهد ألارد الجندي الرومبياني يرفع فأسه نحو صديقته، فهرع إليها محذِّراً: خلفكِ!!

ولكنَّ الفأس كان أسرع من حروفه، فقد هوى على ذراع زوي وكسرها أمام ناظريه، في مشهدٍ مروِّعٍ جعله ينتفض مذعوراً عندما ظنَّ أنها قُتلت بعد تلك الضربة الساحقة، لكنه صُدم عندما رآها لا تزال على قيد الحياة!.. وذُهل أكثر، عندما شاهدها تنهض وتقتل خصمها بسرعةٍ رهيبة، وكأن تلك الإصابة لم تؤثر بها!..ولكنَّ الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد أخذت تحرِّك ذراعها المصابة ببطء.. وبدأ جرحها العميق.. يتضاءل!

شحَب وجه ألارد، ولكنه لم يكن متيقناً مما يراه، فأخذته الظنون بأنه كان يهلوس بسبب نزيف رأسه، ومن حسن حظّها، أنَّ المعركة الضارية حجبت عنه رؤيتها، فتمكَّنت من الاختفاء..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

استمرت تناديه.. ولكنه لم يلتفت، فركضت إليه إلى أن جذب اللجام وأبطأ من سرعته، فتهوَّرَت ووقفت أمام حصانه، وخفق قلبها فور أن رأت ملامحه عن قرب، حيث تغيرت وأصبحت أكثر رجولةً.. وجاذبية!

وبعد أن توقف ونظر إليها، رمشت عيناها بينما كانت تتأمله بنظراتٍ تائهة، لقد التقت أعينهما أخيراً، بعد الشوق والحرمان، فنطقت باسمه: أرام!

أجاب بنبرةٍ جافة: أخطأتِ الشخص، يا فتاة!

وجذب اللجام لينطلق متجاهلاً إياها، ولكنَّها أصرَّت على السير أمامه ولم تتنحَّ عن طريقه، نظرت إلى الندبة الطويلة التي تمرُّ عموديّاً على عينه، بعد أن تجلَّت لها من بين خصلات الشعر التي تغطي وجهه، فقالت بإصرار: بلى، أنت أرام!.. أنا أذكر تلك

الندبة جيداً، عندما دفعك الحصان لتسقط فوق الأخشاب، أنا من ساعدك على تغيير ضمادتك، ولا يمكنني نسيانها!.. أنا داناي!.. هل تذكرني؟

ثم مدَّت له السوار، وقالت بابتسامةٍ متلهفة: لقد صنعتَه لي يا أرام!.. انظر!.. إنني لا أزال أحتفظ به!.. هل تصدِّق هذا؟!

نفذَت رائحة الدماء المنبعثة من عروقها إلى أنفه، ثم نظر إلى عينيها لوهلةٍ من الصمت المُربِك، وهبَّت نسمة هواءٍ لطيفة.. تحرَّكت معها خصلات شعره السوداء.. وتمايل شعرها الأشقر بانسيابٍ ورقَّة، انتظرته أن يلتقط السوار منها، لكنَّه أشاح بنظره عنها، وتجاوزها ليتركها خلفه، فسقط سوارها على الأرض ليحتضن التربة بخيبة، وشعرت داناي بما يشبه الطعنة العميقة في صدرها، عندما نظرت إلى السوار المُلقى بإهمالٍ تحت قدميها، وقد تبلل بدموعها، فالتفتت نحوه وسألت بخيبة: لماذا تغيرت؟!

خشيَت ألَّا تراه أبداً، فحاولت استدراك الموقف، وأخذت تغني له أغنيةً كانت تجمعهما:

(أتينا من كل مكان.. أصبحنا إخوةً ولا دم يربطنا.. سوى أننا نتشارك في المصير..

نحن الأزهار الجياع.. لا نملك غير ابتسامتنا البريئة.. لنُهديكم إياها..).

توقفت عن الغناء فجأةً، وسألت: هل تذكرها؟

كان ينظر إلى الأمام بوجهٍ خاوٍ من أي تعبير، وأشبه بتمثالٍ حجري، لينطق بعد لحظة صمت: لم أسمع بهذه الترهات من قبل، ابتعدي عن هذه المنطقة يا فتاة، وعودي من حيث أتيتِ، فالمكان هنا خطر!

كانت تلك أطول جملةٍ سمِعَتها منه، لكنه اختفى بسرعةٍ مذهلةٍ بعد أن نطق بها، وظلّت تنتظره في المكان ذاته، علّها تراه من جديد..

وعندما كان يعبر الغابة متجهاً إلى كهف الفيركولاس، تمتم بصوتٍ خافتٍ لا يحوي لحناً:

(فهل يمكنكم جعلنا نستمر بالابتسام؟).

ثم قال ببرود: كلماتٌ لا تحمل في طيّاتها سوى البؤس!

❁❁❁

(رومبيانيا)

تزعزعت صفوف الرومبيانيين إثر الهجوم المُباغت من قوات التدخُّل البانسلية، وكاد أنارغيروس ينهار لولا أن شقيقه تريتون كان متمرِّساً في فنون الحرب، فقد قام على الفور بتعزيز الدفاعات على الجناح الأيسر مما أدى إلى تزايد أعداد القتلى بين صفوف الجيش البانسلي، فبدأ يضعف تدريجيّاً، وقرر الكونت أرماند أن الانسحاب هو الخيار الأمثل في مثل هذا الوضع المستمر بالتدهور، وأمر جنوده بالتراجع.

ضحك تريتون بعظَمة: الجبناء يتراجعون، فلن يقوى أحدٌ على مجابهة جيشي!

سأل أنارغيروس وهو يجتمع بشقيقه ويشاهد أعداءه يبتعدون: هل نلحق بهم؟

أجابه تريتون بثقةٍ وهو يوجِّه لجام خيله للعودة: لا نريد خسارة المزيد من جنودنا، سيعودون من حيث جاؤوا، فبعد أن نفدت المؤن منهم، لن يتمكّنوا من الصمود أكثر!

نزل أرجوس من الجبل مع حرّاسه، وذهل وهو يرى انسحاب الجيش البانسلي!.. كان يُخيَّل لناظريه في تلك اللحظات السريعة، أنه يرى عرشه يلوح في الأفق، وعمُّه بيلزبيل يجلس فوقه بهيمنة، وينظر ناحيته باستصغار. وتذكَّر كيف قُتل والده مغدوراً من أعمامه الثلاثة، وكيف خطط الخونة لقتله هو أيضاً، وأجبروه على التشرُّد بعيداً عن أرضه، فنطق بغضب: إنه عرشي!!.. وهذه مملكتي!!.. لن أتركها لهم!!

نظر إليه نوي، وقد فهِم ما يراود أميره، فأمسك بسيفه منتظراً أوامره، وبالفعل أطلق

أرجوس أمراً مخالفاً لأمر أرماند، كان مصرّاً على التقدم نحو الأمام وعدم التراجع، وأمرَ نوي بأن يطلق سهماً في السماء. فوصلت الإشارة إلى الكونت أرماند، وبدا أنه كان ينتظرها، عندها رفع الكونت سيفه وصاح: سنقوم بهجومٍ مضاد!!.. كلٌّ إلى موقعه!!

أصبح الجيش في حالةٍ من التشتت والارتباك، وذُهلت زوي عندما سمعت الأوامر المعاكسة، ولكن ألارد سرعان ما أدرك الأمر وقال: هذه هي خطة الأمير أرجوس السِّريَّة!.. التظاهر بالانسحاب والتراجع، ثم الهجوم القوي المضاد!.. لم يُخبرالقادةُ أحداً عنها، حرصاً على ألَّا تتسرب الخطة إلى الأعداء، وحذراً من وجود جواسيس ضمن الجيش!

كان ذلك الهجوم المضاد مفاجئاً وصاعقاً تماماً لتريتون وأنارغيروس والجيش الرومبياني الذي أخذ يتهاوى سريعاً، كأسوارِ قلعةٍ انهارت وتساوت بالتراب بعد زلزالٍ مدمِّر، مما اضطر تريتون للانسحاب في النهاية، وانتصر الجيش البانسلي.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

كانت العربة الفاخرة عائدةً من القصر الملكي، وفجأةً، تم اعتراض طريقها من قِبل مجموعةِ قطّاع طرق، فأطلّت أغلاي برأسها من النافذة، وفهمت ما يحدث: «إنه انتقام باربرا!».

أمروها بالنزول فوراً مهدِّين بقتلها إن لم تفعل، ففتحت باب العربة بعد تردد، وعلى حين بغتة، تراشقت سهامٌ من مصدرٍ مجهول، لتُصيب عدداً منهم، واقتحم المكان شابٌّ فوق جواده، وبدأ بالاشتباك مع قطّاع الطرق بسيفه، وبضرباتٍ سريعةٍ كالبرق، فأصاب مُعظمهم، ولم يتمكَّن البقية من مواجهة مهارته القتالية العالية، مما جعلهم ينسحبون في النهاية..

أطلَّت أغلاي من النافذة لترى وجه مُنقِذها، كان ينظر إليها بحدَّة، فأخذت تفكر: «عيناه الجاحظتان، تبدوان مألوفتين للغاية، الابتسامة المشاكسة، الشعر الرمادي المشعَّث، والرداء الفضفاض المُغَبَّر!».

فتحت باب العربة ونزلت مسرعةً، وقالت بذهول: رايموند!!

هبط رايموند عن صهوة جواده، فسألته باستغراب: ما الذي تفعله هنا؟!.. هل وصلتك الرسالة مع ياني؟!

أجاب: أجل، لهذا السبب جئتُ لرؤيتك!

قاطعهما السائس بعد محاولةٍ بائسةٍ للاستماع لحوارهما: آنسة أغلاي!.. هل أنتِ بخير؟.. هل هناك خطبٌ ما؟!

التفتت أغلاي إليه وقالت: لا بأس، إنه أحد أصدقائي!.. يمكنكَ الذهاب الآن، سأعود إلى المنزل لاحقاً..

نظر السائس إلى رايموند، وقال: شكراً أيها الفارس، لقد أنقذتنا!

وبعد أن غادرت العربة، التفتت أغلاي إلى رايموند بابتسامةٍ دافئة: ممتنةٌ لك يا رايموند، لقد جئت في الوقت المناسب!

لكنه تجاهل عِرفانها، وركب على ظهر حصانه، ومدَّ يده إليها: اركبي!

ركبت خلفه بعد تردد، وظلّ صامتاً طوال الطريق، ولم تكن تعرف إلى أين يأخذها..

❁❁❁

في منزل مارغريت بونيفيل..

وصلت رسالةٌ عاجلةٌ إلى مارغريت، فقرأتها:

(لم تنجح الخطة، تدخَّل شخصٌ مجهولٌ وأصاب بعض رجالي، ونَجَت الآنسة، أعتذر منكِ سيدتي.)

طوَت مارغريت الرسالة باستياء، ومن ثم ألقتها في نار المدفأة. ودهشت عندما سمعت صوتاً يصدر من حجرة ابنتها، فصعدت وطرقت باب الحجرة لتسأل: باربرا!.. هل أنتِ بخير؟

ردَّت باربرا: أنا.. بخير، أمي!.. إنني أقوم بترتيب بعض الحاجيات، فقط..

فتحت مارغريت الباب لترى ابنتها تجلس بينما كانت ستائر حجرتها تتحرك مع الهواء المندفع عبر الشرفة. اتجهت مارغريت نحو الشرفة وأطلَّت منها، فابتلعت باربرا ريقها بتوتر، قالت والدتها بقلق: يستحسن أن تغلقي الشرفة، فالهواء باردٌ هذه الأيام!

تهكَّمت باربرا: وكأننا نمرض يا أمي!

وقفت مارغريت أمامها وقالت بجدية: أرسلتُ مرتزقةً للانتقام لكِ من تلك البشرية واختطافها، إلّا أن الأمر لم ينجح، لكني أظنها حصلت على التخويف اللازم!

ابتسمت باربرا برضاً وامتنان: أمي، لا أعرف كيف سأعيش بدونكِ!

بادلتها مارغريت تلك الابتسامة، ثم غادرت بعد أن أغلقت الباب خلفها، وكان آرميل متشبثاً بأعمدة الشرفة، ويداه مُجهدتان من ثقل جسده المُعلّق في الهواء، نظر نحو الأسفل حيث الحديقة، فرأى إحدى الخادمات تقف بجمودٍ وتحدّق به بذعر، وما أن تلاقت أعينهما، أشار لها بلطفٍ أن تصمت، ولكنها صرخت: لص!!.. لصٌّ في المنزل!!

فارتبكت باربرا وأطلَّت من شرفتها لتنقذ الموقف، لكنها رأته يركض هارباً..

❁❁❁

بينما في أرياف لورديور..

في مكانٍ هادئٍ عند الجدول، حيث لمعت النجوم على مياهه المُنسابة، توقّف الحصان ونزل عنه رايموند، ثم مدَّ يده إلى أغلاي ليساعدها على النزول..

سألته: لماذا جئت بي إلى هنا؟

ابتسم بهدوء: هل تذكرين هذا المكان؟

تلفتت حولها، ثم قالت محاولةً التذكُّر: لست متيقنة، هل جئنا إلى هنا في نزهةٍ مع أبراكساس؟

اتسعت ابتسامته ثم جذبها ليقف أمام أحد الأحجار على جانب الجدول، وأشار إلى ما كُتِب على الحجر: (أغلاي ورايموند – عام ١٦٠٠).

ظهرت ابتسامةٌ عريضةٌ على شفتيها، عندها قال: هل تذكرين الوعد؟

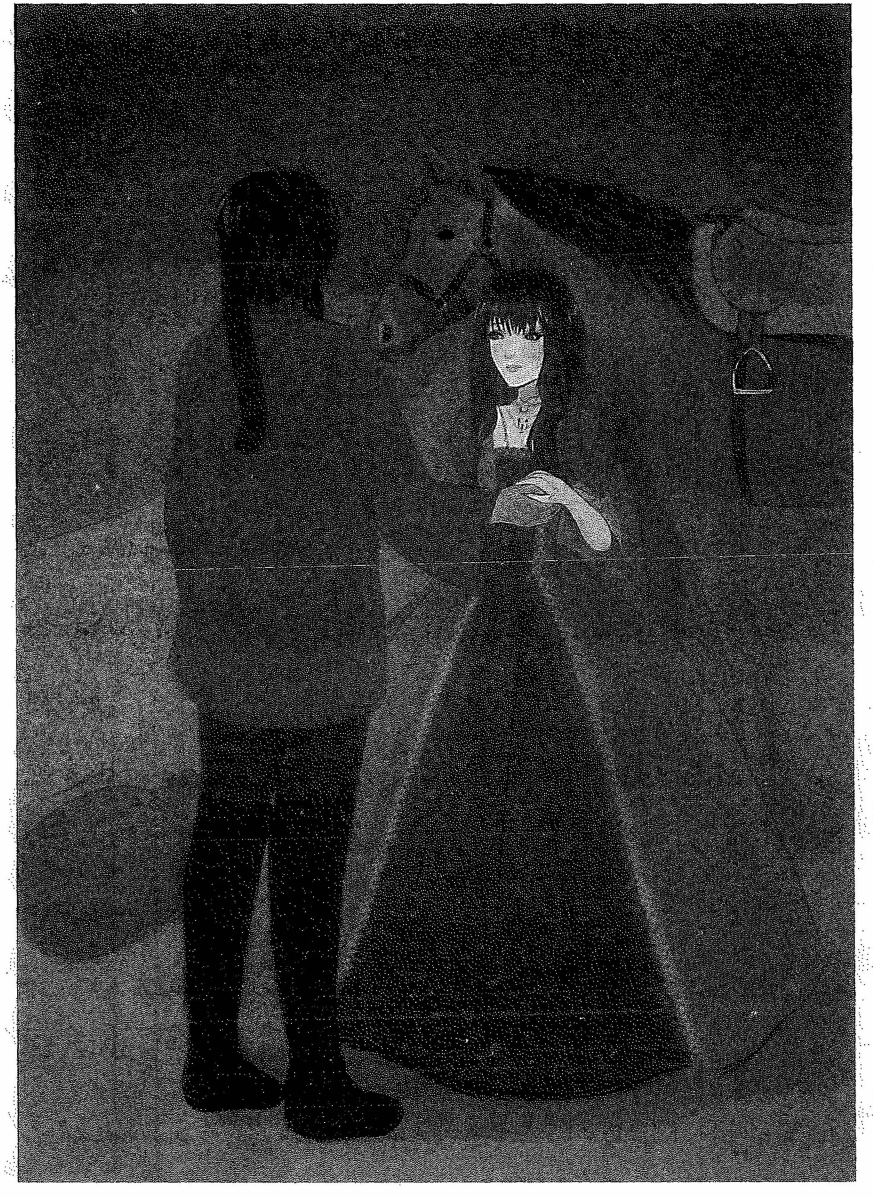

تذكّرت أغلاي ما حدث قبل اثنتي عشرة سنة:

{كتب رايموند على الحجر بينما كان يقول: سنعود لرؤية هذا الحجر، عندما نتزوج!

ابتسمت بخجل، فأمسك بيدها وقال: هل تعديننني؟

سألت مستغربةً: بماذا؟

أجاب: لن تسمحي لفتىً أن يمسك بيدكِ هكذا.. سواي!

خجلت ونهضت: ما الذي تقوله!.. هيا، لنعد إليهم!

جذب يدها بقوة: كلا!.. عديني أولاً!

قالت بامتعاض: كم أنت مزعج!.. حسناً، أعدك!.. فلنعد الآن!}.

التفتت إليه ضاحكةً: أجل، أذكره!

قال لها: ماذا عن اللورد إيمانويل، إذاً؟.. رأيتكِ تمسكين بيده، وترتمين في حضنه في فناء منزل بونيفيل!

اتسعت عيناها وعبست شفتاها، بمزيجٍ من الدهشة والانتقاد: هل كنتَ تراقبني؟.. هل أنت جاد؟.. كنا صغاراً آنذاك، وكان وعداً طفولياً!.. لا أصدق أنك لا تزال تأخذه على محمل الجد!

ثم قالت وهي تدفعه ممازحةً: ثم لا تقارن نفسك باللورد إيمانويل، انظر ما الذي يملكه اللورد، وما الذي تملكه أنت!

ظهرت ابتسامةٌ صفراء على شفتيه: لا تزالين جشعةً كما عهدتك!.. هل هذا ما يهمكِ فعلاً؟

أجابت: ليس تماماً، إنني أعشقه فعلاً.. لجاذبيته وعذوبة كلامه!

قام بتسريح شعره المشعث على عجل: مظهري لا يعجبكِ إذاً، أنتِ محقة!.. فالفتيات لا يفضلن اللصوص!

ضحكت ثم تذكَّرت بحنين: هل تذكر.. عندما كنتُ أطلب منك المساعدة في عدِّ الآرغنتات التي أجنيها، ولم أكن أدرك أنك كنت تتظاهر بالعدِّ.. بينما تسرق مني خفيةً!

ضحك رايموند، ثم سأل: مثلما تمكنتُ من سرقة هذه؟

ورفع يده لتنظر أغلاي إليها، وترى مشبك الشعر الذي أهداه لها إيمانويل، وتُذهل: كيف أخذته؟!.. أعده إلي!!

غضبت وظلَّت تلاحقه، بينما كان مستمرّاً بالضحك، إلى أن بدأت قطرات المطر تتساقط بلطفٍ فوقهما..

❁❁❁

في تلك الليلة..

اقترب الدوق إيبير من إيمانويل ليسأله بشكّ: أصبح شقيقك بيلموت يخرج كثيراً في مثل هذا الوقت!.. إنه ليس من النوع الذي يهتم بالفتيات، لذلك فلا أظنه يتردد على المومسات!

أجاب إيمانويل محاولاً التستر على شقيقه: إنه يقضي الليل في الحانات، أظنُّه بدأ يُدمن الشرب!

كان إيمانويل يراقب تحركات الدوق أثناء سكبه كأسين من الدم، ثم قدَّم له كأساً وهو يسأله: حسناً، ما الموضوع الذي رغِبت بالحديث معي عنه؟

التقط إيمانويل الكأس وجلس على المقعد مسنداً ظهره وواضعاً بثقةٍ ساقاً فوق الأخرى: دوق إيبير، سأتزوج أغلاي!

لم يبدُ إيبير متفاجئاً، وكأنه كان مستعدّاً للرد، فأخذ بضع خطواتٍ حول مكتبه وقال: الجميع يعلمون بأنك تضع عينيك على ابنة كوتريه، ولكن يستحيل حدوث هذا!.. زواجك من بشريةٍ يعني مخالفتك لقوانين العائلة الصارمة، وبالتالي.. سنضطر لقتل أغلاي يا إيمانويل إذا ما حَبلت، وأظنّ أنك تدرك هذا!!.. فلن يتكرر خطأ كوتريه، ولن تقبل العائلة بمزيدٍ من النسل البشري!

ثم قال: ستكون ابنتي فيوليت زوجةً مناسبةً لك، استعدَّ لهذا وابدأ بالاهتمام بها، عليك أن تزيح ناظريك عن أغلاي، حتى لا نضطر لإبعادها عن المنزل، وإلغاء الاعتراف بها كفردٍ من آل بونيفيل!

مرّ إيمانويل على حجرة أندريون، ووجده يجلس أمام شمعةٍ منهمكاً في التحديق في شيءٍ ما في يده، فسأله: ما الذي تفعله؟

أجاب أندريون: لن تصدِّق هذا يا إيمانويل!

ثم التفت وعيناه تلمعان بلهفة الإنجاز: لقد قمتُ بتحليل الإبرة التي عثرنا عليها في كهف كالغينيا، قمتُ بإذابة قطرات الدم الجافة بصهرِها بحرارة الشمعة، وحاولت تمييز رائحتها..

تلهفّت أُذنا إيمانويل لسماع الإجابة، حتى نطق أندريون بابتسامةٍ هادئة: إنها تعود لمصاص دماء!

لم يُذهل إيمانويل كثيراً، فهذا ما كان ينشُده، وقال مفكراً: نظراً لقِدَم قطرات الدم، أعتقد أن صاحبها هو من قام بتحويل زوي وأصدقائها متعاوناً مع كالغينيا، فإما أن يكون من آل بونيفيل.. أو آل بيلغرين، أو ربما.. مصاص دماءٍ آخر، تمكن من النجاة من كروفستروفا!

وقف متأملاً الحديقة عبر نافذة حجرته، وقال: يجب أن أجد تلك الساحرة!.. لقد

زارها والدي مرةً، ولا أعلم إن كان قد تردد عليها بعد ذلك..

سأل أندريون: أنت تعتقد أن لها علاقةً بمقتل والديك، أليس كذلك؟

إيمانويل بصوته البارد الذي يخبئ غضباً بين رعشاته: بلى، كالغينيا، ومصاص الدماء الذي استحدث زوي وأصحابها، هناك رابطةٌ بدأت تتضح كالشمس التي أحرقت والديَّ!

ولم يلحظ أحدهما أن غيلبرت كان يتنصَّت عليهما خلف باب الحجرة.

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

فتحت عينيها، لتجد نفسها تنام في الغابة بين الحشائش، وتحت ظلال الأشجار الضخمة الكثيفة، وأشعة الشمس التي تسلَّلت عبر الأغصان المتشابكة، لتسطع على جبينها، وتمنح المكان دفئاً غامضاً. حدَّثت داناي نفسها وهي لا تزال مستلقيةً على ظهرها بيأس: «إنني أتساءل.. لمَ تسطع الشمس رغم الأحزان، ولمَ تستمر العصافير بالتغريد؟.. لمَ لا يبدو كل شيءٍ كما كان؟.. لا أستطيع أن أفهم، لمَ يستمر قلبي بالنبض؟.. ولمَ لا أزال أحبه، رغم البشاعة التي رأيتُها؟.. لمَ لا يمكنني نسيان عينيه القاسيتين، وكأنهما تنظران إليَّ من عالم الموتى؟.. لا أعرف حقّاً، لمَ تبكي عيناي الآن؟.. ولمَ أشعر.. وكأنها نهاية الحياة؟».

أغمضت عينيها باستسلامٍ للقدَر، وأطلقت تنهيدةً عميقةً مصحوبةً بدمعةٍ انسابت سريعاً:

«إنَّ الحياة تنتهي فعلاً.. عندما أخسرُ حبك الصادق، وعندما تتجاهل وجودي.. وترحل!».

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كانت تلك آخر أيام جمع المحاصيل، وبينما كان المزارعون يجنون الثمار، ركض ياني عبر الحقول مُطارداً الفراشات، إلى أن دفعه مزارعٌ عن طريقه وهو يقول: هل تربي السيدة أطفالاً؟!.. اذهب للعب بعيداً عن هنا!!

كانت دفعته قويةً، مما جعل ياني يصطدم ببرجٍ من الصناديق الخشبية المصفوفة بعناية، فتساقطت وتهشّمت، وتناثرت منها الثمار لتتلطخ بالتربة الطينية، ولم يسيطر ياني على توازنه فسقط فوقها وأفسد كميةً كبيرةً منها..

غضب عليه مزارعٌ آخر، وصرخ به: أيها المعتوه!!.. انظر ماذا فعلت؟!

اقتربت منه المزارعةُ المُسِنَّة وقالت وهي تصبُّ غضبها عليه: لن ترحمنا السيدة إذا كانت كمية المحاصيل ناقصة!!.. يا لهذا الغبي!!

رنّت تلك الكلمة في أذن ياني، وعبَرت به خلال الزمن، لتكشف عن أسوأ ذكريات حياته، الاضطهاد والألم، الجوع والمعاناة، وشعور الضعف والدونية..

قامت المرأة بجمعها عن الأرض بمساعدة البقية، بينما كان أحدهم يتذمر: ما الفائدة من وجوده في المزرعة؟!.. إنه يأكل بلا مقابل.. ويعطِّلُ عملنا!

وبما أن داناي لم تعد موجودةً للدفاع عنه وتحمّل مسؤولية أخطائه كما اعتادت أن تفعل، أصبح المزارعون يعبِّرون عن انزعاجهم منه ويسيئون إليه بشكلٍ مستمر، ولكنه لا ينطق، نهض ياني عن الأرض وركض إلى المنزل حيث دليا، والتي قلقت عندما رأت مظهره: يا إلهي، ياني!.. ثيابك متسخةٌ بالطين، هل سقطت من فوق الخيل؟!

قام ياني بحكِّ أذنه وهو يقول: في الواقع، سقطتُ فوق الثمار وأفسدتُها، أنا آسف!

وضعت يدها على كتفه وقالت: لا بأس!.. هل تأذيت؟!

قال وهو يمنع دموعه: الجميع يكرهونني لأني غبي!..هل أنا غبي؟

شعرت بصدمةٍ من سؤاله، وفهمت الأمر، فسألته بقلق: هل قال أحدهم ذلك؟

أجاب وعيناه تتقلبان بيأس، وكأنه يحاول أن يخبِّئ خيبته الكبيرة في نفسه وفي من حوله: أبراكساس كان يقولها دائماً، لكنَّ أخي آرميل كان يغضب عندما يقول أحدٌ ما بأني غبي، لذا لم يجرؤ أحدٌ على قولها عندما كنت معه. عندما تركني أخي آرميل، عاد الناس ليقولوا بأني غبي، هل كان أخي آرميل هو من يجعلني ذكيّاً؟

رفع رأسه وحدّق بعينيها منتظراً إجابتها، فابتلعت غصَّتها وفكّرت، ثم انحنت تجاهه ووضعت يدها على رأسه: أنت لستَ غبيّاً يا ياني!..ألا ترى كيف تبدو رسوماتك دقيقةً وجميلةً جدّاً؟.. هل يمكن للآخرين أن يصنعوا مثلها؟.. لا يفعل هذا إلا الأذكياء فقط!

فرح ياني وضحك وهو يحني رأسه خجلاً: أجل، لا يمكنهم ذلك!

ابتسم لها بعد أن جعلته يشعر بالارتياح، ثم اتجهت نحو الحقول بخطواتٍ سريعة، فتوقف المزارعون عن العمل فور أن رأوا سيدتهم وخلفها إيوانا التي أشارت لهم بالتجمُّع..

امتعضت المرأة المُسَنَّة وهمست للمزارع الآخر: إنها غاضبة!.. لقد وشى بك ذلك المدلل!

اجتمع المزارعون حول دليا، فقالت بنبرةٍ جافة: ياني هو أحد أفراد العائلة!.. يجب أن تحترموه كسيدٍ في المنزل!.. وجميع طلباته ستكون مجابة!

تضايق المزارعون والخدم من هذا التمييز لشابٍّ لقيط ومشرد، وأخذوا ينتقدون دليا بعد أن غادرت، ويتكلمون عن علاقتها الغريبة مع ياني، وقال أحدهم: لقد فقدت الآنسة عقلها تماماً بسبب عاطفتها تجاه ذلك المعتوه!

- إنها تعاني من الوحدة، لقد فُتنت الآنسة بوسامته، وأصابها الجنون!.. كيف تجعل المشرد سيداً علينا لمجرد كونه وسيماً؟!

كانت إيوانا تسترق السمع، وشعرت بالضيق كثيراً لأجل سمعة سيدتها..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في مجلسها الملكي، استنكرت أفروديت الشكاوى التي بلَغتها من الفلاحين الذين قدِموا من أرياف لورديور ليستنجدوا بها من هجوم حيوانٍ مجهول على مزارعهم، وأخبروها عن ضحاياهم الذين فُقِدوا لأيامٍ ثم وجدت جثثهم في أنحاء متفرقةٍ من الريف، وقد قُتلوا جميعهم بطريقةٍ واحدة، إمَّا بعضَّةٍ على الرقبة أو الرسغ. كما وصلتها شكاوى مماثلة وقعت في بلدة أورانوس. فعلَّق أرتشيم قائلاً: أعتقد أنها الأسطورة جلالتك!

تذكَّرت أفروديت:

(توجد مخلوقاتٌ متوحشة، تعيش في مكانٍ بعيد، قد تبدو جميلة المظهر، وتمتلك عقولاً كالبشر، لكنها تتغذى على الحيوانات، وعلى البشر).

لكنها لم تتجاوب معه لأنها لا تصدِّقها تماماً، والتفتت لتسأل إيبير بعد أن لاحظت التوتر الذي حاول إخفاءه: هل تعرف شيئاً عن هذا الأمر، أيها الدوق؟

أجاب: سأتحقق من الأمر وأعود لأخبركِ بكل شيء، جلالتك!.. أستأذنكِ بالمغادرة!

❁❁❁

منزل آل بونيفيل..

عاد الدوق إلى منزل أسرته ليأمر إيمانويل بالبحث عن المشتبه به الوحيد: شقيقك بيلموت!

وأردف آمراً: اذهب لإيقافه!!

فتفاجأ بيلموت عندما أسقطه إيمانويل أرضاً وهو يخنقه قائلاً: لقد علِم البشر عن وجودنا، بسببك!

نهض بيلموت حانقاً، ودفع شقيقه عنه بعنف، وأخذ يتحدث بفخرٍ عن القوة التي اكتسبها بعد شرب دماء البشر، وكيف استطاع التصدي لقوة إيمانويل التي لم يكن يوماً يستطيع التفوق عليها، فردَّ إيمانويل: لقد عَلِمَت الملكة عن ضحاياك!.. ولن يستغرق الأمر طويلاً حتى يتوصَّلوا إليك!.. لقد أمرني الدوق بإيقافك!.. وستتوقف هنا، وحالاً!

❁❁❁

(رومبيانيا)

كانت القوات البانسلية في أضعف حالاتها بعد المعركة الدامية، الجنود جرحى، جائعون ومنهكون، حيث تنقصهم المؤن والإمدادات. كان ألارد يراقب زوي، ولكنها كانت تتحاشاه لأنها تخشى أن يطلب تفسيراً لما رآه. ولكي لا تُتيح فرصةً ليقترب منها، أخذت تتدرب على المبارزة مع زملائها طوال الوقت، ولكنَّه ظلّ يشاهد قوة ضرباتها بالسيف، بتلك الذراع التي لم تتأثر بعد الإصابة.

في اجتماع القادة، قال الأمير أرجوس: الطقس آخذٌ في البرودة، فالشتاء يقترب، وعلينا أن نصل إلى كليوزهيست سريعاً، قبل أن يُضعِف البرد جنودنا!

أرماند: يجب أن نتزود بالمؤونة أولاً، لذا سنستولي على أقرب بلدةٍ من هنا!

أبوليون مشيراً على الخريطة: بلدة دولين، هي الأقرب والأكثر ازدهاراً، إضافةً إلى ضعف الحراسة فيها..

أرماند مؤيداً: سنعمل على تأمين دولين كقاعدةٍ دفاعية تنطلق منها القوات المهاجمة، وتعود إليها إذا فشلت.

ثم التفت نحو أرجوس وقال: سمو الأمير، بعد الخسائر الفادحة في أعداد جنودنا، والتي أصبحت ضئيلةً مقارنةً بأعداد جنود بيلزبيل الضخمة، نحن نحتاج لمساندة الشعب الرومبياني!

اتفق معه أبوليون: لن نتمكن من مواجهة جيش بيلزبيل بأعدادنا هذه، يجب أن نجمع المزيد من الرجال!.. إضافةً إلى أن كسب مناصرة الشعب سيزيد من فرصنا!

حتى فهم أرجوس مقصدهما وقال بثقةٍ وعزيمة: حسناً، دعوا الأمر لي، فلن يستطيع كسب قلوب شعبي سواي!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

المعبد الملكي..

دخل إيمانويل إلى المعبد الملكي، وكانت روائح الأبخرة النفَّاذة تُزعج أنفه، بسبب حاسة شمِّه الحادة، حيث أشعل الكاهن أرتشيم الأعواد لتوِّه، وبدء بممارسة طقوسه الصباحية..

لكنَّ انسجامه الروحاني قد تشتت، عند شعوره بوجود من يقتحم خلوته، ففتح عينيه ولم يلتفت خلفه، وقال بهدوءٍ وهو لا يزال يضمُّ يديه بعضهما ببعض بحركةٍ طقوسية: من هناك؟

أجاب إيمانويل بعد أن وقف خلفه: إيمانويل بونيفيل!

أرخى أرتشيم يديه والتفت ببطءٍ نحو إيمانويل، ثم انحنى مُحيِّياً: تشرِّفني زيارتك، لورد إيمانويل!

ثم رفع رأسه ورمقه بريبة: لستَ روحانيّاً أيها اللورد، لذا فإنني أتفهَّم سبب قدومك إلى المعبد، كيف يمكنني خدمتك؟

قال إيمانويل وهو يتجول بين أعمدة المعبد العتيقة، ويتأمل زخرفات جدرانه: ربما أكون روحانيّاً إذا آمنتُ بالنبوءة التي طرحتَها على الملك أليكساندروس!.. (جنسٌ غير بشريٍّ سيظهر في أرض القمر)!

تذكَّر أرتشيم أن الكونت أرماند كان حاضراً في المجلس الخاص، عندما طرح الكاهن النبوءة على الملك أليكساندروس وابنتيه، فأدرك أن الكونت قد نقلها لعائلته.

أرتشيم متهكِّماً: لا يكفي أن تؤمن بنبوءةٍ واحدةٍ لتكون روحانيّاً، لورد إيمانويل!

اقترب الأخير منه بخطواتٍ حازمةٍ وطرح سؤالاً مفاجئاً تماماً: ما الذي تعرفه عن مقتل الجنرال إدغارد وزوجته هيلين؟

استغرب أرتشيم، ثم قال ساخراً: لمَ يبحث الشبان عن الثأر لوالديهم هذه الأيام؟!.. لا أعرف شيئاً عن مقتل والديك، عدا ما يعرفه الجميع!

نظر إليه إيمانويل بارتياب، ثم أخرج ما في جعبته من مال وقال: ربما ستعرف الآن!

ردَّ أرتشيم وهو يأخذ المال: كل ما أعرفه، أن عائلتك أخفَت الكيفية التي مات بها والداك، وكذلك.. تُرِك سبب موتهما مجهولاً!

امتعض إيمانويل: لم تأتِ بجديد!

أرتشيم مبتسماً بخبث: ليس هذا ما أتيتَ لأجله فقط، لقد رأيتُ الكثير من التساؤلات في عينيك، منذ الوهلة الأولى!

أجاب إيمانويل بجدية: أنت مُحق، فثمة أمرٌ آخر، الساحرة كالغينيا..

تذكَّر أرتشيم: لقد ساعدتُ اللورد أندريون في بحثه عن أحد الرموز السحرية، أظن أنكما تبحثان عن تلك الساحرة معاً، إن لم أكن مخطئاً!

أومأ إيمانويل برأسه، فأجاب أرتشيم: سمعتُ أنها هجرت كهفها، ولا علم لي إلى أين ذهبت، ولكن، ما الذي تريدانه منها؟

انزعج إيمانويل لأنه لم يعثر على ضالَّته عند الكاهن، فقام بالإمساك بذراعه بقوةٍ مهدداً: إذا تفوهت عن الحوار الذي دار بيننا، فتيقن من أنني سأقطع لسانك!

سار إيمانويل خارج المعبد بيدين خاويتين من أي إجابات، وكان يشعر بأنه لا يزال يدور في دائرةٍ مفرغة..

ولكنه توقف فجأةً عندما رأى غيلبرت يعترض طريقه ويسأله بنبرة شك: ما الذي تفعله هنا يا إيمانويل؟

رد إيمانويل ولم يعجبه أسلوب غيلبرت: ولماذا تهتم؟

تقدَّم غيلبرت نحوه وهو يقول: بصفتي قائداً في الحرس الخاص، فأعتقد أن من واجبي أن أعرف جميع ما يدور في القصر ومرافِقه، هل تعترض على هذا؟

أجابه إيمانويل بهدوءٍ وثقة: كنتُ في زيارةٍ للمعبد، من أجل روح والديّ!..هل تعترض على هذا؟

ثم غادر متجاهلاً غيلبرت، الذي توجه من فوره إلى المعبد ليسأل أرتشيم: ماذا كان يريد إيمانويل؟

رفض أرتشيم الإجابة إلَّا بمقابلٍ كعادته، فامتعض غيلبرت واضطر لإعطائه صرَّةً من المال..

عندها ابتسم الكاهن برضاً وقال: هو وشقيقك الأصغر يبحثان بسريَّةٍ عن رمزٍ يُستخدم في السحر، وعن ساحرةٍ تدعى كالغينيا!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كانت إيوانا تشرف على الخدم أثناء ترتيب الحجرات، وعندما دخلت حجرة ياني المليئة بالألوان والفُرش المبعثرة، ولوحات رسوماته المُفعمة بالحياة، فتحت إحدى اللوحات التي وجدتها مطويةً ومخبأةً بحرصٍ بين ثيابه، وصُدِمت عندما فتحتها، فقد كانت رسمةً لدليا، ولكنها.. عاريةٌ تماماً!

تجهَّم وجهها، وتذكرت عندما كانت دليا تجلس أمام ياني ليرسمها، ولكنَّ الرسمة لم تكتمل، ويبدو أنه أكمل بقية أجزائها من خياله لاحقاً، فقامت بتمزيق اللوحة وأحرقتها في المدفأة، وأخذت تقلِّب عينيها في تفكيرٍ بحلٍّ لهذه المصيبة التي حلَّت على عائلة مونبيتيت: «عندما يعلم السيرجنت ألباين، قد يقتل ياني، أو في أفضل الأحوال سيطرده من المنزل بعد أن يبرِّحه ضرباً!.. فاللورد يفقد أعصابه وينتابه الجنون عندما يغضب!.. وستنهار الآنسة دليا، عندما يصبُّ غضبه عليها!».

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

تحدَّث غيلبرت مع والده على انفراد: إيانويل يبحث عن ساحرةٍ تدعى كالغينيا، من تكون؟

أجاب إيبير: لقد زار والدُه كالغينيا مرةً لصنع قلاداتنا الحامية من الشمس، لمَ تظنه يسعى وراءها؟

ردَّ غيلبرت بريبة: لأنه يعرف شيئاً لا نعرفه!

كانت نظرات غيلبرت ثاقبة، وكأن عينيه ترقصان مع تراقص ألسنة اللهب المنعكس عليهما من المدفأة، نطق بنبرةٍ منتصرةٍ تخفي غموضاً: لقد عرفتُ من يكون..

إيبير متسائلاً: عن ماذا تتحدث؟

أجاب: مصاص الدماء في القسم العسكري!

في المساء..

جلس آرميل على حافة الطريق، ليتناول قطعة رغيفٍ حصل عليها من مخبزٍ عتيقٍ في أحد الأحياء الفقيرة، تكاد القطعة تكون كافيةً لسد جوعه، فبعد هربه من منزل مارغريت بونيفيل، ذهب ليقيم في مبنىً مهجورٍ خلف ذلك المخبز.

وأعادت له رائحة الخبز الساخن ذكرياته مع ياني، فقد اعتاد الاثنان على تناوله من يد مالكة المطعم السيدة إيروسني، أثناء إقامتهما في إيمبياسو. ابتسم بهدوءٍ مصحوبٍ بالقلق، وأخذ يجولُ بعينيه حول المكان وفكَّر: «يبدو أن أرام لم يعد موجوداً في لورديور، فلم أرَ أثراً لرجاله!».

وعندما تيقن من أمان الطريق، اتجه لزيارة باربرا، ولكنه تفاجأ بوجود ثلاثة حرَّاسٍ أمام المنزل، فحدَّث نفسه باستياء: «يبدو أن مارغريت قامت بتعيينهم مؤخراً، بعد أن شاهدتني تلك الخادمة. سأفكّر بطريقةٍ للوصول إلى باربرا..».

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

اجتمع شبَّان العائلة في بهو المنزل بناءً على أمرٍ من الدوق إيبير الذي كان يترأس الاجتماع مع زوجته وشقيقته مارغريت..

قال إيبير بنبرةٍ جادة: من أجل الحفاظ على جنسنا واستمرار نسلنا وسلالتنا الملكية النقية، فقد حان الوقت لإنجاب الأحفاد، لقد قام والدي إيفرانور بترتيبٍ مسبقٍ لتزويج أبناء العائلة!

تبادل الشبَّان النظرات المترددة فيما بينهم، ثم أرعوا انتباههم إلى إيبير الذي قال: لقد قرر الجد إيفرانور أن تكون فيوليت لإيمانويل، وباربرا لغيلبرت، وسنرسل لآل بيلغرين من أجل اقتراح خطوبة فتاتيهم لأندريون وبيلموت!

نظر الجميع إلى غيلبرت الذي قال منفعلاً: محالٌ أن أتزوج باربرا!

والتفت إلى مارغريت قائلاً: لقد عرفتُ الآن سبب تعلُّقِها بي!.. أظن أنكِ قمتِ بإخبارها عن هذه الزيجة منذ صغرها!

مارغريت معترضةً: لم أخبرها عن شيء، كانت ابنتي تتنصت أثناء نقاشنا عن هذا الأمر!

اقترب منه والده إيبير، وأمسك بذراعه وهمس في أذنه بحدَّة: لا تخبرني بأنه بسبب ابنة بيلغرين!

قالت والدته الدوقة ميرابيل بإصرار: هلَّا حاولتَ إعطاء فرصةٍ لمشاعرك تجاه ابنة مارغريت!.. تلك الفتاة المسكينة تعشقك بجنونٍ وأنت لا تبالي!

ألحّ الكبار على غيلبرت ليتزوج باربرا، واستمرَّ بالرفض إلى أن احتدَّ النقاش. ومن زاوية القاعة، رفع بيلموت يده على مضضٍ بعد أن رأى تأزُّم الموقف: حسناً، سأتزوجها أنا، يكفي جِدَالاً!

استغرب الجميع تدخُّل بيلموت، وقراره المفاجئ، فهو الأقل اكتراثاً بشؤون العائلة ومصالحها، والأكثر استهتاراً وطيشاً، والأقل اهتماماً بالفتيات.

ولكنهم اطمأنوا وأبدوا امتنانهم، فقال بيلموت: حسناً، إني أفعل هذا لإنهاء الصراع، واستمرارية النسل، سنقوم أنا وباربرا بمحاولة الإنجاب فقط، لا تطلبوا مني شيئاً آخر، لا مشاعر ولا مسؤوليةً، أو شيئاً من هذا القبيل..

اقتربت مارغريت منه: نحن نشكر مبادرتك يا بيلموت، ستقوم بواجبك تجاه العائلة، ولكن تذكَّر أني لن أسمح لك أن تؤذي مشاعر ابنتي!

أجاب ببرود: ابنتكِ سليطة اللسان، لن يصيبها أذىً إن أمسكت لسانها!

انزعجت مارغريت، ولكنَّ هذا الشاب المتعجرف كان الخيار الوحيد لابنتها، ففضلت الصمت ومجاراته.

ثم التفت الجميع إلى إيمانويل، الذي ظلّ صامتاً طوال الوقت، إلى أن سألته الدوقة ميرابيل: هل من سببٍ لصمتك هذا، عزيزي إيمانويل؟

اقترب منه إيبير ووضع يده على كتفه بثقة: سيتزوج إيمانويل من ابنتي فيوليت!

نطق إيمانويل: لم أقرر بعد، سيصلكم قراري قريباً!

❁❁❁

في تلك الليلة..

مكث إيمانويل في الحانة طوال الليل يشرب حتى الثمالة، كان لا يرى سوى نهايةٍ مسدودةٍ في قصة عشقه التي رسمها بلا تخطيط، فإذا تزوج بأغلاي متحدِّياً بذلك عائلته، سيقتلونها قبل أن تُنجب بشريّاً من نسلهم، وإذا هرب معها، فسيلحقون بهما ولن يدعوهما ليعيشا بسلام، فنسل العائلة أهم من أي شيءٍ آخر. سيضع أغلاي في ذلك الخطر بيديه، لقد عاهد نفسه أن يحميها، لكنه أصبح نادماً على تسرُّعه بإيقاعها في غرامه، لم يقاوم رغبته بها، عَشِقها من الوهلة الأولى، وتمكَّن العشق منه، ليطغى على

قلبه.. ويُعمي عقله. كان يعلم سلفاً بأنَّ هذه هي النتيجة المحتمة، وألّا أمل في عشقهما. فوضع كأسه ونقوده على المنضدة، وغادر الحانة مُترنِّحاً.

❁❁❁

في منزل مارغريت بونيفيل..

وأثناء محاولة باربرا للنوم، فزِعت عندما سمعت صوت ارتطامٍ خارج شرفتها، فخرجت إلى الشرفة بثياب نومها لترى مصدر الصوت، ووجدت سهماً ينتصب على أرضية شرفتها، ولفافة ورقٍ صغيرةً معلقةً به، فالتفتت حولها ولم تجد أحداً سوى الحراس في الأسفل..

التقطت اللفافة وفتحتها لتقرأ:

(أريد رؤيتكِ صباح الغد، ستجدينني خلف المخبز الصغير نهاية السوق.

آرميل.)

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

استلقت أغلاي على سريرها بعد أن ارتدت ثوب النوم الكتَّاني الأبيض، وأسدلت شعرها الداكن المتموج على كتفيها، ليأخذ حريته على وسادتها، وقبل أن يغمض جفنها، اقتحم إيمانويل حجرتها فجأةً، وكان ثملاً ويائساً، ارتمى على سريرها فجأةً فهمَّت بالنهوض مرتبكةً، لكنه أمسك بيدها وضغط عليها بشدةٍ مُترجِّياً: نامي!

ترددت نظراتها الحائرة، فألحَّ عليها: نامي فقط، أرجوكِ!

نظرت باتجاه الباب ورفضت: كلا!!.. فيوليت قادمةٌ الآن لكي تنام!

ولكن بسبب قبضة يده القوية، استسلمت واستلقت إلى جواره، فتحدَّث لها لأول مرةٍ

معبِّراً عمَّا يضايقه، وأخبرها بأن فيوليت مُختارةٌ له منذ الصغر، وأن الزواج ببشريةٍ لن يكون بتلك السهولة، كانت أغلاي تستمع إلى صوته المرتعش وعفويته الصادقة، وعشوائية تدفق الكلمات من بين شفتيه، فأصدقُ الكلام يُقال بعد الثمل، المشاعر المكبوتة، والذكريات القديمة، تظهر على السطح.. وقت الثمالة، لم ترَ إيمانويل على هذا الحال من قبل، فأدركت حجم الألم في صدره..

أمسَك بوجنتها بحزن: قد يقتلونكِ يا أغلاي!.. لمَ يبدو عشقنا مستحيلاً؟.. ولمَ يعاندنا القدر؟

قالت بعد تردد: جِد وسيلةً لتحوِّلني إذاً إلى مصاصة دماء!.. كما حدث مع زوي!

تفاجأ من اقتراحها، وقال بجدية: لن أسمح لذلك أن يحدث!.. أن تكوني مصاصة دماء، هذا يعني المعاناة الأبدية، لا تظُنّي أننا نعيش بسلام!

قاومت أغلاي دموعها، ونظرت إلى عينيه الذابلتين، فجذب معصم يدها ليشتمّ رائحة دمائها: دماؤكِ هي ما يميّزك، لا تفكري بأن تتخلي عنها لتصبحي وحشاً بارد الدم!

ظهرت أنيابه وأشَعَّت عيناه، فسحبت أغلاي يدها بربكة، واستعاد إيمانويل وعيه: أنا آسف!. .يبدو أنني أفرطتُ بشرب النبيذ!.. كِدتُ أوذي يدكِ الجميلة، اعذريني آنستي، فلم أذق دماً منذ مدة.. أنا عطشٌ جدّاً..

ترددت أغلاي بعد أن شاهدت حالته المزرية، كان وجهه شاحباً وكأنه يوشك أن يتحول إلى جثةٍ خاويةٍ من الحياة، فمدّت يدها إلى فمه، ونظر إليها متعجباً: آنستي!

قالت: عندما أمنحك دمي، فإني أمنحك الحياة!.. اغمرني حبّاً، فقربك لا يؤذيني!

أمسك بمعصمها وشاهد شرايينها النابضة، وسألها: هل أنتِ متيقنةٌ يا أغلاي؟.. هل تسمحين لي.. بشرب دمك؟

أومأت برأسها، ولم يُطِق إيمانويل صبراً، فالنبيذ المُعتَّق قد استولى على عقله، وعطشُه

الدموي قد سيطر على جسده، فغرَس أنيابه في عروقها، وتجرَّع دماً لم يذق كلذَّته قطّ!

صرخَت: توقف!!

سحَبت يدها النازفة، وأوقفت النزيف بملاءةٍ قريبة، بينما دمَعت عيناها من هول الألَم، ثم التفتت لتجده قد غطّ في النوم، فاستسلمت للنوم إلى جواره بعد أن تأملت النجوم المضيئة عبر النافذة.

وجلست فيوليت أمام عتبة الباب، بانتظار خروج معشوقها، وكانت تردد هامسةً: اخرج، اخرج.. أرجوك!

مرَّ الوقت بطيئاً.. ودون أن يخرج إيمانويل، فأسندت رأسها إلى الباب، كسيرة الفؤاد، ودامعة العينين..

❁❁❁

ومع بزوغ الفجر..

عاد بيلموت من جولته الدموية في الأرياف، وأثناء مروره عبر الرواق وجد فيوليت تنام جالسةً أمام باب حجرتها، فتعجَّب وأيقظها سائلاً بسخريته المعتادة: هل نمتِ وأنتِ تحرسين أغلاي؟.. لمَ أنتِ هنا؟

رفعت فيوليت رأسها، ثم نهضت على الفور بعد أن أدركت ما يحدث، ولاحظ بيلموت ارتباكها، ففتح باب الحجرة وشاهدهما نائمَين، حينها اقترب ليوقظ أخاه قبل أن يُفتضح عشقهما المحرَّم، ولكنه تفاجأ عندما رأى آثار العضِّ على يد أغلاي، فتوقف مُحدِّقاً بنظرةٍ عميقةٍ وغامضة..

❁❁❁

في الصباحِ الغائم..

تحت زخَّات مطرٍ لطيفة ونفحة هواءٍ باردة، جلس آرميل على مقعدٍ خشبيٍّ متهالك، يأكل رغيفاً دافئاً بينما ينتظر باربرا في ساحةٍ صغيرةٍ وهادئةٍ خلف المخبز..

إلى أن أتت تتلحف وشاحها الأسود الفاخر وتمسك بمظلَّتها فوق رأسها، وتوقفت بالقرب منه: لمَ أردتَ رؤيتي؟

نهض آرميل: لم أتمكن من زيارتكِ بسبب الحراس!

ثم انحنى محيياً ودعَاها للجلوس، فسألته: أين تعيش الآن؟

أجاب مبتسماً: أنا ذئبٌ وحيدٌ ورحَّال، لا مستقرَّ لي ولا مكان!

ثم قدَّم لها رغيفاً ساخناً من جعبته، فقالت بنظرةٍ متقززة: شكراً، لستُ جائعة!

ابتسم آرميل ثم تناول قضمةً وقال: عندما كنتُ في السجن، اعتدتُ مذاق الطعام الرديء، كان مجرد شيءٍ يسدُّ جوعي، ولكنَّ الأمر الذي كان يُنهكني فعلاً، هو عطشي الدموي!

تساءلت باربرا: ماذا كنت تفعل لتشرب الدم؟.. هل كنت تقتل رفاقك في الزنزانة؟

أجاب: لا، فأنا لا أحبذ قتل البشر، كما أنني لستُ بذلك الغباء كي أجذب انتباه الحراس إليّ. كنتُ أقتاتُ على دماء الجرذان التي تمرُّ عبر الزنزانة، لكنَّ ذلك لم يكن كافياً، الانتظار عطشاً لعدة ليالٍ لحين مرور جرذٍ صغير!.. لذلك قمتُ بصنع مصيدةٍ للطيور، باستخدام الديدان كطُعمٍ لجذبها لنافذة الزنزانة، وكانت دماء الطيور أفضل بكثير!

ابتسمت باربرا بإعجاب، ثم سألت: لمَ دخلت إلى السجن؟

تردد آرميل في إخبارها بأنه كان بسبب الاحتيال، لكنه قرر مصارحتها: أنا محتالٌ

مطلوبٌ للعدالة، وأستخدم اسماً مستعاراً لأمارس تحته احتيالي، (بيون بيكارد)!.. وقعتُ في نزاعٍ مع أحد التجار بعد احتيالي عليه، وتم اقتيادي بسببه إلى السجن.

نظرت إليه بحذرٍ وسألت: كنتَ محتالاً؟!... هل يمكن أنكَ تحاول الاحتيال عليَّ الآن؟

أجابها بهدوء: أخبرتكِ بكلِّ ما أردتِ معرفته يا باربرا، ولا أطلب منكِ أن تثقي بي، فالخيار يعود لكِ!

ظهرت السكينة على وجهها تدريجيّاً، فقال بنبرةٍ حزينة وقد وصل إلى الغاية من دعوته لها: تركتُ ياني وحيداً، ولم أره منذ ذلك الحين!

سألت منتظرةً تفسيراً: من يكون ياني؟

طأطأ رأسه، فانسابت خصلات شعره السوداء المتموجة على خديه، لتحجب عن باربرا رؤية الحزن في عينيه، وقال: ياني شابٌّ متأخرٌ عقليّاً، ولا يمكنه حماية نفسه، عشنا معاً منذ الطفولة، وكنتُ أعتني به، لسنين طويلة..

ثم رفع رأسه بنبرةٍ حنونٍ: قضينا زمناً نرتحل أنا وياني في أراضي بانسيلينوس، أحبَّني ياني جدّاً، حتى أصبح يُسمِّيني (أخي الأكبر)..

ثم قال ساخراً من نفسه: كنتُ أحاول أن أخبِّئ عنه حقيقتي الوحشية، فقد كنتُ أحميه.. حتى من نفسي!

ثم التفت إليها بابتسامةٍ حزينة: هل تدركين صعوبة الأمر؟

أومأت باربرا برأسها بعد أن ظهرت لها عيناه من بين تلك الخصلات، وكانت ملامحها تُعرِب عن تأثُّرٍ شديدٍ بقصته، فسألت بعد تردد: أنتَ تشتاق إليه، أليس كذلك؟.. هل.. تعرف شيئاً عنه الآن؟

قال: إنه في القصر الملكي!.. أظنه يعمل رسّاماً!

ذهلت باربرا، فسألها: هل تساعدينني على اللقاء به؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كان ياني يجلس قُرب الحوض، حيث سطعت أشعة الشمس على سطح الماء الدافئ بداخله، كان يفكر بحزنٍ واشتياقٍ لأصدقائه: لمَ يرحل الجميع؟.. حتى إن رايموند لم يأتِ لتناول الذرة فوق السور كما اعتدنا أن نفعل في الصيف!

قامت دليا بتجفيف شعره الذهبي، ثم احتضنت رأسه من الخلف: سآكل معك الذرة، وسنلعب معاً!.. لن تحتاج إلى أحدٍ ما دمتُ موجودةً بجانبك!

كانت إيوانا تسترق النظر إليهما، ثم طرقت الباب ودخلت طالبةً الحديث مع سيدتها على انفراد، ثم عاتبتها: لم يعد هذا لائقاً، آنسة دليا!..لقد بدأ الخدم يتحدثون، وأنا أخشى على سمعتك، ومن أن تصل الشائعات إلى السيرجنت ألباين!

أخذت دليا نفساً عميقاً، ثم تنهدت مطأطِئةً رأسها: أحبُّه يا إيوانا.. أحبُّه!

صمتت إيوانا وظلّت تنظر إلى سيدتها الصغيرة التي سرعان ما نضجت لتصبح امرأةً جياشة العواطف، رفعت دليا عينيها ونظرت إلى مربيتها وكأنها تستجديها: قلبي يؤلمني كلما ابتعد عن ناظريّ، ودمائي تفور كلما علمتُ بأنه تأذى!

احتوتها إيوانا في حضنها الدافئ: آنستي الصغيرة!

دليا بيأس: منذ البداية وأنا أعلم بأن كل هذا.. كان خاطئاً!.. لكنني لم أتمكن أبداً من مقاومة انجذابي له، فعيناه البريئتان.. تأسِراننني!

ثم قالت: في قلبه طهارةٌ لم أشهد مثلها، ولا أريدها أن تتلوث بما يحدث في العالم الحقيقي!.. سيظلّ بريئاً وآمناً، طالما بقي تحت حمايتي!

أبعدتها إيوانا عن حضنها لتنظر إلى عينيها: لا يتوجب عليكِ حمايته!.. لم يطلب أحدٌ منكِ ذلك، حتى ياني نفسه!.. أنتِ امرأةٌ نبيلة، سمعتكِ واسمكِ.. هما أهم ما تملكينه!

جلست دليا على الأرض بِحيرة: ما الذي يمكنني فعله الآن؟.. هل تريدين مني إرساله ليعمل مع المزارعين؟.. لا يمكنني فعل ذلك أبداً يا إيوانا!.. ولن أفعل!

جلست إيوانا إلى جوارها: إذا عاد السيرجنت ألباين من تلك الحرب، فلن يسرَّه ما يجري هنا!.. تعلمين أنَّ غضبَه مخيفٌ جدّاً!

ثم قالت: أرسليه إلى الإصطبل ليعمل بالعناية بالخيول، بما أنه يحبها، ووفري له إقامةً مريحةً هناك، سيبقى داخل الأسوار، وقريباً من ناظريك!

دليا بعد تردد: لن أفعل ذلك!.. ياني لا يستحق الشقاء!

بدا الامتعاض على وجه إيوانا، وأخذت تقلِّب عينيها مفكرةً، وأدركت أنه لا يوجد سوى طريقةٍ واحدةٍ لإنهاء هذا، فاتجهت نحو ياني، وقدَّمت له خاتماً وهي تقول: ياني!.. هذا الخاتم، حصلتُ عليه كهديةٍ من السيدة الراحلة!

نظر إليها بذهولٍ وعلامات التساؤل على وجهه.

https://t.me/fantazynov

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل السادس

«٦»

https://t.me/fantazynov

تفاجأ آرميل عندما أخبرته باربرا: عمِل ياني في القصر لفترةٍ مؤقتةٍ من أجل رسم لوحةٍ للملكة، ثم عاد إلى مولنيا مع دليا مونبيتيت!

ظلَّ يفكر في حياة ياني الجديدة، ويتساءل إن كان سعيداً بالعيش في مزرعة مونبيتيت بمولنيا، ورفع رأسه بعد أن توقفت زخات المطر، وبدأت الغيوم تنزاح عن السماء.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

كان راعي الغنم الجبلي أليكسيو ذو الشعر المغطَّى بالشيب، والذي كان في السابق يعمل في الجيش البانسلي، يعبر من بلدة أثانسيا فوق حصانه الذي يجر خلفه عربةً صغيرة، ليحمل بها كميةً من الأخشاب تكفيه طوال الشتاء، إلَّا أنه تفاجأ عندما شاهد فرساناً يكتسون بالسواد منطلقين باتجاه الشمال الشرقي، حيث أورانوس، فلحِق بهم وشاهد الحصار من على تلٍّ مرتفع، واستنكر الأمر. كان أليكسيو يعيش بسلامٍ في كوخه الدافئ، بين الجبال ورعي الأغنام، لقد أوشك على نسيان حياته العسكرية الماضية، ولم يكن يتوقع، أن حياته الهادئة المسالمة ستتغير.. إلى الأبد..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

عادت داناي إلى المكان الذي التقت فيه أرام، وأخذت تبحث عن السوار لتستعيده، ولكنها بعد بحثٍ مضنٍ.. لم تجده، فأصابها اليأس، ثم سمعت صوت خطواتٍ خلفها، فالتفتت لترى اثنين من الفيركولاس، كانا يبدوان كوحشَين جائعين، فوجود وجبةٍ شهيةٍ في وسط الغابة كان كهديةٍ من السماء لهما، حاولا الانقضاض عليها ولكنها قاومتهما باستماتة، وكانت تعلم بأن محاولاتها البائسة للنجاة لن تجدي، فقد أمسك أحدهما بها من الخلف وقيّد حركة ذراعيها، وفتح فمه الكبير لتظهر أنيابه الصفراء

الحادة.. لتفترس عروق رقبتها البارزة، فأغمضت عينيها بانهيارٍ مودِّعةً كل ما تعرِفُه عن الحياة.

ودون أن تتوقع، انطلق سهمٌ فجأةً أمام وجه مصاص الدماء، ليحول بينه وبين رقبتها، ثم استقر في جذع الشجرة خلفهما، فابتعد الوحش عنها فوراً، وتأهب هو ورفيقه لقتال المهاجم المجهول. وانطلق المزيد من رشقات السهام لتبعدهما مسافةً كافيةً عن داناي، وخرج ثلاثة شبانٍ من البشر هاجمين بسيوفهم، واستمر القتال بضراوةٍ، إلى أن هُزِم الوحشان وهربا في النهاية.

ذهلت داناي عندما شاهدت الغربان الثلاثة، فقال أحدهم: أرسَلنا رايموند لحمايتكِ وإعادتكِ إلى مولنيا!

لكنها رفضت: لن أعود!

قال أحدهم مذهولاً: هل رأيتِ تلك الوحوش؟!.. إنها تسيطر على المنطقة!.. كنتِ ستلقَين حتفكِ قبل قليل!!

داناي بإصرار: أنا ممتنةٌ لكم لإنقاذي، ولكني لن أعود بعد أن عثرتُ عليه!.. أتمنى أن تُبلِغوا ياني والآنسة دليا، بأنني آسفةٌ على رحيلي!

أشفَق أحدهم على حالها وقدَّم لها طعاماً وماءً من جَعبته، قائلاً: يا إلهي، تبدين بحالةٍ مُزرية، إلَّا أنكِ تُصرّين على البقاء في هذه الأدغال الموحشة!.. كُلي واستعيدي قواكِ، فربما فقدتِ عقلكِ بسبب الجوع!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

وقف ياني أمام دليا، ثم جثا على ركبته، ومدَّ إليها خاتماً عتيقاً، وقال: دليا مونبيتيت، هل تقبلين الزواج بي؟

شهقت دليا متفاجئةً، والتفتت إلى إيوانا على الفور، فوجدتها تبتسم مشجعةً، وكأنها كانت تعلم سابقاً، ففهمت أنها هي من خطط لهذا. كان ياني خجلاً ولم يرفع رأسه أبداً لينظر إليها، إلى أن قالت إيوانا: عليكِ أن تجيبيه، آنستي!

تردَّدت دليا: لن يوافق أخي ألباين على هذا!

اقتربت إيوانا لتهمس في أذنها: الجميع يتحدثُون عنكما، فإمَّا أن تصل الشائعات إلى السيرجنت ويُطرد المسكين، أو أن يبقى معكِ.. على النحو الصحيح!.. في كلتا الحالتين سيغضب السيرجنت، ولكن في الحالة الثانية.. لن يتأذى ياني!

رفع ياني رأسه بعد أن استبطأ ردها، فابتسمت له بعد ترددٍ وحيرة، واقتربت ليُلبِس الخاتم في إصبعها، وقالت: نعم، أقبلُ يا ياني!.. فأنا أحبك!.. وأريد أن أكون بجانبك إلى الأبد!

ارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على مُحيَّاه، ونهض ليحتضنها بعد خجل، وبكى من فرط الفرحة: لم أكن أظنُّ أن فتاةً ستقبل الزواج بي!.. الجميع كانوا يخبرونني.. بأنني لا يمكن أن أتزوج أبداً!.. أنا أحبكِ دليا مونبيتيت.. أنا فعلاً.. أحبكِ!

❁❁❁

في منتصف النهار..

(رومبيانيا ــ دولين)

كانت قوات الجيش البانسلي تزحف نحو بلدة دولين، للتزود بالطعام والأسلحة، وكان أرجوس يتقدَّم جنوده، وإلى جواره كان نوي والجنرال أبوليون..

قال نوي مُثنياً على أرماند: كنتُ أشاهد مبارزات الكونت أثناء المعركة، إنَّ قوته الجسدية ومهاراته القتالية عظيمة، تكاد تكون خارقةً إن صح القول، فلم أرَ مثيلاً لها من قبل!

الجنرال أبوليون مؤيداً: واستراتيجياته الحربية لا يستهان بها!

فقال أرجوس وهو يحدّق بعزمٍ نحو الأمام: إنني أثق بأفروديت، وأثق باختيارها له لقيادة هذه الحرب!

ولم يمضِ وقتٌ حتى وصلت القوات البانسلية إلى بلدة دولين، واستعدَّ أرجوس لإلقاء خطابه على سكان تلك البلدة لكي يجمع المزيد من رجالها، وبدأ الناس يتجمهرون حول أميرهم الذي عاد إلى رومبيانيا بعد اختفاءٍ دام لسنوات، وقد نُسيت قصَّتُه. كانوا يرونه لأول مرة، البعض منهم بدا فرِحاً ومستبشراً بقدومه، بينما كان بعضهم الآخر متوجِّساً من نوايا هذا الأمير الذي ظهر لهم فجأةً من العدم.

أمرَ أرجوس حرّاسه بترك المساحة حرةً بينه وبين شعبه، لتصبح الثقة سهلة التبادل، ثم بدأ يتحدث إلى طبقة الشعب العاميَّة الفقيرة، ويقول: أتيتُ لأخلِّصكم من ظلم بيلزبيل وأستعيد ازدهار مملكتنا، فرومبيانيا هي «الياقوت الأحمر»، ولن نسمح لمستبدٍّ أن يُلطِّخ نقاء هذا الياقوت بدماء الأبرياء!.. سأمدُّ يدي إليكم الآن لتساعدوني في استعادة عرشي، وستمدُّون أيديكم إليَّ لأنتشلكم من قهر الاضطهاد والفقر!.. سأمنحكم ثقتي، وستمنحونني ثقتكم الثمينة، والتي سأبني بها رومبيانيا من جديد!

بدأت الهتافات تزداد شيئاً فشيئاً من قِبل مناصريه، وخمد التحفُّظ في وجوه المعارضين، فقال بحماسة: من يجد نفسه مؤهلاً ليُقاتل من أجل مستقبلٍ مشرقٍ لأبنائه، وتحرير بلدته من ظلم بيلزبيل، فلينضمَّ إلى جيشي!

صاح بصرخةٍ انفعاليةٍ ورفع سيفه عالياً: سنحمي ياقوتنا الثمين، من أي ظالمٍ يحاول سرقته!

رفع نوي سيفه مُحتفِياً بأميره، وهتف مشجعاً الناس على الهتاف معه، فتعالت صيحات الناس ورفع بعضهم أدواتهم الحِرْفية الحادَّة عالياً، والتي كانت تمثِّل أسلحتهم التي سيقاتلون بها، وبدؤوا بالاصطفاف ضمن صفوف الجيش، وكانت بعض الجمل

الداعمة تصل إلى مسمع أرجوس عبر الضجيج..

وكانت الخطوة التالية، أن يوجِّه خطابه إلى النبلاء والتجار، فأرسل إليهم وإلى دوقات المناطق المجاورة، ليحصل على دعمهم المادي، لشراء الخيول والأسلحة والمؤن، وخلال ذلك الوقت، مكث الجيش ليستريح في ضيافة سكان بلدة دولين، حتى يستعيد قوَّته، ويتخذ من دولين قاعدةً دفاعيةً له..

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(رومبيانيا ــ دولين)

كادت زوي تموت عطشاً، فقد مرَّت عدة أيامٍ لم تذق فيها قطرة دم، وبدأ الوهن ينهش جسدها..

استغلَّت انشغال الجنود بتناول الطعام، فتسلَّلت إلى خارج المعسكر المُقام في أطراف بلدة دولين، لتبحث لها عن فريسةٍ بين الحقول، فاعترض طريقها فلّاحٌ غاضب، وقال بعد أن رأى زيَّها العسكري: أيها البانسليون الأوغاد، لم تكفِكم الحروب الدامية مع الملك هيروديون، والآن تحاولون احتلال أرضنا؟!

تعجَّبت زوي: اهدأ أيها الرجل، نحن متحالفون مع أميركم أرجوس!

ولكنَّ الفلَّاح لم يشأ الاستماع إليها، فرفع مِعوَله عالياً لينقضَّ عليها وهو يقول: كاذب!.. جميعكم مخادعون!.. كان ابني جنديّاً في جيش هيروديون، لقد ذهب إلى الحرب ولم يعد أبداً!

حاولت زوي تَفاديه دون مقاومة، إلَّا أنه كان عازماً على قتلها، فقالت محذِّرةً: ابتعد عن طريقي أيها الرجل، فلا أودُّ إيذاءك!

لكنَّه صرخ حانقاً بينما يوجِّه ضربات فأسه نحوها: لا تهدِّدني!.. قتلتم ابني، ولم يعد

لدي ما أخسره!.. سأقتلك أيها البانسلي الحقير!

كانت زوي منهكةً بسبب عطشها، وكانت رائحة دمائه تنفذ إلى أنفها كلما اقترب، لم تشأ قتله.. لكنه جعل من نفسه فريسةً سهلةً لها..

فقالت: لم تترك لي خياراً!

وهجمت عليه قبل أن ترمش عيناه، وغرست أنيابها في رقبته، وبعد أن تدفَّقت دماؤه إلى أحشائها، وعادت الحياة لتدبَّ في روحها، قالت وهي تنظر إلى وجهه الفزِع، بعد أن فارق الحياة: ظهرتَ أمامي في الوقت الخاطئ، لقد حذَّرتُك، لكنك كنتَ أحمقَ!

جلست القرفصاء لتتجرَّع دماءه بنهمٍ، لكنَّها سمعت فجأةً صوت قدميْ شخصٍ توقف بمسافةٍ ليست ببعيدةٍ عنها. فتجمدت عروقها.. واقشعرَّ بدنها، وأدركت أنها في خطر، فقد رآها أحدهم وهي تشرب الدماء من رقبة الفلاح!

فكَّرت سريعاً في حلٍّ لهذا المأزق، قد لا تتمكن من القفز لمهاجمته من تلك المسافة قبل أن يصرخ مستدعياً الآخرين، وإن أمكنها مهاجمته.. فإنها لن تستطيع الهرب طويلاً بعد أن تقتله، لأن الجيش سيفتقد وجودها.. ويتأكد للجميع أنها القاتلة، وأرماند لن يدعها.. وسيرسل عدداً لمطاردتها، وسيفعل المستحيل ليمسك بها!

رفعت رأسها ببطءٍ ونظرت إلى قدميه، حيث لا يزال يقف مذعوراً، رفعت عينيها أكثر لترى ساقيه، ولكنه نطق بصوتٍ مذعور: ماذا كان.. ذلك؟!

فكرت زوي بربكة: «هذا الصوت!!».

ورفعت رأسها على الفور لترى وجهه، فغصَّت وجحظت عيناها: «ألارد!!».

كان ينظر بهلعٍ إلى الدماء التي تسيل من فمها، وإلى أنيابها التي لم تبدُ أبداً كأنياب إنسان، وذلك الإشعاع الأحمر المرعب الذي يظهر من عينيها، وكأنه شمعةٌ وسط الظلام..

خفَت إشعاع عينيها سريعاً، ولاحظ ألارد وجهها الخائف، فتقدَّم خطوةً نحو الأمام، وقال بصوتٍ مرتعش: زوي!!

أفلتت زوي رقبة الرجل من بين يديها.. ليسقط رأسه على الأرض، واستمر ألارد ينظر إليها بصمتٍ عاجزاً عن الكلام أو التفسير. فبدأت الدموع تسيل على وجنتيها، وكانت تقول: لا تَخف مني يا ألارد!.. أرجوك!!.. إنني لست كما تظن!.. فهذا.. لا يَحدُث بإرادتي، ألارد.. أنا..

لكنها لم تكن تتوقع أن ألارد سيقترب منها فجأةً ويمسك بذراعها رغماً عنها، ليُزيح أكمام معطفها الممزَّق والملطَّخ بدمائها إثر إصابتها في المعركة الأخيرة، كشف عن ذراعها، ليُذهل من عدم وجود أي أثرٍ للجرح!.. وكأن ما رآه في تلك المعركة.. كان مجرد وهم!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

اختبأ أليكسيو فوق التلّ ليُراقب ما يجري خلف الحصار الغامض على أورانوس، ثم ركب عربته على عجلٍ لينطلق بها إلى لورديور لإبلاغ الملكة، لكنَّه سمِع صوت خطواتٍ تقترب، فالتفت ليجد جنوداً من الفيركولاس أخذوا يحيطون به بسرعةٍ جنونية، ولم يجد خياراً سوى إخراج سيفه ومقاومتهم، ولكنَّ هزيمته كانت محتَّمة، فقد سقط سيفه على الأرض، لكنَّه ظلَّ متماسكاً، وكأنه قد شاهد تلك الوحوش من قبل..

قال أحدهم: هذا الرجل قويٌّ وماهرٌ في القتال، سيكون مفيداً لجيشنا!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ دولين)

انفعلت زوي بهستيرية: لقد أُصبتُ بلعنةٍ يا ألارد!.. إنني لا أتوقف عن.. شرب

الدماء!!

ثم أشاحت بوجهها عنه والخِزيُ يعتريها: سامحني، لأنني خبأتُ هذا الجانب البشع مني!

أرخت كتفيها، وتركت دموعها تبلل التربة، قالت بصوتها المبحوح: لن تتخلى عني بعد الذي رأيته، أليس كذلك يا ألارد؟!

لاحظت صمتَهُ المُطبق بعد ذلك السؤال، فحاولت الحفاظ على ما تبقّى من كبريائها ومسحَت دموعها. كان ألارد خائفاً منها، فقد تراجع للخلف بعد أن رأى ذراعها سليمةً، لكنه بعد أن شاهد بكاءها المرير، عاد ليقترب منها شيئاً فشيئاً، وجثا بركبته على الأرض، ليحتضنها بقوة..

سألته: أيجدرُ بي الموت يا ألارد؟!..أنا سفاحة!.. لقد قتلتُ العديد من النـ..

أمسك ألارد بكتفيها وهزَّهما موبِّخاً: زوي!.. زوي!.. توقفي عن قول هذا!.. أيّاً كان ما فعلتِه.. وأيّاً كان ما يحدث لكِ، فإنني لن أتخلى عنكِ!.. أنا معكِ دائماً!.. هل فهمتِ هذا؟!

رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه، وغرِقَت في الهُيام بهما، فتانك العينان تمنحانِها قوةً.. وأماناً.

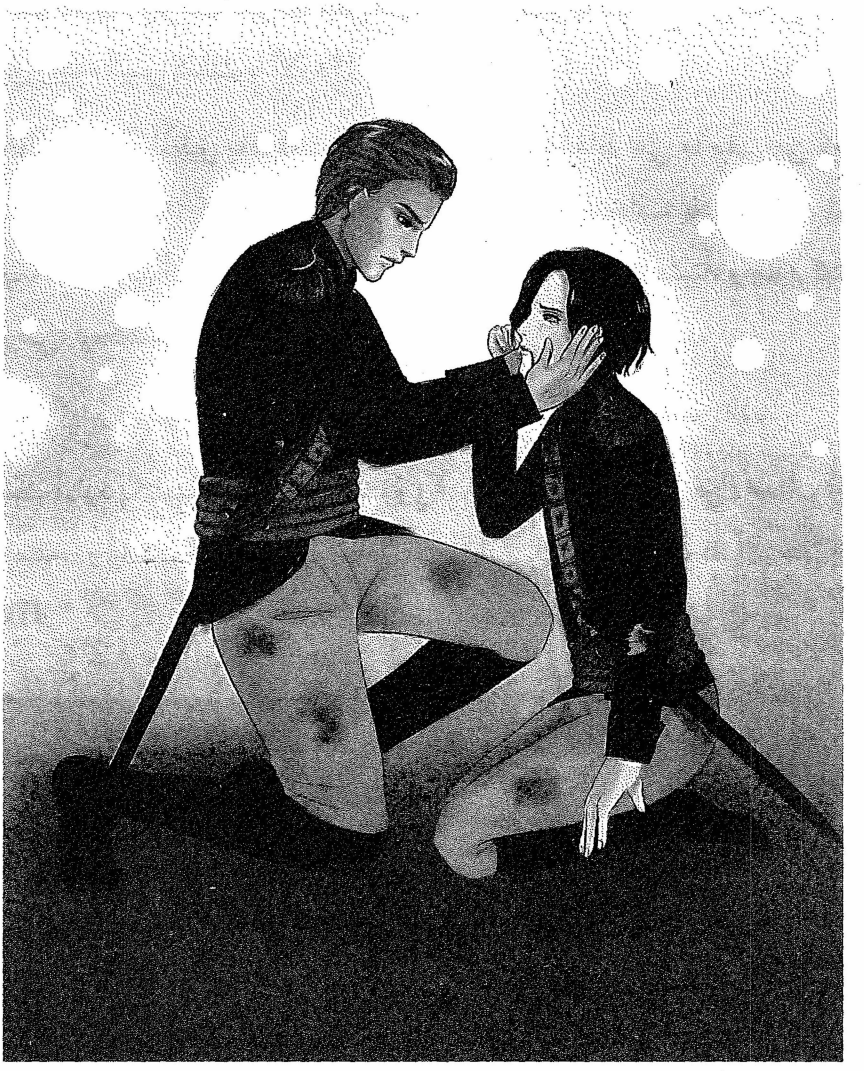

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

استضافت باربرا آرميل في منزلها، مستغلَّةً عدم وجود والدتها مارغريت، وبمساعدةٍ من خادمتها التي عمِلت على إلهاء الحرَّاس. سكبَت له كأساً دمويّاً، وقدَّمته له بينما كانت تتحدث بفخرٍ عن عائلتها ونفوذها، فاستغلَّ آرميل الفرصة وحاول سؤالها بطريقةٍ غير مباشرةٍ ليستقصي عن أخبار صديقته أغلاي: لا تتفاخري كثيراً بعائلتك، فقد سمعتُ أناساً يتحدثون عن ابنٍ غير شرعيٍّ ينتسب إلى آل بونيفيل، وأظنُّه بشريّاً أيضاً!

أجابت مغتاظةً: أجل، إنها أغلاي!

ارتشف من كأسه ثم ابتسم ضاحكاً: حسناً، ربما لن تصدقي هذا، لكنني أعرف أغلاي، فهي صديقةٌ قديمة، مصادفةٌ قد تبدو غريبةً، أليس كذلك؟!

تفاجأت باربرا، ثم غضبت: هل تخططان لشيءٍ ما أنت وصديقتك الوضيعة؟!

أدار آرميل عينيه تعبيراً عن التذمر: لا أعلم لمَ تكرهين أغلاي إلى هذا الحد، ولكن، ما الذي يجعلك تصرِّين على تحفُّظِك مني، بعد أن صارحَتكِ بكل شيء؟

ثم خطا نحوها.. وأمال جسده نحو الأسفل ليصبح وجهه قريباً من وجهها، وقال بثقة: يجب أن تعلمي بأنكِ الوحيدة التي كشفتُ أوراقي أمامها!

نظرت إليه بعينين ضيقتين: لماذا أنا إذاً؟

ابتسم بهدوء: لأنَّ ثمَّة شيئاً ما بكِ.. يجبرني أن أكون صادقاً!.. ولا أعلم ما هو!

رفعت حاجبها: هل كانت هذه إحدى كذباتك التي تحتال بها على النساء؟

جلس آرميل مسنداً ظهره بثقة ووضع كأسه الفارغ على المنضدة: اكتشفي ذلك بنفسك!

أخذت تفكر وهي تتأمل آخر قطرات دماءٍ في كأسها، ثم قالت: فلنعمل معاً!

ظهر التعجب عليه وانتظر تفسيراً، فقالت وهي ترفع ناظريها نحوه: أنت تعشق المال، وأنا لدي أعداء!.. ستساعدني مقابل المال!

ظل يحدّق بها وابتسامةٌ ماكرةٌ بدأت تظهر على شفتيه، فقالت: أعتقد أنك ذكيٌّ بما فيه الكفاية لتفهم ما أقصد!

ابتسم آرميل: أيتها العابثة، أنتِ تحاولين استغلال خبرتي في الاحتيال!.. لهذا تروقين لي!

نهضت من مقعدها واتجهت نحو الشرفة: هذا اعترافٌ خطير!.. هناك شخصٌ أعشقه وسأتزوجه، فلا تحاول التفكير بي على هذا النحو!

اقترب ووقف إلى جوارها، وقال متهكماً: تبدين واثقةً تماماً من نهاية ذلك العشق!

❁❁❁

عند حلول الليل..

(رومبيانيا ــ دولين)

جلس الاثنان أمام النار وتحدَّثا مطَوَّلاً، فقالت بصوتٍ هادئ: تلك هي الحقيقة، وذلك كل ما حدث!

كانت عينا ألارد تحدِّقان باللهب المُتراقص، حتى نطَق وهو يتذكر: تلك الجرائم البشعة في القسم العسكري، أنتِ من كان خلفها..

نهضت زوي وغرَست سيفها على الأرض أمامه ووجَّهت ظهرها نحوه وفتحت ذراعيها: اقتلني!

ذهل ألارد مما قالته، فأردفت: أنا وحشٌ يهدد البشرية!.. اقتلني الآن يا ألارد، سيكون الموت أرحم بي!

نهض وانتزع السيف من الأرض، وسار نحوها بخطواتٍ ثقيلة، فأغمضت عينيها وتركت دموعها لتنساب على وجنتيها: اطعنِّي في القلب، أو افصل رأسي عن جسدي!.. هكذا أخبرني اللورد أندريون، كيف نموت!

استمعت لصوت اقتراب خطواته، وكان قلبها يضرب بعنفٍ مع كل خطوة، فأطبقت شفتيها لتتماسك في آخر لحظةٍ من حياتها، وفكرت بأنها على الأقل.. ستموت على يد الرجل الذي عشِقَته..

لكنها فجأةً شعرت بذراعيه تطوِّقان كتفيها، وقد أعاد السيف إلى غمده المعلَّق حول خصرها، واحتضنها بقوةٍ من خلفها، وهمس: أجننتِ؟.. أنتِ تستحقين الحياة، وتستحقين دعمي للكِ، أخبرتكِ.. بأنني هنا دائماً!

فتحت عينيها بذهول، واستنشقت الهواء العليل، ورائحة الحياة، واستسلمت لذلك الحضن الدافئ، الذي شعرت فيه بالأمان الأبدي، والخلاص من معاناتها..

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

زارت باربرا منزل آل بونيفيل، وتفاجأت أغلاي عندما أدركت أن الزيارة هذه المرة كانت لأجلها، حيث قصدَتها باربرا على الفور وقالت: هناك شخصٌ يودُّ اللقاء بكِ في الخارج..

لم تثق بها أغلاي في بداية الأمر وظنَّت أنها تخطط لمكيدةٍ كعادتها، لكنَّ باربرا قالت ضاحكةً: لا تقلقي، لا أنوي إيذاءك، إنه صديقٌ قديم، وأعتقد أنكِ ستسعدين لرؤيته!

لحقت بها أغلاي وهي ترمقها بنظراتٍ مرتابةٍ وحذرة، وعند تجاوزها أسوار المنزل أشارت لها باربرا إلى مكانه، وتركتها تذهب بمفردها، فتشجعت ومشت إلى ناصية الطريق، وتفاجأت عندما رأته يقف بانتظارها، فشهقت بدهشة: آرميل؟!

ضحِك آرميل، وما زالت علامات التساؤل تعتريها: ما الذي يحدث؟!.. أين ذهبتَ بعد هربك من السجن؟.. كيف وجدتني؟.. وهل تعرف باربرا؟

تقدَّم نحوها بهدوء، وابتسامةٌ عريضةٌ على وجهه: دعينا نجلس للحديث قليلاً، وستفهمين كل شيء!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ دولين)

شرع الجنود بكتابة الرسائل إلى أهاليهم، كان ألباين يكتب إلى شقيقته دليا: {أعلم بأنكِ قلقة، اعذريني، لم يسنح لي الوقت لأكتب لك، أتمنى أن تكوني بخير وأن تكون أمور المزرعة على ما يرام..}.

بينما في زاويةٍ أخرى من المعسكر، كانت زوي تكتب رسالةً أيضاً، وفي خيمته الكبيرة، كان أرماند يُلقِّن الكاتب تقريراً عن المعارك الأخيرة موجهاً إلى الملكة، وقاموا بتسليم الرسائل المختومة بالشمع إلى الرسول، الذي انطلق مسرعاً نحو بانسيلينوس..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

جلست أغلاي مع صديقها القديم آرميل، على رصيف طريقٍ هادئ، وكانت تقول بفرح: عاش ياني تحت رعاية دليا، وعندما أرسلتُ للاطمئنان عليه، أجابني بأنهما سيتزوجان قريباً ودَعاني لحضور الزفاف!.. هل تصدِّق هذا؟

أخذ نفساً عميقاً، وكانت دهشته وسعادته لا توصفان: لا، لا أصدق!.. ياني سيتزوج؟!.. يبدو أن ذلك الطفل قد نضج تماماً!

ابتسمت أغلاي: عليك أن ترافقني إلى مولنيا، سيسعد ياني عندما يراك!

أومأ برأسه بلهفة: بالتأكيد سأفعل!

ثم سألها: أظن أنكِ التقيتِ ببقية أصدقائنا بعد أن ودَّعتكِ في أورانوس؟.. علمتُ بأن زوي وألارد يعملان في الجيش الآن وقد غادرا معاً إلى حرب رومبيانيا!

أجابت: أجل، أدعو دائماً أن يعودا سالمَين!

وأخيراً، نطق بما جاء لأجله: أغلاي، أعلم بأنكِ تعيشين مع عائلة مصاصي دماء..

صمتت والتفتت إليه بتوترٍ، فقال: يتوجب علي إخبارك.. بأنني أيضاً مصاص دماء، كما هما زوي وأرام!

وقام بإظهار أنيابه وإشعاع عينيه الأحمر وهو يقول: أظن أنكِ اعتدتِ على رؤية مظهرٍ كهذا!

لم تبدُ أغلاي متفاجئةً بالقدر الذي كان يتوقعه، فقد قالت بعد لحظة صمت: أنا أعلمُ عن زوي، وقد ظننتُ أنك وأرام مثلها أيضاً، بعد أن رأيتُها تحمل الوسم ذاته الذي على يدك وعلى ذراع أرام!.. لقد بدوتم لي بشراً طوال حياتي الماضية معكم، هل يمكنك إخباري ما الذي حدث لكم؟!

أومأ آرميل برأسه ونظر إلى يده: هذا الوسم هو الرابط المشترك بيننا، وبواسطته تم تحويلنا إلى مصاصي دماء، باستخدام السحر ودم مصاص دماءٍ يدعى بالتازار، لقد باعنا أبراكساس إليه بلا ضمير!

أخبرها بكل ما يعرفه، وأخبرته بقصتها مع آل بونيفيل، ثم قالت: معرفة أسرار

الآخرين، وامتلاك معلوماتٍ لا يريدون انتشارها، يجعلان مصيري مرتبطاً بمصيرهم، فقد يقومون بقتلي بسبب أسرارهم!

ولكن كان لآرميل وجهة نظرٍ مختلفة، فقد اعتاد على رؤية الأمور من زاوية المصالح: ليس بالضرورة.. قتلك، ربما يقومون بحمايتكِ وتلبية رغباتك، لأنكِ تستطيعين تحطيمهم عندما تتفوهين بأسرارهم. أي أن معرفتكِ لتلك الأسرار قد تكون نقطة قوةٍ يمكنك استغلالها ضدهم!

ثم قال محدّقاً في عينيها بجدية: والآن، أريد منكِ المساعدة..

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

وصلت رسالةٌ إلى بيلزبيل تخبره أن دولين وقعت تحت سيطرة أرجوس الذي بدأ يحصل على دعم الشعب، فظهرت ابتسامةٌ ساخرةٌ على وجه بيلزبيل، وقال بكبرياءَ وغطرسة: لن يفهم أولئك الناس، أن الغلبة دائماً للأقوى!

ثم قال وهو يتجه نحو الشرفة ليشاهد أراضي رومبيانيا الممتدة عبر الأفق: ولن يفهم أرجوس أن الشعب لا يلتزمون بالطاعة إلّا لمن يخافونه، لا من يحبونه!

ووضع يديه بقوةٍ على حافة الشرفة: سأعاقب كل من يتخلّى عن ولائه لي، ويتّبع ابن هيروديون!

ثم أطلق حكمه القاسي: أحرقوا منازلهم وعذّبوهم، ونفّذوا حكم الإعدام على كل خائن، رجلاً كان أو امرأةً.. أو حتى طفلاً!.. يجب أن يرتدع كل من تسوّل له نفسه بخيانة الملك!!

كان صوته قويّاً يُرعِدُ المكان، فحنى الحاشية رؤوسهم طاعةً لتنفيذ الأوامر.

❁❁❁

(رومبيانيا ــ دولين)

اجتمع القادة لنقاش الخطط العسكرية، قال الجنرال أبوليون: تريتون وأنارغيروس يحشدان جيشهما باتجاه دولين!.. علينا أن نخرج لمواجهتهما!

رفض أرماند: نظراً لقلة أعدادنا مقارنةً بهم، ستكون هزيمتنا محتمة!.. لن نخرج إليهم، وإنما سننصب فخّاً!.. سنسمح لهم بالاقتراب من البلدة، ثم نفاجئهم بما لا يتوقعونه!

أرجوس معترضاً: لا أريد المخاطرة بأرواح سكان البلدة!.. يجب أن يكون القتال خارج حدودها!

لكنَّ أرماند طمأنه وهو يبتسم بثقةٍ: اطمئن، لن يتأذى أحدٌ من السكان!.. لكننا سنحتاج تعاونهم لتجهيز الفخ في زمنٍ قياسي!

ظهرت الحماسة في عيني أرجوس: ما الخطة التي تدور في ذهنك؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

في مكتبه، سأل الدوق: ما الذي تحاول إخفاءه بالتعاون مع ابني أندريون؟

فهم إيمانويل سبب توتر أندريون وارتباكه مؤخراً، ثم ابتسم بسَكينة: سيعرفُ الجميع عندما يحين الوقت المناسب!.. إنني أهتم لمصلحة العائلة كما تهتم دوق إيبير!

ثم اقتحم حجرة أندريون، وسأله منفعلاً: هل قام أحدهم بتهديدك لتتحدث عن الأمر؟

ارتبك أندريون: لا!

فاقترب إيماونيل أكثر متفرِّساً في عينيه، ولم يصدِّقه، فجعل سؤاله مباشراً: ما الذي يعرفه الدوق إيبير؟.. تكلم!

استمر أندريون بالإنكار، وكان إيمانويل يعرف بأنه يكذب، فقال بابتسامةٍ باردة ليعاقبه على خيانته له: انتهى عملي معك!

قال ذلك وغادر، وظلّ أندريون يشعر بفراغ كبيرٍ بداخله بعد أن خسر ثقة إيمانويل..

في تلك الأثناء، رأى إيمانويل أغلاي تدخل المنزل شاحبة الوجه، فسألها: ماذا بكِ، آنستي؟.. لا تبدين على ما يرام!

ألقَت نفسها بين ذراعيه، وشعرت بالأمان في حضنه، ثم قالت بنبرةٍ حزينة وقد أغمضت عينيها: لا تسمح لكبار العائلة بإيذاء أصدقائي، أرجوك يا إيمانويل!

ظهر التعجب على وجهه وسأل: ما الذي تقصدينه؟

رفعت رأسها ونظرت إليه: أرام وآرميل.. وزوي!

قالت ذلك وابتعدت عن أحضانه وظلّت تحدّق بعينيه، بينما ذهل من كلماتها، فسألها وقد فهم الأمر: هل التقيتِ بأحدهم اليوم؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

وصل الغربان الثلاثة إلى الوكر ووقفوا أمام زعيمهم رايموند وأخبروه عن داناي، ثم قال أحدهم بوجهٍ فزِع: أيها الزعيم!.. لن تصدق ما رأيناه!!

فقال الآخر مُكمِلاً: رأينا وحوشاً مرعبةً وهائلة القوة، تطوِّق منطقة أورانوس والغابة!

تفاجأ رايموند وسأل منفعلاً: ما الذي تعنيه بالوحوش؟!.. تحدّث!!

قال أحدهم مرعوباً: مظهرهم كالبشر، إلّا أن أنيابهم بارزةٌ كالذئاب، وأعينهم تُشعُّ بضوءٍ أحمر، سُرعتهم خاطفةٌ كالبرق، وقفزاتهم بين الأشجار مرنةٌ كالقردة، وعطشهم

للدماء كالخفافيش!!.. إنهم لا يموتون أبداً!.. ما أن تطعنهم، حتى تُشفى جروحهم أمام عينيك، وما أن تكسر عظامهم حتى تعود لتلتئم!

التفت رايموند نحو أتباعه الغربان، ورأى الذعر في وجوههم، ثم سأل: هل لا تزال داناي.. هناك؟!

أجاب أحدهم: بلى!.. إنها غير مكترثةٍ بالخطر المحيط بها!

غضب رايموند: هل بقيَت لأجل الوغد أرام!.. تلك الحمقاء، إنها لا تعي أنه سيقتلها بلا تردد!!

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(رومبيانيا ــ دولين)

وصل الجيش الروميباني إلى أطلال دولين التي بدَت ساكنةً تماماً، وتعجَّب أنارغيروس من عدم وجود أرجوس والجيش البانسلي لصدِّهم، وقبل أن يهمَّ بالاقتراب من البلدة، أوقفه شقيقه القائد تريتون، وقال: ألا تلاحظ الهدوء الغريب؟.. لا شكَّ بأنه كمين!

ثم أرسل فرقةً للاستكشاف، فعادوا بعد برهةٍ ليقولوا بأن البلدة خاويةٌ من أي إنسان، فظهر التوتر على وجوه الجند، وبحث تريتون بعينيه حول المكان بريبة: إلى أين ذهب السكان؟.. ولمَ قاموا بإخلاء البلدة؟.. انطلق يا أنارغيروس مع كتيبتك لاستكشاف المنطقة!.. سأدخل البلدة للتزود بالطعام والماء لحين وصول خبرٍ منك!

وعبر جيشه طرقات البلدة، حيث كانت تفتقر الحياة، المنازل مهجورة، والمتاجر مُهملة، والحيوانات ترتع في حظائرها..

وعند البحيرة التي تبعد بضعة أميالٍ عن دولين، عثر أنارغيروس على سكان البلدة وقد نصَبوا خياماً حول البحيرة، وبحذرٍ خرج بعض الرجال من خيامهم يحملون

أسلحتهم البدائية تأهباً للدفاع عن عائلاتهم وأطفالهم، فأمر أنارغيروس كتيبته بالهجوم: اقتلوا الخونة!

وفي تلك اللحظة، تدخَّلت كتيبةٌ من الجيش البانسلي كانت تحرس المنطقة، وأثناء التحام الفريقين بالقتال، فطِن أنارغيروس وأمر جنوده بالانسحاب: إنه فخٌّ كما قال القائد تريتون!.. فلنعد إلى دولين بسرعة!!.. فالجيش بحاجتنا!!

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل السابع

«٧»

https://t.me/fantazynov

(رومبيانيا ــ دولين)

كان أيّ جنديٍّ ينفصل عن الجيش الرومبياني في طرقات البلدة ما يلبث أن يسقط مقتولاً بسهمٍ من مصدرٍ مجهول، وحين تنبَّه القادة الرومبيانيون إلى تناقص جنودهم إثر الهجمات الخفية، وقبل أن يُسمح لهم باتخاذ وضعٍ دفاعي، أخذت السهام تتراشق عليهم بغزارةٍ من النوافذ والأسطح. غضب تريتون وهو يشاهد خروج الجنود البانسليين من مخابئهم بشكلٍ متسارعٍ وجنوني: سُحقاً!!.. انطلت حيلتهم علينا!!.. قاوموا واقتحموا المباني واقتلوهم في جحورهم!!

وفي دقائق معدودة، تم تطويق منطقة دولين بالكامل من قِبل الجيش البانسلي، وانسحب تريتون بعد أن رأى الخسائر التي لحِقت بجيشه.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

كان أليكسيو مُحتجزاً مع المستحدثين الجدد، والذين تم تحويلهم إلى مصاصي دماء، وكانوا يواجهون أعراض التحوّل إلى حين أن يتمكنوا من السيطرة على أنفسهم، ويتم تدريبهم على القتال، ثم يتم إطلاقهم للعمل كجنودٍ في جيش الفيركولاس.

قام أليكسيو بكتابة رسالةٍ بدمه على رقعة قماشٍ اقتطعَها من ثوبه، واستدرج ببعض كسر الخبز حمامةً إلى النافذة العالية، وربط الرُّقعة على ساقها وأطلقها. ولكنَّ الحمامة لم تحلّق سوى بضعة أمتارٍ حتى التقطتها يدٌ ضخمة، كانت يد إيفرايم القوي البنية، والتابع المخلص لبالتازار، حيث نظر إلى ساق الحمامة وانتزع الرقعة منها، ثم أفلتها من قبضته، وأخذ يقرأ:

(إلى من تصله هذه الرسالة.. يجب أن تأخذها إلى جلالة الملكة،

ثمَّة وحوشٌ تُسيطر على أورانوس وغابة ميقالوس، البشر في خطر، يجب إرسال

الجيش حالاً!.. لا تموت هذه الوحوش إلَّا بنصلٍ في القلب أو بالتعرُّض لأشعة الشمس!).

غضب إيفرايم واشتمَّ الدماء المخطوطة بها تلك الجمل، ثم سحَق الرقعة في يده وسأل بصوتٍ مرتفع: من أقدَم على فعل هذا؟!.. هذه ليست دماءً بشرية!

ثم أمر بالبحث عن الفاعل بين الفيركولاس، وقام بتعذيبهم حتى يعترفوا.

❁❁❁

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

عندما كان آرميل في مخبئه، استلم رسالةً من رجلٍ كان يبدو من مظهره أنه خادمٌ في منزل عائلةٍ نبيلة، وعندما فتحها رأى اسم أغلاي، وكانت تدعوه لزيارة منزل آل بونيفيل هذا المساء للقاء إيمانويل، فابتسم لنجاح خطته.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

جلبَت دليا مُعلِّماً لياني لتعليمه أساسيات اللباقة والسلوك للطبقة الأرستقراطية، وبدأ المزارعون باحترامه مجبرين، وأثناء متابعتها لدروسه، وصلها خبرٌ من إيوانا التي جاءت تركض بلهفة: آنسة دليا!!.. لقد وصل رسولٌ من رومبيانيا!!

تركت دليا ما بيدها وركضت نحو بوابة المزرعة وهي ترفع طرف ثوبها، لتكشف ساقيها النحيلين، وتسابق بهما الريح..

استقبلت الرسول برحابة، فمدَّ لها بالرسالة: إنها من السيرجنت ألباين مونبيتيت!

شكرته ثم فتحتها على عجلٍ وأخذت تقرؤها متجولةً بين الحقول، وتبِعَتها إيوانا

متسائلةً بقلقٍ، فقد كان ألباين بمثابة ابنٍ لها، فأجابتها داليا بابتسامةٍ عريضة: إنه بخير!.. لقد توغَّلوا في رومبيانيا، وحققوا عدة انتصارات!

ثم تلاشت ابتسامتها عندما قرأت:

(بلغَني خبر خطبتكِ من ياني، وكم أزعجني هذا، تعلمين يا داليا بأنني سأعترض، لذا استغللْتِ عدم وجودي. وثقتُ بكِ وأوكلتكِ إدارة أملاك العائلة، إلّا أنكِ كنتِ تعبثين مع فتىً متشرد، مهملةً واجباتكِ وسمعة أسرتك. علمتُ بأن وجود ذلك المختلّ في مزرعتنا لن يأتي بخير، وقد وقعتِ في غرامه كما كنتُ أتوقع، إنه غير كفؤٍ لكِ، لا من حيث صحته العقلية، ولا من حيث منصبه وثروته وأصوله العامِّية. كنتُ أطمح لتزويجكِ من عائلةٍ ثريةٍ ونبيلةٍ تتناسب مع مستوى عائلتنا. يجب أن تتراجعي عن هذا القرار، لأني لن أسمح لتلك الزيجة بالحدوث، ولن أباركها، فسمعة عائلتنا ونسلها أهم من طيشكِ العاطفي.)

تأثَّرت داليا بتلك الكلمات، ولكنَّ ردة فعل ألباين كانت متوقعة، ولم يكن ذلك هو الجزء المخيف من الرسالة، فقد توقفت عن المشي، لتقرأ أسطراً هزّت بدنها:

(أخيراً يا داليا، يجب أن أصارحكِ بشيء، أشعر بالخطر بعد تهديد الكونت أرماند لي، فإذا لم أعُد إلى أرض الوطن، عليكِ أن تكملي ما بدأتُه، والانتقام لوالدينا من تلك العائلة. إنهم ليسوا بشراً، أخبري الملكة عن حقيقتهم فقط، وهي ستتكفل بالبقية.

كوني حذرةً، واعتني بنفسكِ جيداً،

ألباين.)

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

اقتِيدَت داناي من قِبل رجلين من الفيركولاس، ألقَيا بها أمام إيفرايم، بينما قال أحدهما: وجدناها في الغابة!

جذَبها إيفرايم من ثوبها ورفعها في الهواء، فلم تتمكن قدماها من ملامسة الأرض، قال وهو يشتمُّ رائحة دمها: تبدو شهية!.. سنقدِّمها وجبةً لبالتازار!

صاحت به: أنزلني!!

قام بإلقائها على الأرض وقال لرجاله: كما أمرَ بالتازار، لا يقترب أحدكم من دماء الفتيات الجميلات!.. إنهنَّ وجباته!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

أدرك أندريون أن إيمانويل يتعمَّد تجاهله، فقال: سأخبرك بالحقيقة يا إيمانويل!

{قبل بضعة أيام..

جذَب غيلبرت شقيقه أندريون من عنقه ورفعه عالياً بينما كان يدفع ظهره تجاه الحائط، ثم سأل: من تكون (زوي)؟.. وما هي قصة (الاستحداث) التي تتكلمان عنها أنت وإيمانويل؟

تردَّد أندريون في استخدام قوته ضدَّ شقيقه الأكبر، ولكنه اضطر لذلك عندما بدأ يشعر بالاختناق، فدفع أخاه بقوةٍ ولوَى يده، فقام غيلبرت بتعديل الالتواء، ونظر إلى أخيه قائلاً: يبدو أنك تُفضِّلُ المواجهة العنيفة!

فتوهَّجَت عيناه بلون الثلج، وهجم على أندريون، فلم يقوَ على صدِّ تلك القوة الهائلة التي تفوق قواه بمراحل، فقد كان أندريون الأضعف من بين ذكور العائلة، وكان غيلبرت يوجِّه له ضرباتٍ متسارعة، واستمر بتعنيفه جسديّاً، إلى أن انهار على الأرض، وقرر أن ينطق ليوقف أوجاعه. فقال وهو يغمض عينيه خشيةً من ضربة غيلبرت القادمة: حارس الملكة، ليون، هي زوي!}.

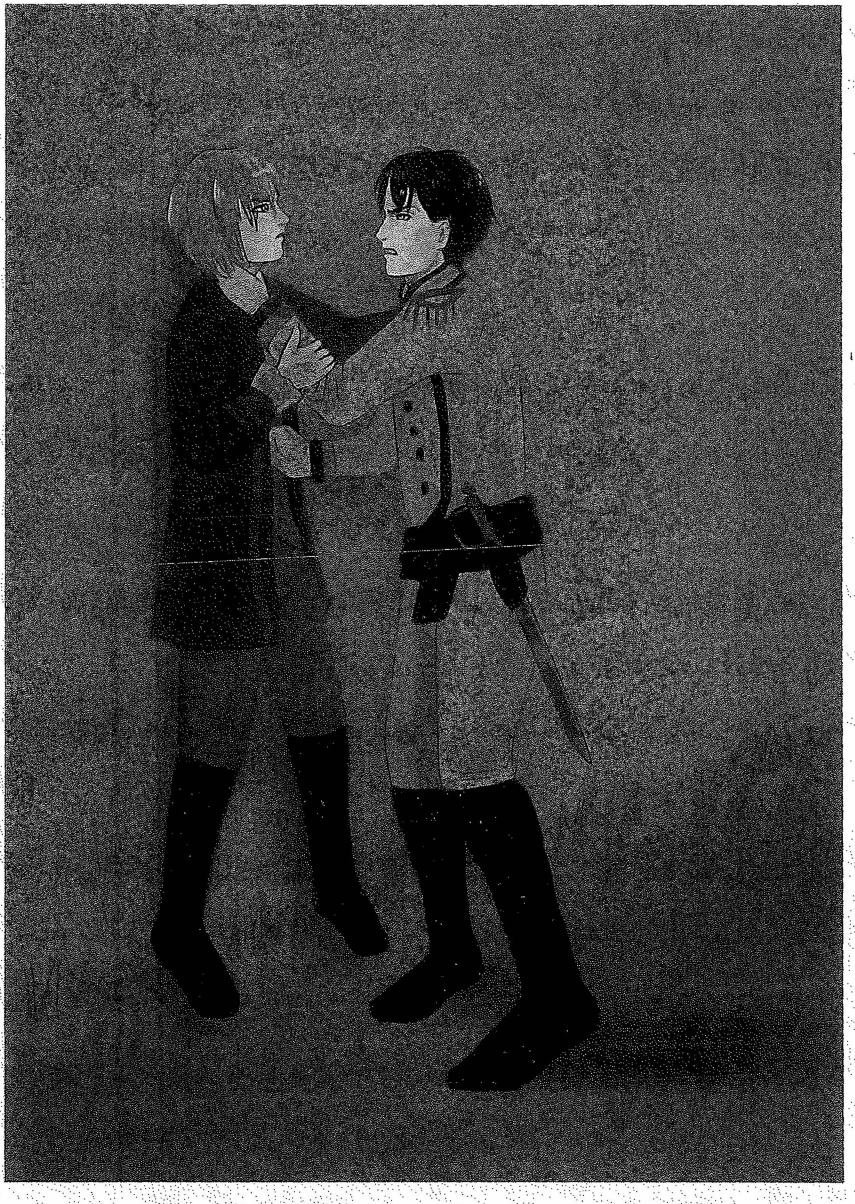

قال: لم أُطلِعك على ما فعله غيلبرت، لأني كنتُ أعلم أن مشكلةً ستنشأ بينكما، فأنتما لا تُطيقان بعضكما بعضاً!

وبالفعل غضِب إيمانويل، لكنَّه تمالك نفسه وفكَّر بسرعة، ثم التقط معطفه وخرج مسرعاً وترك أندريون في ذهوله، واتجه إلى حيٍّ متواضع، والتقى بأحد المرتزقة هناك، وقال آمراً: انطلق الآن إلى دولين في رومبيانيا برسالةٍ شفهيةٍ وسريةٍ إلى الجندي البانسلي ليون، أخبره أن يهرب، ويراسلني عندما يستقر!

في أحد شوارع لورديور..

اصطحبت باربرا فيوليت في عربتها، وبعد أن أمرَت السائس بالانطلاق، قالت لها: ألا ترين أن ديميتير قد هجرتكِ وانتقلت لتُدلِّل أغلاي بهداياها؟

أومأت فيوليت برأسها: لكني لا أزالُ صديقتها!

نظرت باربرا بانفعالٍ إلى فيوليت ووبختها بقسوة: هل أنتِ مغفلةٌ إلى هذا الحد يا فيوليت؟.. لقد كانت تستغلُّكِ وانتهت منكِ الآن، بعد أن خدمَتها أغلاي بإخلاصٍ وخبثٍ يتفوق على براءتكِ هذه!.. تلك هي الصديقة التي تريدها ديميتير، وليست أنتِ!

طأطأت فيوليت رأسها وعبسَت شفتاها، فقالت باربرا ملامسةً كتفها بلطف: لكنني قريبتكِ، سأظلُّ معكِ دائماً، ولن أعتبركِ مؤقتة!.. لا يمكن أن أستبدل بك صديقةً أخرى، فلا يوجد أطيبُ وأطهرُ من قلبك!

رفعت فيوليت عينيها، وابتسمت بامتنان، فقالت باربرا: أنا أخطط لأمرٍ ما، وأريدكِ أن تساعديني، عليكِ أن تقرري فقط، هل ستكونين معي أم لا؟

تذكَّرت باربرا الخطة التي وضعتها مع والدتها ضدَّ الأميرة ديميتير، والتي كانت بتوجيهٍ من صديقها المحتال آرميل:

{بعد أن أخبرته بالقصة وطلبت مساعدته، قال آرميل: حسناً، فيوليت الصغيرة ستكون هي الطُّعم..

سألته: كيف ذلك؟

فأجاب: اذهبي لإقناعها!.. واستدرجي عاطفتها وإخلاصها لكِ، وحفِّزي كراهيتها لديميتير!}.

باربرا بحنق: لقد قامت ديميتير بإذلالي، بعد أن لجأت إليها أغلاي!.. تلك البشرية اللقيطة، يجب أن تُعَاقب مع ديميتير!.. لقد لاحظتِ شغفها بإيانويل، كيف يسمح لكِ قلبكِ بالتخلي عن معشوقك؟.. كنتِ تحبينه منذ نعومة أظفاركِ يا فيوليت، وتحاولين استمالة قلبه بشتَّى الطرق!.. ثم تأتي فتاةٌ غريبةٌ إلى المنزل لتسرقه منكِ بهذه البساطة!

حاولت فيوليت منع دموعها والتفتت لتنظر عبر نافذة العربة، وتخبِّئ وجهها المحرَج الحزين، ومشاعرها الغيور، ونيران قلبها الثائرة.

فابتسمت باربرا برضاً بعد أن رأت مدى تأثير كلماتها.

❁❁❁

في المساء..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

وقف آرميل أمام منزل آل بونيفيل، والتقت عيناه بعيني أغلاي التي أطلَّت من شرفتها، ووقف إيانويل لاستقباله، ودعَاه للجلوس مُقَدِّماً له كأساً من الدماء.

ثم جلس أمامه وقال: أنا حليفٌ لصديقتك زوي، لذا كن مطمئنّاً!

ابتسم آرميل: لا يوجد ما يخيفني، لورد إيانويل!.. فأنا مطمئنٌّ في كل خطوةٍ أخطوها!

إيمانويل متعجباً: تبدو واثقاً تماماً، بعكس صديقتك زوي، وهذا يعني أنك تعرف الحقيقة كاملةً!

أجاب بابتسامةٍ رزينة، فسأله إيمانويل: أخبرني، هل قامت الساحرة كالغينيا باستحداثكم؟.. ولماذا؟

حافظ آرميل على ابتسامته، وقال: يبدو أنك توصَّلت لمعرفة الكثير!.. لمَ يتوجب علي أن أجيبك؟

غضب إيمانويل، وقال متعالياً وفارضاً سيطرته: لأن هذا هو هدفي من دعوتك، أنا من يسأل.. وأنت من يجيب!

ضحك آرميل، وأشار بإصبعه ناهياً: كلا، كلا!.. ليست هذه الطريقة التي تنجح معي، لورد إيمانويل!

ثم حدّق في عينيه بحدة: المقابل الذي سأحصل عليه، هو الذي ينجح معي!

سأل إيمانويل: ما الذي تطلبه؟

آرميل بثقة: أطلبُ لقاء الدوق إيبير أولاً، وسأخبره عن شروطي!

صمت إيمانويل لبرهةٍ متفاجئاً، ثم رافقه إلى مكتب الدوق، بعد أن اضطر لترتيب لقاءٍ بينهما، وجلس الثلاثة في اجتماعٍ سرِّيٍّ خلف بابٍ مغلق..

قدَّم آرميل نفسه بانحناءةٍ لبقة: آرميل، مصاص دماءٍ مستحدث!.. تشرَّفتُ بلقاء كبير العائلة الحاكمة لإمبراطورية كروفستروفا، دوق إيبير بونيفيل!

ثم قال: أنا لستُ كالمشتبه به في حوادث القسم العسكري، ولم أذق دماء البشر من قبل، فأنا أذكى من كل هذا، لذا ثق بأني سأكون مفيداً لك!

ظهر الاطمئنان على ملامح إيبير، وازدادت رغبته في اكتشاف هذا المستحدث الماكر،

ومعرفة ما يخبئه من أسرار، وكان آرميل بالمقابل يحاول قراءة أفكاره، ليجيب على التساؤلات التي لم ينطق بها بعد، فقال: لدي أمرٌ هامٌّ أودُّ نقله للملكة!.. ولكنِّي فضلتُ إطلاعكم عليه أولاً!

إيبير بنفاد صبر: تحدَّث!

جلس آرميل واضعاً قدماً فوق الأخرى: المعلومات التي سأدلي بها ستكون ذات أهميةٍ كبيرة بالنسبة لكم، لذا أريد بالمقابل الحصول على الأمان منكم، وأن توفروا لي الحماية من أعدائي!

أعطاه إيبير الأمان ووعداً بالحماية، فأخبرهم آرميل عن الفيركولاس وبالتازار ومخططاته لإقامة إمبراطوريته الخيالية، ومَضَت لحظةٌ صامتةٌ بين إيبير وابن أخيه إيمانويل، في محاولةٍ لاستيعاب الموقف، حتى قال إيبير: بالتازار!.. أنا أتذكَّر هذا الاسم!.. كان أحد المتمردين في كروفستروفا، والذين تسببوا بثورةٍ ضد الأسرة الحاكمة!

تعجَّب إيمانويل: كيف تمكَّن من الهرب من كروفستروفا؟

فكَّر إيبير ثم قال: أعتقد أنه توصَّل إلى طريقةٍ ما لكسر التعويذة!

سأل الدوق: أين مقرُّ أولئك المستحدثين، المدعوين بالفيركولاس؟

فأجاب آرميل: لستُ متيقناً بعد!.. ولكن، لدي خطةٌ لهزيمة بالتازار!

وبعد نظرات تساؤلٍ في أعينهما، ابتسم بخبثٍ وأخبرهما بخطته، فالتفت إيبير ناحية إيمانويل وتبادل معه نظراتٍ مؤيدة.

(رومبيانيا)

بعد ظهور أنصار أرجوس وانتشارهم علناً، بدأ الشعب الرومبياني يثور ضد بيلزبيل، فازداد استبداده على الناس، متمثِّلاً بإعداماته الوحشية لمناصري أرجوس، فضلاً عن حرق بيوتهم وقتل عائلاتهم وأطفالهم، مما أدى إلى انتشار الذعر في أوساط الشعب، فتراجع بعضهم عن دعم أرجوس خوفاً على حياتهم..

وصلت رسالةٌ من تريتون إلى بيلزبيل تبلِّغه بنتائج معركة دولين، والخسائر الفادحة التي تكبَّدها الجيش الرومبياني إثرَ الكمين الذي نُصِب له، فازداد توتر بيلزبيل وبدأ أمنه الداخلي يتزعزع.

ووصلت أنباءٌ إلى أرجوس، عمَّا يفعله بيلزبيل في شعبه ومؤيديه، فاستشاط غضبه، ونهض ليلقي خطاباً ثائراً على الملأ، قائلاً: لن أدع بيلزبيل يستمر في اضطهاد شعبي!.. سأحرر رومبيانيا من طغيانه، وسأفصل رأسه عن جسده!!

❁❁❁

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

استدعى الدوق إيبير ابنه غيلبرت وقال آمراً: ستذهب إلى رومبيانيا!

استغرب غيلبرت، فأردف إيبير بجدية: ستنقل رسالةً شفهيةً، سريةً وهامةً للغاية، إلى أرماند!

أمال غيلبرت رأسه وقد فهم السبب، ثم قال: ولكنني قائدٌ في الحرس الخاص!.. لا صلاحية لي بالتواصل مع الجيش أثناء الحرب!

أجاب إيبير بثقة: سأقوم بتغطية هذا الأمر، وعندما تصل إلى المعسكر، أخبرهم بأن الملكة هي التي أرسلتك!.. يجب ألّا يُلاحظ أحدهم أنها مسألةٌ عائلية!

انحنى غيلبرت طاعةً لوالده: كما تأمر!.. سأنطلق الآن!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

بعد أن أكمل فترة التحول، خرج أليكسيو من الاحتجاز، واعتمر القبعة السوداء لتَقِيه من أشعة الشمس، وقد لاحظ شيئاً غريباً، كان يشعر بعطشٍ رهيبٍ.. للدماء!

نظر حوله إلى البشر العابرين، وكانت تشدُّه شرايينهم، والرائحة الشهية المنبعثة منها، لكنَّه قاوم تلك الرغبة الجامحة، وهزّ رأسه كابحاً نفسه: «كلا!.. لن أفعل ذلك!.. فلا ذنب لهؤلاء الناس!».

ثم بدأ بالتفكير بخطةٍ ما، ليساعد البشر على الهرب من حصار أورانوس، ونظَّم مجموعة تمردٍ سريَّة، تعمل على حفر نفقٍ للهرب، والتقى بداناي التي انضمت إلى المجموعة المتمرِّدة، وكانت تشارك بالحفر معهم، وأثناء استراحتها أخذت تتجاذب أطراف الحديث معه، وأخبرته بأنها كانت تعمل في مزرعة مونبيتيت في مولنيا..

فتفاجأ أليكسيو: هل أنتِ على معرفةٍ بالسيرجنت ألباين؟!

أومأت داناي برأسها: أجل، إنه يأتي لزيارة المزرعة من حينٍ لآخر، والآنسة دليا تُديرها في غيابه!

لاحظت الطمأنينة التي ظهرت على قسمات وجهه، عندما قال: كنتُ صديقاً للعائلة، ومقرَّباً جدّاً من والدهما!

ابتسمت داناي عندما وجدت ذلك القاسم المشترك بينها وبين أليكسيو، مصاص

الدماء المستحدث الطيب، الذي يحاول مساعدة البشر رغم ذبول عينيه وجفاف شفتيه، بسبب عطشه المُزري للدماء، فطوال تلك الفترة كان أليكسيو يقتات على دماء الحيوانات الداجنة التي يندر وجودها في البلدة.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

اقترب بارنباس من الملكة هامساً: جلالتك، لقد أرسلَت الأميرة ديميتير رسالةً مع الرسول إلى أرماند!

ظهر الشك في عينيها، فأمرته: اجلب لي الرسالة!

فردَّ بارنباس: يؤسفني إبلاغ جلالتك، بأن الرسول قد انطلق منذ مدَّة!.. هل نأمر باللحاق به؟

استرخت أفروديت في مقعدها ورفعت يدها: لا داعي لذلك!.. فسأعرف الحقيقة بطريقتي!

❁❁❁

في جناح الأميرة..

استلمت ديميتير وثيقةً من أغلاي، وكانت الأخيرة تقول: وجدتها مخبأةً تحت خشب الأرضية في حجرة الكونت!.. كانت حجرته مقفلةً بإحكام، ولا يجرؤ أحدٌ على دخولها، إلّا أنني قررت المخاطرة، والتسلُّل إليها عبر النافذة. بحثتُ في كل زواياها، إلى أن فقدتُ الأمل، لأني أعرف أن الكونت حذرٌ للغاية، ولن يترك أثراً لأعماله السريَّة، ولكن لحسن الحظ، أنه أخفق هذه المرة!

عقدت ديميتير حاجبيها أثناء قراءتها للوثيقة، وانغمست في التفكير: «سيكون أرماند حليفاً قويّاً لي!».

ثم التفتت إلى أغلاي وابتسمت لتبعث الأمان في قلبها: أحسنتِ عملاً، عصفورتي!.. ومقابل هذه الوثيقة الثمينة، ستحصلين على ما وعدتكِ به!

استدعت أفروديت شقيقتها ديميتير إلى جناحها، وعندما نظرت الأميرة إلى الفستان الذي كانت ترتديه الملكة، قالت: أرى أن الفستان الذي طلبتِه من أغلاي بونيفيل، قد أعجب جلالتك!

أشادت أفروديت بالفستان، ثم قالت: أُلاحظ أنكِ تدعمين تلك الفتاة كثيراً!

ابتسمت ديميتير وهي تتمعن في تطريزات الفستان: يمكنكِ أن تري السبب بوضوح، فلا يمتلك أحدٌ مهارةً كهذه في لورديور!

ثم قالت: أفكر في تعيينها للعمل كحائكةٍ خاصةٍ بي، بدلاً من حائك القصر العديم الذوق، إن لم تكوني تنوين تعيينها لديكِ!

كانت تحاول التلاعب بأفروديت بجملتها الأخيرة، وخشيَت أن ترفض أختها هذا الاقتراح وبالتالي تفشل خطتها، إلّا أن الملكة فاجأتها عندما أُعجبت بالفكرة قائلةً: لمَ لا؟.. سأفكر بالأمر!

ثم سألتها فجأةً: ولكن، لم تخبريني، ما الذي أرسلتِه إلى الكونت أرماند؟

أجابت بابتسامةٍ مستهترة: ما دمتِ ترغبين بمعرفة الإجابة، فقد كانت مجرد رسالةٍ عاطفية!

ضحكت أفروديت بتعجُّب: الكونت أرماند؟.. هل أنتِ جادة؟.. لا يمكنني فهمكِ حقيقةً!.. فقد كنتِ تُعلنين العداء له!

ديميتير بتهكم: لا أظن أن علاقاتي تعنيكِ!.. استمري بالجلوس على العرش، ومراقبة شعبكِ وجيشك، ودعيني أفعل ما يحلو لي!

أفروديت بتعالٍ: من الأفضل أن تراقبي لسانكِ، فأنتِ تتحدثين إلى ملكتك!.. أنتِ تتدخلين في المراسلات العسكرية، ولا يحقُّ لأحدٍ مراسلة قائدِ الجيش أثناء الحرب سوى الملكة، كان يجدر بكِ أخذ الإذن مني!

وجدت ديميتير الفرصة المناسبة، فسألت: منذ توليتُ منصب ولاية العهد، لم تُوكَل إليّ أي مهمة، هل تفيدُني جلالتها عن السبب؟

أجابت أفروديت: تحتاجين لإثبات جدارتكِ باستحقاق منصب ولية العهد، فلا تزالين طائشةً وغير مسؤولة!

تجهَّم وجه ديميتير: يمكنكِ القول ببساطة.. إنكِ لا تثقين بي!

نظرت الملكة إليها بحِدَّة: اجعليني أثق بكِ!

غادرت ديميتير الجناح حانقةً بعد ذلك الحوار المتوتّر، فإما أن تجتهد لتكسب ثقة الملكة ورضاها، وتبدأ بممارسة دورها كولية عهد، ومن ثمَّ توسعة سلطتها ونفوذها تدريجيّاً، وكسب عددٍ أكبر من الحلفاء، أو يمكنها ببساطة، الإطاحة بالملكة وسلب العرش منها، بالخبث الذي تتمتع به، والذي يُعدُّ الوسيلة الأسهل بالنسبة لها، هذا ما فكَّرَت به في تلك اللحظات الغاضبة..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

كانت دليا تُحدِّق في أملاك عائلتها الممتدة أمام ناظريها، وكان الهواء العليل يُنعش روحها..

قدِمت إيوانا من خلفها: آنسة دليا!.. لقد أتى رايموند للتحدث إليكِ!

امتعضت دليا بعد أن أفسدت إيوانا خلوَتها: ما الذي يريده ذلك اللص؟

إيوانا بعد تردد: أعتقد أنه يحمل أخباراً عن.. داناي!

سمحت دليا بدخوله، فقال لها بفظاظته المعتادة، ودون أن يُقدِّم أي تحية: لن تعود داناي، فقد لحِقت بالشخص الذي تعشقه، وهي في أورانوس الآن!

تعجَّبت دليا: أظنُّ أنك تعني.. أرام؟

أومأ برأسه تأييداً، وقال: إنها ترسل اعتذارها منكِ، ومن ياني، وأنا هنا لأوصِل هذه الرسالة فقط!

صمتت دليا للحظةٍ، فسألها عن ياني، وأجابته: إنه بخيرٍ، ويتلقَّى تعليماً خاصّاً الآن، و.. سنتزوج قريباً!

حاول رايموند إخفاء دهشته، لكنه ما لبث أن قدَّم تبريكاته لهما، وكان يُدرك أنها لا ترغب باقترابه من ياني.. أبداً..

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

أقام الجيش البانسلي معسكراً في وادٍ يُعرف باسم وادي الذئاب، وقد اختار الجنرال أبوليون هذه المنطقة بسبب كثرة الذئاب فيها، الأمر الذي سيُشكِّل عائقاً لأي هجومٍ مفاجئٍ قد يشنُّه الرومبيانيون، لكونها من أخطر المناطق في رومبيانيا..

كما أطلق الكونت أرماند تحذيراً من خروج أي جنديٍّ من المعسكر، أيّاً كان السبب، وأمرَ بتشديد الحراسة على حدوده، لتجنب التعرض لخسارة جنوده في هجمات الذئاب، ولكنه في الواقع، كان يُضمِر السبب الحقيقي وراء هذا القرار..

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

اشترت أديلايد تمثالاً من نحّاتٍ متجولٍ يقف بعربته خارج أسوار القصر، ثم اتجهت إلى جناح الملكة لتقدِّم لها التمثال الذي طلَبته، فأمرتها أفروديت بالمغادرة مع الخدم لتبقى بمفردها، وما أن هدأ الجناح من ضجيج أقدامهم، حتى كسرت التمثال والتقطت الرسالة المخبأة بداخله، ثم فتحتها لتقرأ:

(جلالة الملكة أفروديت،

ظنوني التي أخبرتكِ بها أصبحت مؤكدة، وربما تتحالف العائلة مع العدو، لذا أحاول البقاء بالقرب منهم لمعرفة المزيد، وسأوافيكِ بموقع العدو قريباً.

تقبلي تحياتي، آرميل.)

أعاد آرميل عربة التماثيل إلى صاحبها: أشكرك على تأجيري إياها، بعتُ تمثالاً واحداً، وهذه حصّتك كما اتفقنا!.. سأستأجرها منكَ لاحقاً!

{دعَته أفروديت للعب الشطرنج وابتسمت وهي تنظر إلى عينيْ منافسها بتحدٍّ: إذا غلبتَني في هذه اللعبة، فأنت حرٌّ بالذهاب!.. أما إذا غلبتُك، فستبقى لانتظار محاكمتك.. وستخبرني عن اسمك الحقيقي!

حدّق آرميل بعينيها لوهلة، وهمس لنفسه: «هل تتسلّى معي فقط؟»

ثم أومأ برأسه موافقاً، وبَرقَت عيناه بروح المنافسة، وقال بثقة: أخشى إذاً أن جلالتها ستودِّعُني قبل أن تعرف اسمي!

وقام بتحريك قطعته الأولى دون أن ينظر إلى اللوح، حيث كانت عيناه مُتسمّرتين تماماً على عينيها، فقامت أفروديت بخطوتها، ثم سألته: اشتكى الكثيرون من ألاعيبك، هلّا أخبرتني، كيف تمارس الاحتيال؟.. وكيف لضحاياك أن ينخدعوا؟

ابتسم وأجاب: التظاهر بالنبل والطيبة وحسن النية، هذه الإشارات مستحبةٌ لدى الناس، ولا يمكنهم أن يلحظوا أن هناك خدعةً خلفها، إني أخدع الضحية بجعله يتوقّع شيئاً آخر، عكس الذي أقوم به فعليّاً!

ثم أردف: وأيضاً، التظاهر بأني أفتح قلبي لهم، أعطيهم اعترافاً كاذباً، فيعطونني اعترافاً حقيقيّاً، إني أكسب ثقة الناس عندما أتظاهر بمشاركتهم أسراري الخاصة، فبهذه الثقة المصطنعة، أنا أستدرج ثقتهم الحقيقية.

كانت تستمع لكلماته تلك باهتمامٍ وإعجاب، ولم تُعلِّق سوى بابتسامةٍ هادئةٍ ارتسمت على مُحيّاها، ورأته يرفع إحدى قطعه ليحركها، لكنَّه توقف ليسأل: عفواً ولكن.. هل لهذا دعوتِني، فقط؟

تجاهلت أفروديت سؤاله واستمرَّت باللعب بصمت، وكانا يلعبان بتحدٍّ بين ذكاءَيهما، وسط نظرات الخدم والحراس المترقبة للنتيجة، والمتعجّبة من قوة منافستهما..

ولكنَّ ذلك الترقب لم يدُم طويلاً، فقد أمرت الملكة الجميع بمغادرة المجلس، وتركِهما بمفردهما، حتى يركزا باللعب..

عندها حدَّث نفسه باندهاش: «كلا، إنها لم تكن تتسلى!»

وبالفعل قالت له: أنت تتساءل عن السبب الحقيقي لدعوتك!

نظر إلى عينيها مُترقِّباً، فقالت: سأجعل القاضي يمنحك عفواً مشروطاً، مقابل أن تعمل كجاسوسٍ لدي!

ظهرت ابتسامةٌ خفيفةٌ على شفتيه، فحدسُه لا يخطئ، وها هي الملكة قد عرفت قيمة ذكائه، ومنحَته منصباً خاصّاً لم يكن يحلم به أبداً، فحنى رأسه وهو يقول:أنا تحت أمر جلالتك!.. ولكن..

رفع رأسه ثم قال بابتسامةِ الواثق: ألا ترى جلالتها أنَّ هذا المقابل ليس مُنصفاً؟.. فالعفو سأحصل عليه في جميع الأحوال، لضرورة بدء العمل كجاسوس!

فهِمَت مقصِدَه: تريد مقابلاً ماديّاً؟. لك ذلك!

ظهر الحماس في عينيْه، فسأل: من المُستهدف؟

أجابت: الأسر النبيلة، أريد معرفة المؤامرات التي تُحاك حولي..

قال رافعاً أحد حاجبيه بابتسامةٍ ماكرة: وعلى رأسهم آل بونيفيل، أليس كذلك؟

صمتت، فأردف بثقة: أتمنى أن تكوني أكثر تحديداً!.. أعلم أن هذه العائلة تؤرِّقك، كما تؤرِّقني أنا أيضاً، ثمَّة سرٌّ يجب أن تعرفيه، جلالتك!.. ولكني سأتحقق منه أولاً، أرجو أن تنتظريني، فبين الحين والآخر، سأضع لكِ تقاريري في تمثال، وسأنتحل شخصية بائع تماثيلَ متجولٍ، وأمرُّ أمام القصر، وأُخبر الحرَّاس بأنكِ طلبتِني، وعندما يخبرونكِ عن وجودي، أرسلي خادمتكِ للشراء مني!

أومأت برأسها موافقةً، ثم قالت: عندما يكون لديك تاريخٌ معروفٌ من الخداع، فلن ينخدع الناس بأي صدقٍ تبديه لهم، وستتزايد صعوبة تغطيتك لمكرك، فالجميع يعرف بأنك تمارس الاحتيال، لذا من الأفضل لك أن تعترف أمام بونيفيل، وتتظاهر بدور المحتال التائب، سيعجبون بصراحتك، وستتمكن من كسب ثقتهم..

رفع قطعته ليُكمل اللعب وقال: نصيحةٌ ثمينة!.. سآخذها بعين الاعتبار!

استمرَّ الاثنان يلعبان لزمنٍ طويل، حتى أوشك آرميل على الانتصار في النهاية بخداعه، إلَّا أنّ الملكة أفروديت فاجأته وغلَبَته بخطوةٍ أخيرةٍ لم يكن يتوقعها أبداً..

أفروديت: كش ملك!!

ابتسمت بكبرياء: إنك فعلاً مخادعٌ وذكي!.. ولكنك للأسف، غير محظوظ!

نظر إليها آرميل، وقد ضربت كلماتها وترَه الحساس، وأخذ يتذكَّر محاولاته لتحصيل المال بالخداع، فقد باءت مُعظمها بالفشل وسوء الحظ في النهاية..

قال لها: قد تكونين محقةً جلالتك!.. فمن «سوء حظي» أني خسِرت أمامكِ الآن، وسأضطر لإخبارك.. بأن اسمي الحقيقي.. هو آرميل!

ثم قال متدارِكاً وابتسامةٌ غامضةٌ على مُحيَّاه: ولكن قد يكون من «حسن حظي».. أني التقيتُ بجلالتك!.. فقد حميتِ رقبتي من الإعدام!.. وسأعمل على تنفيذ ما تأمرين به!

طلبَت الملكة من الخدم الدخول ورفع لوحة الشطرنج، ثم قالت له: سأسمح لك بالعودة إلى زنزانتك لتنتظر محاكمتك يا آرميل!.. استمتعتُ باللعب معك، ولكنّ العدالة يجب أن تأخذ مجراها!

انحنى لها آرميل: لقد استمتعتُ أنا أيضاً، جلالتك!

وبعد أن غادر، سألها بارنباس: ما الغاية الحقيقية من استدعائه، جلالتك؟.. أعلم بأنَّ هذا ليس من طبعكِ!

استندت أفروديت بارتياحٍ على كرسيها: ما الضّير في أن يتسلى الحاكم لوقتٍ بسيط؟.. مسؤوليتي كبيرةٌ ومنهكةٌ للغاية يا بارنباس، وإنها الفرصة المناسبة للترويح عن نفسي مع شخصٍ يمثل ذكاؤه تحدِّياً ممتعاً بالنسبة لي..

ابتسم بارنباس: بالطبع جلالتك!

ولم يلحَظ أنها كانت تسرح بفِكرها بعيداً، لتُفكِّر بالحديث السرِّي الذي دار بينها وبين آرميل، ولكنَّ آرميل لم يثق تماماً بوعودها، وفضَّل الهرب قبل موعد محاكمته، بعد أن ضمن أن الملكة لن تعيده إلى السجن، لحاجتها إليه..

وبينما كان الحرَّاس يقتادونه من القصر إلى السجن، أخذ يفكر في سبيلٍ للهرب باستخدام سرعته بالجري، واسترق النظر بعينيه إلى زوايا وأبعاد المباني التي يمرُّ بها قبل الوصول إلى العربة، لدراسة إمكانية مناورة الجنود من بينها، ونظر إلى حراس البوابات ليحسب أعدادهم، وكان ذهنه يعمل بشكلٍ سريعٍ في ثوانٍ محدودة، لوضع خطةٍ سريعةٍ للفرار، ولكنَّ تفكيره قُطع فجأةً.. عندما هجم مجموعةٌ من الرجال يُخفون وجوههم تحت خوذاتٍ معدنية، وقاموا بالالتحام مع حرَّاسه..

وقف آرميل مذهولاً يتلفّت وسط القتال، وفهم أن تلك المجموعة تنتمي للنبيل الذي عقد معه الصفقة، وها هو ينفِّذ وعده الآن، ففكّر بسرعة: «هل أستغلُّ فرصة قتالهم وأحاول الهرب من كلتا المجموعتين.. وأغدُر بذلك اللورد؟.. فقد يحاول تحريري من أجل الكتاب فقط، ثم يقتلني بعد أن يحصل على غايته!»

ولكنَّ الوقت لم يسمح له بالتفكير أكثر، فقد قضت مجموعة ألباين على الحرَّاس، والتفُّوا حول آرميل ليقتادوه إلى الخارج..}.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الثامن

«٨»

https://t.me/fantazynov

عودةٌ لليوم..

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

ربَط رايموند حزامه وثبَّت غمد سيفه، وقال للغربان: جهِّزوا الخيول، سننطلق إلى أورانوس، ونذهب للقاء تلك الوحوش!

ذُهل الغربان وظهرت الحيرة على وجوههم: ماذا؟!.. لمَ نخاطر بحياتنا أيها الزعيم؟!.. فلم نعتد أن نغامر إلَّا لأجل المال!

قال رايموند: سنحصل على المال.. من خلال تلك الوحوش!

سأل أحدهم: ما الذي تقصده، أيها الزعيم؟

ابتسم رايموند بثقةٍ ومكر: إذا عرفنا نقاط ضعفهم ووسيلة السيطرة عليهم، فستصبح الملكة بحاجةٍ إلينا!.. وسيلمع الذهب أمام أعيننا!

تبدَّلت تعابير وجوههم، وظهر الحماس في أعينهم، فحملوا أسلحتهم وقالوا: نحن معك يا زعيم!

❁❁❁

في اليوم التالي..

(رومبيانيا ــ غابات الشرق)

انطلق فارسٌ يشقُّ بجواده أشجار الغابة الكثيفة، ولكنَّه لم يكن يدرك أن غيلبرت ظلَّ يتعقبه لأيام، إلى أن حانت اللحظة التي ترجّل غيلبرت فيها عن حصانه، وانطلق قافزاً بين الأشجار ثم هبط على الأرض أمام الجواد الذي صهل واضطرب، فأخرج الفارس سيفه ليُقاتل مُهاجِمه المجهول..

سأله غيلبرت: من أنت؟.. ولمَ تسافر إلى رومبيانيا بهذه العجلة؟

رفع الفارس سيفه عالياً وهجم على غيلبرت، لكنَّ الأخير اختفى في لمح البصر، فسمع الفارس صوتاً من خلفه يقول: لا تُجهد نفسك بالقتال!.. سأُبقي على حياتك إذا أجبت على أسئلتي!

ذُعر الفارس عندما التفت ووجد غيلبرت يقف خلف ظهره، وكانت عيناه تُشعَّان بلون الثلج، ولم يترك له فرصةً للذهول، فقد قام بدفعه بعنفٍ ليصطدم ظهره بالأرض، ويسقط سيفه بعيداً..

حينها أدرك الفارس أنه في خطرٍ وفضَّل الفرار، ولكنَّ غيلبرت لم يسمح له، وظلَّ يوجِّه له ضرباتٍ متسارعة، إلى أن عجز الفارس عن النهوض، فتقدَّم غيلبرت نحوه قائلاً: إن لم تجب عن أسئلتي الآن، فربما من الأفضل أن تودِّع روحك!

أجاب الفارس مستجدياً بعينيه: أنا رسولٌ أحملُ رسالةً شفهيةً إلى جنديٍّ في الجيش البانسلي!

ظهر التعجب على وجه غيلبرت، وسأل: ممن؟.. ولمن؟

رفض الرجل الحديث، ولكن بعد أن تلقى لكماتٍ سحقت وجهه، أجاب: من اللورد إيمانويل بونيفيل، إلى الجندي ليون!

كانت الدهشة واضحةً على عيني غيلبرت، وغضبٌ يتجلَّى على تقاسيم وجهه، فجثا على الأرض بجوار الفارس وقال: لأصدُقك القول، لم أذق دماء بشرٍ في حياتي، ولكنْ للضرورة أحكام، فأنا عطشٌ جدّاً، بعد طريقٍ طويل!.. لذا لا يمكنني الوفاء بوعدي، فستودِّع روحك في جميع الأحوال!

نظر إليه الرجل بهلعٍ بعد أن رأى تلك الأنياب التي تقترب من رقبته، وكان ذلك آخر مشهدٍ تراه عيناه.

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

وصلت رسالةٌ عاجلةٌ من تريتون إلى بيلزبيل، فقُرئت على مسمعه:

(إلى جلالة الملك بيلزبيل،

لقد عبَر أرجوس منطقة الشرق وهو ينوي الزحف نحو كليوزهيست، بعد أن أنشأ قاعدةً له في وادي الذئاب.

تريتون.)

سخِر بيلزبيل: وادي الذئاب؟.. الجبان يحتمي خلف الحيوانات!

توترت الحاشية بعد سماعهم لنصّ الرسالة، لكنَّ بيلزبيل نهض من مقعده ليُطمئنهم: سنقوم بصدّه قبل أن يقترب من كليوزهيست!

والتفت نحو الكاتب: هذه خطةٌ دفاعيةٌ عسكرية قوية، ستجعل من المنطقة مقبرةً لأرجوس وجيش أفروديت!.. اكتب!

ثم التفت إلى رسوله، وأمره بنقل ردِّه العاجل إلى تريتون.

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

في تلك المنطقة الباردة الموحشة، هجمت الذئاب على أحد الخيول، مما استدعى تشديد الحراسة على المعسكر، وكانت زوي تراقب أرماند وتفكر: «لقد بدأ وجه الكونت بالشحوب والاصفرار، فلم تُتَح له الفرصة ليشرب دماً منذ مغادرتنا من دولين، إنه محاطٌ بالقادة والجنود طوال الوقت، كما لا يمكنه الخروج من المعسكر، فسيكون محطَّ الأنظار لكونه قائد الجيش. أنا وهو نمرٌّ بالشعور ذاته، جفافٌ وعطشٌ قاتل، في منطقةٍ قاحلةٍ تندر فيها الحيوانات، عدا الذئاب التي تعدُّ عدوّاً لمصاصي الدماء!.. سنرى ما الذي سيفعله أرماند لينجو!».

ظهرت أعراض الإنهاك على وجهها، فاتجهت إلى الخيمة لتستريح، ولحق بها ألارد بعد أن لاحظ إعياءها، وسألها: زوي!.. هل أنتِ بخير؟

أشارت بيدها طالبةً منه أن يَخفض صوته، وجلست على الأرض بثقل، فاقترب وهمس سائلاً: هل أنتِ عطشةٌ.. للدماء؟!

دفعته بارتباك: ابتعد عني يا ألارد!.. لن أُقحمك بمشكلاتي!.. سيقبض علي الكونت قريباً!

سألها بتوتر: ما الذي تقصدينه؟!

قالت بصوتٍ متعب: لقد تعمَّد الكونت منع الجميع من الخروج من المعسكر، ليس لأجل حمايتهم من الذئاب، بل لإيجادي!!

فكَّر ألارد بسرعة: هل تعتقدين أنه يحاول منعكِ من الوصول للدماء، حتى تظهر أعراض العطش والشحوب على وجهكِ، فيعثر عليكِ بسهولة؟!

أومأت برأسها مؤيدةً، ثم طأطأت نحو الأرض، وكانت تواجه صعوبةً في التركيز والتوازن، فقال ألارد: يجب أن نخبِّئك جيداً إذاً!

قام بمساعدتها على النهوض وأخذها نحو مستودع الذخيرة، وقال: بما أننا في حالة أمن، لا يأتي الجنود إلى هذا المكان كثيراً!.. ستبقين هنا، وسأذهب لاصطياد حيوانٍ وسأجلب دماءه لك، حتى لو كان ذئباً!

❁❁❁

وفي الليل..

تسلل ألارد إلى خارج المعسكر ليصطاد، ولكنَّ ذئباً هجم عليه وتمكَّن من جرح ذراعه، فعاد إلى زوي خاوي اليدين، وكانت تختبئ في مستودع الذخيرة، منهكة القوى، إلى أن دخل عليها ناقلاً لها الأخبار: قام أرماند بجولةٍ تفقُّديَّةٍ حول خيام الجند، ولحسن الحظ

أنكِ تختبئين هنا!.. فالأمر كما توقعناه بالفعل!

ثم أردف: وبعد جولته، خرج من المعسكر لاستكشاف المنطقة، مصطحباً معه جنديّاً، ولكنَّه عاد في نهاية اليوم بمفرده، وكان يقول بأن مرافقه قُتِل عندما هجمت عليهما مجموعة ذئاب، بينما تمكَّن أرماند من الفرار بأعجوبة، وكانت آثار الدماء تُغطي درعه.

ابتسمت زوي وقد فهمت الكذبة: لقد قتله وارتوى من دمائه!

أومأ ألارد برأسه مؤيداً: هذا ما ظننتُه أيضاً!

نظر إلى سوء حالها، وقد يئست واستسلمت، وحكمت على نفسها بالموت: أنا مصابةٌ بلعنة، والموت هو كل ما أستحقه!.. فإما أن أموت عطشاً الآن، أو يقتلني أرماند!

وبَّخها ألارد: لا تتفوهي بهذا الهراء!.. لا تزالين زوي التي أعرفها، لا تزالين تلك الطفلة القوية التي لا تخشى شيئاً ولا تُكسَر!.. لن تسمحي لهذا الحال أن يُضعفك، اصمدي يا زوي!

ثم مدَّ يده الدامية إليها، وقال بنبرةٍ آمرة: اشربي من دمي!

نظرت إلى جرحه النازف، واشتمَّت الرائحة الجذابة التي تفوح من دمه، فابتلعت ريقها الجاف بعطشٍ شديد، ودفعت يده بعيداً عنها: لن أفعل هذا!.. لا أريد إيذاءك يا ألارد!.. فنقص الدماء، سيُضعف جسدك!.. ونحن الآن في حرب، تحتاج فيها إلى كامل قواك!

قال بحزم: أُفضِّلُ أن يضعف جسدي وينهار على الأرض، على أن يموت أحد أصدقائي!

أشاحت بوجهها عنه، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: وأنا أُفضِّلُ الموت على أن أفعل لك شيئاً كهذا!

ودون أن ينتظر موافقتها، قام بوضع قطرات دمه في فمها رغماً عنها، فنظرت إلى عينيه الحازمتين بدهشةٍ، ثم أشعت عيناها لا إراديّاً بعد أن تذوقت دمه اللذيذ، فلم يكن يشابه مذاق أي دمٍ تذوقته من قبل، إنه دم ألاردا!.. حبها الأول.. والأخير!

ظهرت أنيابها وقامت بعضِّ يدِه لتشرب وترتوي من عروقه، وظلّ ألاردا متماسكاً ولم تظهر على وجهه أي تعابيرَ للألم، فقد كان يشعر بالرضا، لأنه أنقذ حياة أحد أصدقائه.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

وقف أليكسيو أمام المجموعة السريَّة التي شكَّلها، وأعطاهم الأوامر: ستهربون هذه الليلة!.. يجب أن تكونوا حذرين للغاية!.. فالفيركولاس لديهم حواسٌّ قوية!.. ستتحركون ببطءٍ واحداً تلو الآخر عبر النفق، وبعد عبور آخر فرد، ستُغلِقون النفق بإحكامٍ حتى لا يتعقَّبوكم، ثم ستنطلقون عبر النهر لتُخفوا رائحتكم، وتذهبون إلى لورديور لإبلاغ الملكة عمَّا يجري!

كانت لهفة النجاة تملأ أعينهم الذابلة، وكانوا ينظرون إلى أليكسيو بامتنانٍ ممتزجٍ بشفقةٍ على حاله، فهو يخاطر بحياته لأجلهم.

أمسكت داناي بمِعصَم يدها، بعد أن فقدت ذلك السوار الذي كان يمنحها الأمان، كانت مذعورةً من فكرة الإقدام على الهرب، فهذه المخاطرة قد تحتمل النجاح.. وتحتمل الفشل، والفشل يعني موتهم جميعاً على أيدي مصاصي الدماء.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

في إحدى الأمسيات الصاخبة، همست مارغريت لابنتها: ستسير الأمور كما خططنا لها!

ابتسمت باربرا بثقةٍ ثم ذهبت لتراقب ديميتير عن كثب، ولم تُزح عينيها عن الأميرة التي كانت تتنقل بين الحضور وتتبادل الأحاديث، إلى أن اقتربت منها فيوليت بونيفيل لتلقي عليها التحية. التفتت إليها الأميرة مرحِّبةً: فيوليت!

انحنت فيوليت وقالت: سمو الأميرة، أقدِّم لكِ هديةً متواضعة، وأتمنى أن تنال إعجابك!

ابتسمت ديميتير: أشكركِ يا فيوليت!

ثم أمرت تيرزي بفتحها، فقدَّمت لها تيرزي حجراً كريماً فاخراً وقد نُحِت عليه اسمها، قالت فيوليت: هذا الحجر يجلب الحظ الجيد، الرِّفعة والجاه، التُقِط من جبلٍ مقدس!

عندها لمعت عينا ديميتير بانبهار: يا لجماله!.. من أين حصلتِ عليه؟

ابتسمت فيوليت لأن هديتها حازت على إعجاب الأميرة: إنه حجرٌ نادرٌ جدّاً، هناك صائغٌ جلَبه من أرضٍ بعيدة!.. ولا يبيع هذا النوع من الأحجار إلَّا للمشترين المميزين، يمكنني أن أدلَّ تيرزي على مكانه إذا أردتِ!

❁❁❁

بعد منتصف الليل..

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

عندما كان أليكسيو يساعد الناس على الهرب، انتظر عبور داناي من النفق ثم أمسك بيدها مستوقفاً: داناي!

التفتت إليه، فمدَّ لها برسالةٍ وقال: اطلبي من الآنسة دليا إيصال هذه الرسالة إلى السيرجنت ألباين!.. سأثق بكِ!

خبَّأت داناي الرسالة في ثيابها وأعطته وعداً بتسليمها لدليا، ثم رأته يتراجع نحو الخلف وسألته: ألن تأتي معنا؟!

أجابها وهو يعود أدراجه: سأُغلق النفق خلفكم!.. يجب أن أبقى، فخروجي سيكون خطراً على البشر!

دفعها الناس عبر الممر الضيق وأجبروها على الخروج، وغاب أليكسيو عن ناظريها، وبعد أن خرج آخر شخصٍ من النفق وردَموا المخرج خلفه بالتراب، صُدِموا بجنودٍ من الفيركولاس يلحقون بهم!

فشجَّعوا بعضهم بعضاً: اهربوا وفق الخطة!!

تفرَّق الهاربون ليشتتوا الفيركولاس في عدة اتجاهات، ثم التقوا عند النهر ليعبروه، لكنهم أخذوا يتساقطون صرعى، إثر هجمات الفيركولاس الشرسة. وكانت داناي تركض بكل ما أوتيت من قوة، تسارعت مع ركضها نبضات قلبها الهلِعة، وازدادت أنفاسها ثقلاً، وتناثر شعرها بعشوائيةٍ خلف ظهرها، وتعثَّرت قدماها الحافيتان، وخدشت الأغصان ساقيها النحيلتين، إلى أن سمعت صوت الشلال يعلو شيئاً فشيئاً، وهذا يعني اقترابها من النهر الذي سيساعدها على النجاة، لذا أسرعت إليه ثم ألقت بنفسها في مياهه، ولم تنظر إلى الوراء.. أو تفكر.. إلى أين ستسبح!.. ولم تشعر إلَّا ويدٌ ضخمةٌ تلتقطها من الماء، وصوتٌ قبيحٌ يصيح بظفَر: أمسكتُ بواحدة!!

قتل الفيركولاس جميع الهاربين، وأبقوا فقط على الفتيات، ثم ألقَوهم أمام قائدهم، زيس.

حاولت داناي النهوض ولكنَّ ثيابها المبللة كانت تُثقِل من حركتها، وجعلتها ترتعش مع برودة الطقس، فرفعت رأسها لتنظر إلى قامته الطويلة وشعرِه الأسود المنسدل بنعومة، وكانت القسوة تكسو ملامحه، نظر أرام إلى الفتيات وأمرَ جنوده: خذوهنَّ إلى بالتازار!

أمرَ الكونت جنوده بالاصطفاف في ساحة المعسكر، وقد بدأ جسد ألارد يضعف بسبب نقص دمائه، وبالمقابل، كانت زوي تستعيد طاقتها، بعد أن أخذت الحياة تدبُّ في جسدها من جديد..

في اللحظة التي كان يقوم بها أرماند بتفقُّد الجند، وقعت عيناه على ألارد، واقترب منه بعد أن لاحظ شحوب وجهه، واشتمَّ رائحة الدم تنبعث منه، فأمسك بذراعه وأزاح ثيابه عن الجرح، ورأى آثار الأنياب: أرى أنك أُصبت مؤخراً؟.. كيف تفسِّر هذا، سيرجنت ألارد؟

وحدّق بحدةٍ في عينيه، لكنَّ ألارد أزاح يده، وقال بثقة: أخطأتُ بخروجي من المعسكر للصيد، وتعرضتُ لهجوم أحد الذئاب.

وقام بانحناءةٍ عسكريةٍ ليعبِّر عن اعتذاره: أنا مستعدٌّ لقبول أي عقوبةٍ تُفرض عليَّ!

في تلك الأثناء، وصل الرسول القادم من لورديور، وتقدَّم نحو أرماند ليُسلِّمَه رسالة الملكة يداً بيد، ثم طلب الحديث معه على انفرادٍ ليمدَّ له برسالةٍ أخرى وهو يقول: وهذه من سمو الأميرة ديميتير!

وبعد أن خرج الرسول من الخيمة، فتح أرماند رسالة ديميتير العاطفية، وذهل من رائحة الياسمين المنبعثة منها، ووجد بداخلها زهرة ياسمينٍ جافة، فالتقطها ليحتفظ بها بين حاجياته.

وبينما كان الجنود يستلمون رسائل أهاليهم، تلقَّت زوي رسالةً من أغلاي، فعادت إلى الخيمة لتقرأها مع ألارد:

(ليون وألارد العزيزين،

أُتابع أخبار الجيش وسعيدةٌ بالتقدُّم الذي وصلتم إليه. وأودُّ إخباركما بأني التقيتُ

بآرميل ورايموند في لورديور.

أتمنى أن تكونا بخير، بانتظار عودتكما.

أغلاي.)

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

بعد عودتها من القصر، كانت باربرا تهمُّ بتبديل ثيابها، ولكنَّها شعرت من خلال حواسِّها الخارقة بوجود شخصٍ في الشرفة، فأشعَّت عيناها وتحركت ببطء، ثم فتحت زجاج الشرفة لتنقضَّ عليه، ولكنَّها هدأت عندما رأته: آرميل؟!.. كيف تمكنت من الدخول؟!

آرميل مبتسماً: قمتُ بإلهاء الحرَّاس بطريقتي!

ولجَت إلى الداخل بامتعاض: ادخل قبل أن يراك أحدهم!

جلس آرميل أمامها على المنضدة، فقالت: سأُقدِّمك إلى والدتي لكي أتمكَّن من استضافتك في المنزل بشكلٍ لائق، فالتسلل عبر الشُّرفات ليس الوسيلة المُثلى للقاءاتنا!

وافق آرميل، ثم قالت: لقد أُعجِبت ديميتير بالحجر الكريم!

ابتسم آرميل مغترّاً بنفسه: لن تندمي على استشارتكِ لي، فخبرتي بالنساء لا تخطئ!

❁❁❁

مع بزوغ الفجر..

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

كان يتم اقتياد الفتيات إلى كهف بالتازار سيراً على الأقدام وهنَّ مكبّلاتٌ خلف

الخيول، كانت داناي الوحيدة التي مشت حافية القدمين في ذلك الطقس البارد، وكانت قدماها متجمِّدتين ودامیتین، وتؤلمانها مع كل خطوة، إلى أن أصبحت لا تشعر بهما، مما جعلها تُعرقِل السير، فقام أحد رجال الفيركولاس بدفعها بعنفٍ قائلاً: تحركي!!

انتبه أرام إلى ما يحدث خلفه، ثم نظر إلى قدميها، وبعد لحظاتٍ تفاجأت عندما رأته ينزل عن صهوة جواده ويقترب منها، ثم يخلع حذاءيه ويضعهما أمام قدميها، وسط ذهولٍ من جنوده.

وبعد تردد، انتعلت حذاءه الأسود الكبير الدافئ، وشعرت براحةٍ عظيمة، وخفق قلبها بشدة: «إنه لا يزال.. يحمل قلب إنسان!».

وعند وصولهن، قاموا بسجنهن في كوخٍ خشبي، وأفسح الفيركولاس الطريق ليظهر بالتازار من خلفهم، واقترب لرؤية ضحاياه، وفور أن وقعت عينه عليها، سأل بحَيرة: أظن أنني رأيت هذا الوجه الجميل من قبل، ما اسمكِ؟

خفضت عينيها، وأجابته بصوتٍ ضعيفٍ مرتعد: داناي..

أمال رأسه ونظر إلى الأعلى محاولاً التذكُّر، ثم قال: أظنُّكِ الطفلة في القارب، كنتِ تسافرين مع جنديٍّ متنكِّرٍ بثياب مدنية!

ذُهلت، وتذكرت وجهه فوراً: «الرجل الأعور!».

ثم أدار ظهره وأمر رجاله قبل أن يغادر: لستُ مُطمئنّاً لوجودها هنا، أبقوا أعينكم عليها!

ظلَّت داناي تُفكِّر حائرةً: «الرجل الذي أنقذني من الغابة، وأول شخصٍ عرفتُه!.. هل كان جنديّاً؟».

قال إيفرايم: امكثن هنا إلى حين موعد عشاء بالتازار، سيأخذ فتاةً كل ليلةٍ ليشرب دماءها.

أصيبت الفتيات بالهلع، وبدأن بالصراخ والبكاء، وتشبَّثت داناي بذراع أرام مستجديةً: لا تتركني هنا يا أرام، أرجوك!.. لا تدعهم يقتلونني!!

قام أرام بدفعها بعنفٍ ليرتطم ظهرها بالحائط وتسقط على الأرض بقوة، فرفعت رأسها فوجدته يرمقها بنظرةٍ باردة، لا حياة ولا شعور فيها..

التفت فيلمون إليها مُتهكِّماً: لا يحقُّ لطعامٍ أن يتكلم!

و قال إيفرايم: كيف تتجرئين على استجداء القائد زيس؟!.. هل لأنه قدّم لكِ حذاءه؟!.. هل كنتِ تعتقدين أنه فعل ذلك عطفاً عليكِ؟.. لقد فعل ذلك فقط لأنه يحرص على أن تبقى وجباتُ بالتازار بصحةٍ جيدة، ودماءٍ دافئة!

وضحك جنود الفيركولاس، بينما لجأت داناي بخيبةٍ إلى إحدى الزوايا، تلملم انكسارها، وتتحسس إصابات جسدها، وتحتضن نفسها، ثم تبكي بحرقة.

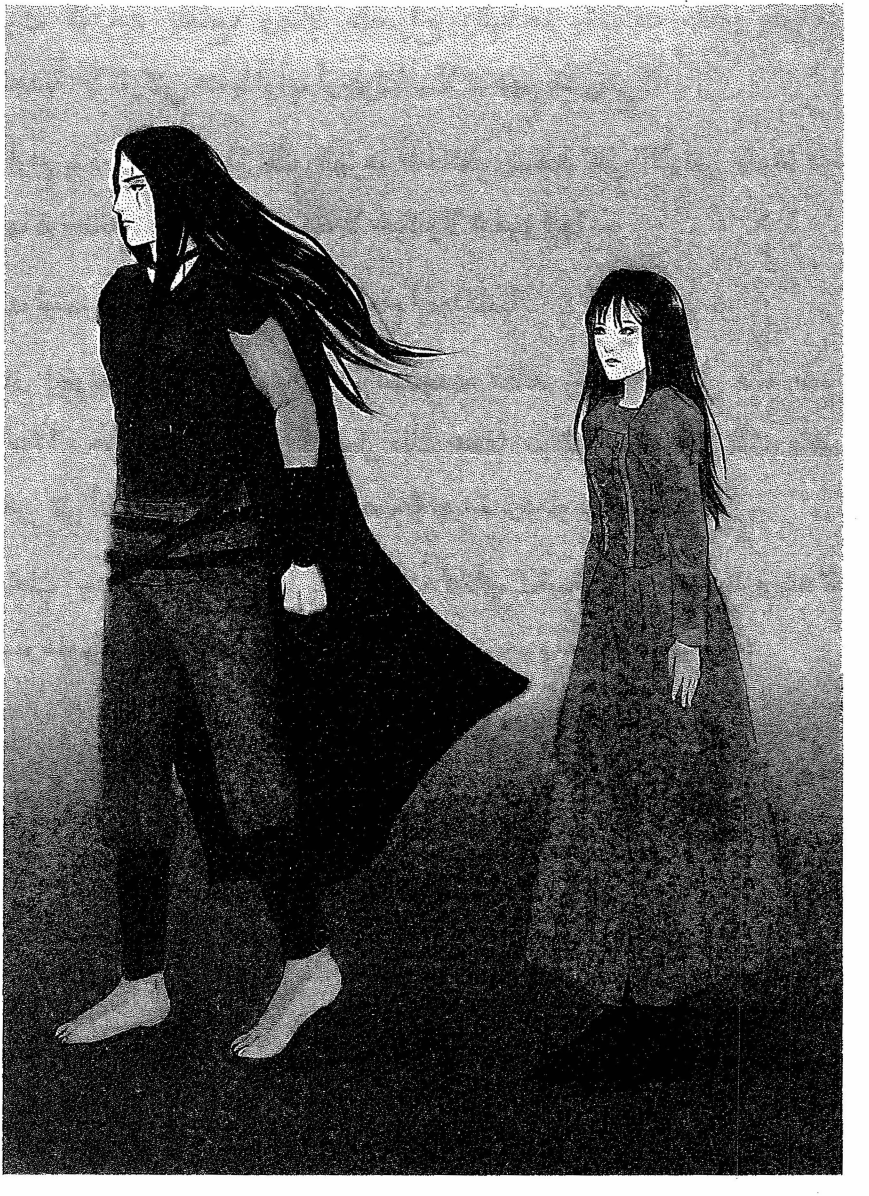

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

أرسل الكونت أرماند ثلاثة رُقباءَ في مهمةٍ استكشافية إلى كليوزهيست، ألارد وألباين ورقيبًا آخر. ومن فوق التلال، تمكَّن الثلاثة من الاطِّلاع على تجهيزات تريتون وجيشه، ولكن حين قرر الرقباء العودة، تفاجؤوا بتعرُّضِهم لحصارٍ من سريَّةٍ رومبيانية اكتشفت وجودهم، فاستلَّ الثلاثة سيوفهم وبدؤوا القتال، وبسبب قلَّة عددهم مقارنةً بالعدو، تعرَّض الرقيب الثالث لإصابةٍ بليغةٍ ثم قُتل، ففَزِع ألارد وألباين لمقتله، وأدركا ألَّا مفرَّ من الموت، وألَّا خيار أمامهما سوى القتال حتى آخر رمق.

هجم اثنان على ألارد وبينما كان يناورهما، اقترب ثالثٌ من خلفه يحمل رُمحاً، فصرخ ألباين منبِّهاً: خلفك!!

وقبل أن يلتفت ألارد إلى خصمه، مرَّ سهمٌ مُباغتٌ واستقرَّ في قلب الخصم، فسقط صريعاً على الأرض، والتفت الجميع ليعرفوا مصدر السهم، وتفاجأ الرقيبان عندما ظهرت زوي من بين الأشجار، ثم خاطبت ألارد بعبارةٍ لم يفهمها أحدٌ سواه: ألارد!.. أفسح لي المجال لأُنهي الأمر بطريقتي!

وأشارت بعينيها نحو ألباين، ففهم ألارد، وأدرك أن الأمر لن يجدي بدون قوة زوي، ثم فاجأ الأعداء عندما التفت نحو ألباين وضرب رأسه من الخلف ليسقط مغشيّاً عليه، وبينما كان الرومبيانيون يحاولون تفسير الموقف ظهرت أنياب زوي وأشعَّت عيناها احمراراً، وانطلقت هاجمةً عليهم وفاتكةً برقابهم واحداً تلو الآخر، وبسرعةٍ تثير الجنون.

كان ألارد يقف مشدوهاً مما يرى، وما لبث أن تحرك ليقاتل إلى جانبها. وبعد لحظات، وقفت زوي أمامه بعد أن قتلتهم جميعاً وتبلَّلت بدمائهم، فقال بانبهار: كان ذلك.. مذهلاً!!

أعادت زوي سيفها إلى غمده، وقالت: فلنحمل السيرجنت ألباين على ظهر الحصان!

حمله ألارد، ثم سأل: هل أرسلكِ الكونت خلفنا؟!

أجابت وهي تركب جوادها: لا!.. أردتُ حمايتك فقط، فلحقتُ بك!

غضب ألارد وقال وهو يرفع لجام خيله: أنتِ تخالفين التعليمات العسكرية!.. يجب ألَّا يعلم الكونت بخروجكِ من المعسكر دون أمر!

وانطلق قائلاً بعد أن جُرِح كبرياؤه: وهل طلبتُ حمايتكِ؟!

لحقت به زوي وهي تجذب لجام الخيل الثالث الذي يحمل ألباين: لا تغترَّ بقوتك، فقد كِدت تُقتل برمحٍ من ظهرك!

تجاهل جملتها تلك، ثم قال: يجب أن تغتسلي في النهر قبل أن نصل!.. إن شاهد أحدهم هذه الدماء التي تعني أنكِ خضتِ معركةً عنيفة، فسينتهي أمرك!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

تسلَّلت فيوليت إلى حجرة والدتها، وفتحت صندوق مجوهراتها، ثم التقطت عِقداً ثميناً وخبأته في ثيابها، واتجهت لتقف أمام صندوق مجوهرات أغلاي، ثم أخرجت العِقد لتضعه بداخل الصندوق. وبعد لحظة تردد، تذكَّرت لطف أغلاي معها، وأحاديثهما السرّية قبل النوم، وضحكاتها التي كان صداها يتردد بين زوايا الحجرة، تنقَّلت بناظريها بين حاجيات أغلاي، حيث أدوات الحياكة التي أهداها إياها إيمانويل، والثياب الفاخرة التي لم تُكمِل حياكتها بعد، والتمثال الصغير الذي تركه لها والدها. شعرت بتأنيب الضمير، وبأن أغلاي لا تستحق مزيداً من المعاناة، فتراجعت وأعادت العِقد إلى مكانه، ثم هبطت السلالم لتلحق بها، فوجدتها ترتدي وشاحاً فوق كتفيها

وتضع قبعةً مُزيَّنة بالورد فوق رأسها، ثم تنحني للدوقة قبل أن تخرج، وتقول: سنذهب أنا وفيوليت لزيارة الأميرة!

ثم التفتت إليها بابتسامةٍ لطيفة، ودعَتها لركوب العربة: هيا بنا يا فيوليت!

اعتمرت فيوليت قبعتها البيضاء والتحفت وشاحها الأزرق الفاخر، ثم التفتت ناحية الإصطبل لتجد إيمانويل يقف عابساً وهو يتفحّص سرج جواده، فقد وجد السرج مقطوعاً، وقال متذمراً: لقد تمزَّق في رحلتي الأخيرة، يتوجب علي إصلاحه!

كان بيلموت يقف إلى جواره، وقال بينما يرمق أغلاي أثناء ركوبها للعربة: إن رائحة دمائها جذابة، لا عجب أن كوتريه قد عشِق والدتها وخالف قوانين والده إيفرانور ليتجرَّع من دمائها، لذا أعتقد أنك ستفعل المثل أيضاً!

كان بيلموت يحاول استفزاز شقيقه، وقد نجح في ذلك، فقد التفت إليه إيمانويل سائلاً: إلى ماذا تُلمِّح؟

ضحك بيلموت ببرود، وقال: أعلم بأنك تريد الاستحواذ على دمائها، لتكون لك وحدك!.. سنكون متعَادلين إذاً، في انتهاكنا للقانون!

فهِم إيمانويل ما يرمي إليه شقيقه: «إنه يشك في شربي لدمها، أو.. بالأحرى، هو متيقنٌ من هذا!».

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

وقف ألارد وألباين أمام أرماند في أسفٍ على فقدان رفيقهما، وخلعا خوذتيهما احتراماً لروحه، فقال أرماند: سنرسل مجموعةً لحمل جثمانه ومنحِه دفناً لائقاً!

ثم قال: هلَّا قدَّمتما تقريركما؟

أجاب ألارد: لقد أنشأ بيلزبيل خطّاً دفاعيّاً على مشارف كليوزهيست، وكانت القوّات الرومبيانية بتعداد ما يقارب العشرين ألف جندي، تدافع عن هذا الخط الذي امتد إلى مسافة مئة كيلومتر، من البحيرة وحتى ملتقى النهرين.

أبوليون مذهولاً: لقد كان بيلزبيل يوفِّر قوّاته لأجل هذه اللحظة!

اهتزّت معنويات القادة بعد سماعِهم لذلك، وأخذوا يتحدثون بجَلَبَة:

- إنهم يفوقوننا عدداً!.. عشرة آلاف جنديٍّ مقابل عشرين ألفاً!!

- هل تريدون أن نُلقي بجنودنا إلى الهلاك!!

نهض أرجوس من مقعده: جنود بيلزبيل يقاتلون خوفاً منه، وليس لأجل حماية أرضهم!.. إنهم يعلمون بأني أحمل الخير لهذه الأرض ولن أنهبها، بل سأستعيدها وأجعلها تزدهر!

ثم قال موجِّهاً خطابه للقادة بثقةٍ وإصرار: لذا، فالعِبرة ليست بالعدد والأسلحة، بل بالدافِع والرغبة، فمعنويات جنودنا أعلى، ودافِعهم أنبل، لأنهم يقاتلون لمستقبلٍ أفضل لأراضيهم وعائلاتهم، في كلتا المملكتين!.. بينما يُمكن هزُّ معنويات جنود بيلزبيل بسهولة!

قال أبوليون: إن سمو الأمير محقٌّ في هذا!.. يمكننا إضعافهم من خلال التأثير على نفوسهم!

أُعجِب أرماند بالفكرة، وتبدَّلت آراء القادة، بعد استعادة ثقتهم بقوَّتهم.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

مكث الغربان فوق أحد التلال ليراقبوا البلدة، وكان رايموند يرسل أربعةً منهم كل

ليلةٍ للاستقصاء وجمع معلوماتٍ عن الفيركولاس، ولكنَّ المجموعة التي أرسلها الليلة الماضية لم تعد حتى الآن، فظهر القلق على وجوه أفراد عصابته، وبدؤوا يوجِّهون له نظرات اللوم.

وبالرغم من هذا، كان رايموند يخفي توتُّره، ويحاول بعث الاطمئنان فيهم، ويقول بصوتٍ واثق: إنهم غرباني الأقوياء، وسيعودون بالتأكيد، علينا أن ننتظر فقط!

وبعد برهةٍ من الترقُّب، صاح أحدهم مشيراً نحو الأسفل: إنه لادون!!.. لقد عاد لادون!!

كان لادون يحاول الصعود إلى التلة بصعوبة، وكان ينزف دماً، فركض اثنان نحوه لمساعدته وأجلساه أمام رايموند، قال لادون وهو يلهث ذعراً: لقد مزَّقوا رقاب أصدقائي!!.. رأيتُ الأنياب تُغرس في عروقهم، ثم فجأةً.. غطَّت دماؤهم وجهي!!.. أيها الزعيم، لقد رأيتُ شيئاً بشِعاً، ومؤلماً!.. لم أتمكن من الفرار منهم إلا بواسطة رمحي هذا!.. لقد قتلت الوحوش جميعاً!

ظهر الحزن على وجوه الغربان وبكوا بُحرقة، وكذلك حزن زعيمهم رايموند، ودمعت عيناه لفقدان ثلاثةٍ من غربانه، وأدرك أن البقية سيُحمِّلونه ذنب أرواحهم. وبالفعل أخذوا يرمقونه بنظراتٍ حارةٍ، ولومٍ ينهش وجهه ويكوي قلبه.

لكنه تماسك وقال: لن يموت أصدقاؤنا عبثاً!!.. لادون، هل قلتَ بأنك قتلتهم؟!

رفع لادون رأسه بفخر: أجل!!

سأله رايموند بعينين مبهورتين: كيف تمكَّنت من فعلها؟!

أجاب لادون: كانوا ثلاثة وحوش!.. هجمتُ على أحدهم برمحي من الخلف، واخترقتُ ظهره وأصبتُ قلبه!.. ثم ذُعرتُ بشدةٍ عندما رأيته يتلاشى أمامي فجأةً، ويتحول إلى ترابٍ أشبه بالرماد!

ثم قال: أدركتُ أنهم يموتون إذا أصيبت قلوبهم فقط، فركَّزت تصويب رمحي نحو القلب، وقتلتهم جميعاً!!.. ولكن للأسف، مات رفاقي قبل أن أتمكن من إنقاذ حياتهم!

نهض رايموند وهو يحدّق به بإعجاب، فقد توصل إلى أهم معلومةٍ كان يسعى إليها، فقال مفتخراً به: لقد فعلتَ شيئاً عظيماً يا لادون!!.. يمكننا الآن الانتقام لأرواح أصدقائنا!!.. وإبادة أولئك الوحوش حتى آخرِهم!!.. قوموا بتضميد جراح لادون!.. فهو بطلُنا لهذا اليوم!

ثم قال: فلنذهب الآن لدفن أبطالنا الذين ضحَّوا بحياتهم في سبيل إنقاذ البشرية!

سأله أحدهم: وماذا عن داناي؟.. لقد رأينا الوحوش تأخذها إلى الغابة مع مجموعةٍ من الفتيات، ولم نفعل شيئاً!!

ابتسم رايموند بثقة: بالطبع لن نتخلى عن صديقتنا!.. كل ما كان علينا فعله قبل أي شيء، هو أن نعرف نقطة ضعفهم، حتى نصبح قادرين على هزيمتهم!.. وها قد عرفناها الآن!!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

التفت ألباين فجأةً، ثم اتجه نحو ألارد والريبة في عينيه: إنه غيلبرت بونيفيل!.. ما الذي جاء به إلى هنا؟!

نظر ألارد إلى غيلبرت الذي نزل عن صهوة جواده، وأخذ يمشي بخطواتٍ واسعةٍ وسريعةٍ نحو خيمة أرماند، وسط ذهول الجند..

فدَنا ألباين من ألارد هامساً بغير ارتياح: ثمة خطبٌ ما!

فكَّر ألارد بحذرٍ وحيرة، وتبادل الشعور المتوجِّس ذاته مع زوي، التي أمِلت بألّا تكون هي السبب في زيارته الغريبة، إلّا أن ألباين تخطَّى الجند وتجرأ ليسأله أمامهم، وبنبرةٍ

ساخرة: الأمر مريب، فهذه حربٌ وأرض معارك، ما الذي يفعله جنديٌّ من الحرس الخاص هنا، عدا أن تكون الملكة قادمةً مع حرَسها لإدارة الحرب، فما من سببٍ آخر لوجودك يا غيلبرت بونيفيل!

التفت غيلبرت إلى ألباين بابتسامةٍ مستحقِرة، واقترب منه ثم أمسك بياقته وحاول توضِيبها بحركةٍ يُثبت بها سيطرته: ما من سببٍ يدعو جنديّاً متواضعاً للتجرؤ على سؤال حرَس الملكة عن المهام التي تُرسِلهم بها، إلّا إن كان فضوليّاً، والفضول قد يقتُل!

وابتسم بتهكمٍ بعد أن وصل تهديده المبطَّن إلى فَهم ألباين، ثم دخل مُسرعاً إلى خيمة الكونت، وبعد أن تحدَّث معه على انفراد، أزاح أرماند ستار خيمته ليختلس النظر إلى جنوده، بينما كان غيلبرت يقول: حارس الملكة، اسمها الحقيقي (زوي)، مصاصة دماءٍ تتنكر على هيئة جندي، وتسببت بجرائم في القسم العسكري!.. كانت شكوكنا في محلِّها منذ تسللها المريب من الجناح الملكي في ذلك المساء!

❁❁❁

{حاولت زوي التفكير في طريقةٍ لإنقاذ صديقها آرميل من المحاكمة، وشعرت بأنها يجب أن تهرع لإخبار ألارد حتى يساعدها في هذا المأزق، ولكنها ترددت في ترك حراسة الجناح الملكي، فتظاهرت بوجود ألمٍ مفاجئٍ في بطنها، ووكّلت أحد الحراس لينوب عنها، وركضت عبر الرواق إلى الخارج، ولم تلحظ أن غيلبرت كان واقفاً يراقبها خلف أحد الأعمدة، وقد بدَت الحيرة على قسمات وجهه، والشكُّ واضحاً في عينيه..

تلقّى ألارد الخبر بصدمةٍ بالغة، فكلاهما يعرف بأن النصب والاحتيال هي هواية آرميل المفضلة، ولم يستبعدا أن يقع في قبضة العدالة يوماً، ولكن أن يكون في استضافة الملكة ليلعب الشطرنج معها، ذلك ما لا يمكن استيعابه!

ولم يكن الاثنان يعلمان، بأن غيلبرت يراقبهما من بعيد..

وفي مكتب الكونت أرماند..

قال غيلبرت: إنني أشكُّ في أحد أفراد الحرس الخاص..

سأل أرماند: من هو؟!.

أضاف أرماند مؤيداً: شاهدتُ أثر أنيابها على ذراع السيرجنت ألارد، إنها أكثر من يبقى على مقربةٍ منه، وشككتُ بها وبمناوراتها السريعة، وقوّتها القتالية رغم صغر حجمها، الأمر الذي دفعني لطلب مبارزتها لأقطع الشك باليقين، إلّا أنها كانت محظوظةً، فلم تكتمل المبارزة، لأننا تعرضنا لهجمةٍ مفاجئةٍ من الرومبيانيين، تسببت بإلهائي عنها.. إلى حينها!

سأله غيلبرت: ما الذي ستفعله بها الآن؟

قال أرماند وهو يحدّق بها من بعيد: نحن بحاجتها الآن، إنها تقدِّم فائدةً للجيش طالما ظلّت تشعر بالأمان!.. سأراقبها جيداً، وسأمسك بها لاحقاً!

انفعل غيلبرت: قد تكون جاسوسةً للفيركولاس!

أجاب أرماند: أخبرتَني بأنها صديقةٌ للمدعو آرميل، لا أظنُّ أنهما جاسوسان للفيركولاس، فلن يقوم بالتازار بكشف نفسه على هذا النحو!.. أظنُّ أنهما هاربان منه بالفعل!

حاول غيلبرت تهدئة انفعاله، ثم سأل: وماذا سنفعل بخصوص إيمانويل؟.. فكما أخبرتك، لقد بعث رسولاً لتحذيرها!.. إنه متواطئٌ معها!

ردَّ الكونت: سأواجه إيمانويل عندما أعود!

أغلق أرماند الستار والتفت نحو غيلبرت بجدية: عليك أن تنفِّذ المهمة التي سأرسلك بها الآن!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

عبَرت تيرزي مع فيوليت أحد الأحياء النائية، حيث لم تتمكن العربة من دخول الحي لضيق ممراته، وكانت تيرزي تتلفت حولها قلقةً: لقد ابتعدنا كثيراً عن العربة والحراس!.. كان يفترض أن نجلب أحدهم معنا، لم أكن أعلم بأننا سنمرُّ بمثل هذه الأزقّة المُخيفة!

ابتسمت فيوليت بهدوء: لا عليكِ، سيدة تيرزي!.. فقد زرتُ هذه المنطقة سابقاً!

وبعد بضع خطوات، اجتازتا الزقاق لتصلا إلى المتجر الذي كان مدخله غريباً، وتحدثت فيوليت مع الصائغ لتقدِّم تيرزي إليه بصفتها خادمة الأميرة، فدعاها إلى الداخل، وأخذت تتخيَّر من أحجاره النادرة التي كان يخبئها في نهاية المتجر، وبعد أن اشترت منها ما يناسب الأميرة، التفتت ولم تجد فيوليت!.. فخرجت من المتجر للبحث عنها، وفور خروجها تعرَّضت لاختطافٍ من قِبل رجلين، قاما بتغطية عينيها وفمها، ونقلاها إلى مكانٍ مجهول.

❁❁❁

https://t.me/fantazynov

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل التاسع

«٩»

https://t.me/fantazynov

أزاحا القماش عن عينيها، فوجدت نفسها مقيدةً على كرسيٍ في حجرةٍ قديمة، ثم دخلت عليها امرأتان ترتديان ثياباً فاخرةً تدلُّ على انتمائهما لطبقةٍ نبيلة، لكنَّهما كانتا تُخبئان وجهيهما خلف أقنعةٍ غريبة.

تحدَّثت إحداهما: تيرزي!.. هل تعلمين لمَ جلبناكِ إلى هنا؟

كانت تيرزي ترمقهما بحذر، فأردفت المرأة: لأنكِ أقرب شخصٍ للأميرة!

لاحظت تيرزي أن إحداهما تبدو فتاةً أصغر سنّاً، وقد تقدَّمت الفتاة تحمل زجاجةً صغيرةً دسَّتها في ثياب تيرزي، وقالت: ستضعين هذا في طعام الأميرة!

حاولت تيرزي السيطرة على ارتباكها، وسألت بريبة: ما الذي تقولينه؟!.. من أنتما؟.. وما هذه الأقنعة؟.. هل هذه مزحةٌ من نوعٍ ما؟!.. لأنني لا أجدها مُسلِّية!

قامت الفتاة بمدِّ يدها نحو رقبة تيرزي، وبقبضةٍ واحدةٍ خنقتها، ورفعتها عن الأرض، وارتفع معها الكرسي!

ذعرت تيرزي وحاولت الصراخ ولكنها لم تتمكن من ذلك، وفكَّرت: «ما هذه القوة المرعبة؟!».

ثم ما لبثت أن ألقتها الفتاة على الأرض مع الكرسي، فحاولت تيرزي النهوض للجلوس بشكلٍ صحيح، وكانت تبكي متألمةً، فكل عظمةٍ في جسدها المقيّد إلى الكرسي، كانت توشك أن تتهشم!

قالت مستجديةً: أرجوكما.. أن تحلّا قيودي، فهذا مؤلم!

لم تستجيبا لها، فقالت: حسناً، سأرى ما يمكنني فعلُه لأجلكما!

ركلت الفتاة مقعدها لتصطدم معه بالحائط، فانحلَّت قيودها إثر ذلك الاصطدام العنيف، وسقطت على الأرض بعيداً عنه، فقالت الفتاة: ستشعرين بأكثر من هذا الألم، إذا لم تنفِّذي ما أمرناكِ به!

ردَّت تيرزي بغضب: هل تريدانني أن أقتل سيدتي؟!.. لن يحدث هذا أبداً!.. وإذا لم تطلقا سراحي الآن، فستبعث الأميرة من يبحث عني!.. وسيكون مصيركما الإعدام!

قالت الفتاة: يبدو أنكِ لم تفهمي بعد!.. ستموتين قبل أن تعثر عليك سيدتك!

نظرت إليها تيرزي بتحدٍّ: ما دمتِ تملكين قوةً هائلةً كهذه، فلمَ لم تواجهي الأميرة بها؟.. لمَ تحتاجين إلى مساعدتي؟

ضحكت الفتاة: أنا قادرةٌ على قتلها بنفسي!.. لكني أملك حكمةً كافيةً لئلّا أجعل أصابع الاتهام تشير إليّ!

تيرزي: وهل تعتقدين أن الاتهام لن يوجَّه إليكما الآن، بعد أن قمتما باختطافي؟

تقدَّمت الفتاة نحوها بخطواتٍ سريعةٍ بعد أن استفزتها، وقامت بضرب وجهها، واستمرَّت بفعل ذلك إلى أن نزف، وكانت تقول: لن أتوقف عن تشويه وجهكِ إلى أن تُقرِّي بأنكِ ستضعين السمَّ في طعام ديميتير!

حاولت تيرزي تحمّل تلك الضربات، رغم الدماء التي سالت من وجهها، ولكن بعد برهةٍ من الصمود، انهارت وصرخت: سأفعل!.. سأفعل!.. توقفي، أرجوك!!

توقفت الفتاة وقالت: سنراقبكِ جيداً!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

انطلق ألباين على ظهر حصانه بعد أن أرسله الكونت أرماند في مهمةٍ لاستطلاع الطريق عبر منطقةٍ خطرة، للتحقق من خلوِّها من أي فخٍّ قد ينصبه العدو قبل أن يعبر الجيش بها. ولم يطمئن ألباين لهذه المهمة، وكذلك صديقاه، ألارد وليون، فقال لهما قبل أن يغادر: إن لم أعد، فتيقنا بأن الكونت قتَلني!.. وبلِّغَا أختي دليا بهذا!

وعندما وصلَ إلى المنطقة الصخرية، قطَع طريقه جوادٌ أبيض، يعتليه غيلبرت بونيفيل،

وكان يرمقه بنظرةٍ غامضةٍ، تعلن التحدي، وكان يشدُّ لجام جواده للسيطرة على جموحه.

ففهِم ألباين أنها مكيدةٌ كما كان يتوقَّع، واستلَّ سيفه تأهباً للنزال، ولكن، ودون مقدماتٍ سقط عن جواده على الفور وطار سيفه بعيداً، فقد هجم عليه غيلبرت بقفزةٍ مُخيفةٍ لم يشهد لها مثيلاً، وشهق بذعر: كيف؟.. كيف يمكن لك.. أن تقفز هكذا؟

إلّا أنه عرف الإجابة عندما شاهد إشعاع عينيه الثلجيتين، وحاول النهوض بوجهٍ شاحب: أنت.. لست بشريّاً!

حاول التماسك، ووقف على قدميه وأخرج خنجره، وقال بنبرة تحدٍّ، تولَّدَت من حقدٍ دفين: أنتم لستم بشراً!.. هذا ما كنتم تحاولون كتمانه!.. وهذا هو السرُّ الذي قتلتم أبي لأنه اكتشفه وهددكم بفضحه!!.. وستقتلونني الآن للسبب نفسه!.. يا لجُبنكم!.. أتخشون أن يُعدِمكم البشر؟.. أو ينفوكم من أرضهم؟.. واجهني الآن بعدالةٍ يا غيلبرت بونيفيل، واجهني بسيفك لا بقواك الغريبة هذه، أثبت لي أنك لستَ جباناً كعائلتك!!

أمسك غيلبرت بسيفه وقال: كما تشاء!.. ألم أخبرك بأنك ستصبح جثةً ممزقةً إذا ما أقحمت أنفك فيما لا يعنيك؟

وبعد قتالٍ عنيف، وارتطامٍ بالصخور، قتله غيلبرت ومزَّق جثته، ثم قال: وها أنا أحوّل كلماتي إلى واقع!!

❁❁❁

في المساء..

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

كانت الفتيات يترقّبنَ قدوم الفيركولاس لاصطحاب إحداهنّ إلى حتفها، وكنَّ يجلسن

على القشّ النتن ويحدِّقن نحو الباب بخوف، ورغم الجوع والبرد.. إلّا أن عيناً لهنّ لم تغمض..

وحدث ما كنّ ينتظرنه، فقد اقتحم الفيركولاس الكوخ، والتقطوا إحدى الفتيات التي استمرت تصرخ أمام بكاءٍ وهلعٍ من الأخريات، وقال إيفرايم: بالتازار عطِشٌ للغاية!.. أسرعوا بنقلها إليه!

كانت داناي تجلس في إحدى الزوايا محاولةً تهدئة الارتعاش الذي يسري عبر جسدها، وتفكِّر بهستيرية: «قد أكون أنا التالية!».

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

تباطأ ألارد وزوي عودة صديقهما، وكانا غايةً في القلق والتوتر، إلى أن خرج الكونت أرماند من خيمته وسأل الجنود عنه: لمَ تأخر السيرجنت ألباين بالعودة؟

ثم أرسل فرقةً لتقفي أثره، فعادوا بجثته، وقالوا إنهم وجدوه مقتولاً، وهذا يعني أن الرومبيانيين قد كشفوه، فظهر الغضب على وجه أرماند، وقال: هذا يعني أن ذاك الطريق ليس آمناً، سنسلك طريقاً آخر!.. لقد ضحّى السيرجنت بحياته في سبيل حماية جيشٍ كامل، سندفن جثمانه ونقيم له جنازةً تكريماً لروحه!

وألقى بعض الكلمات الخاشعة على روح ألباين مونبيتيت وأرواح بقية القتلى، بينما همست زوي لألارد، مشيرةً إلى آثار العضِّ على رقبة ألباين: أنا متيقنةٌ بأن القاتل هو غيلبرت بونيفيل، فقد تظاهر بالعودة إلى بانسيلينوس، ولكنه لحق بالسيرجنت ليقتله..

همست بغضبٍ وهي تحدق بأرماند: الكونت هو من أمر بقتله!.. يجب أن ننتقم لصديقنا!

حاول تهدئتها، وقطب حاجبيه: صدِّقيني، لا يوجد من هو أكثر حزناً وحقداً الآن، أكثر مني!.. سننتقم له، عندما يحين الوقت المناسب!.. وسيحين!

شعرت زوي بقوة يديه الممسكتين بكتفيها، كانت أصابعه تنغرس في لحمها، وكأنها تفضح اشتعال غضبه، وحرارة الألم في قلبه، إنه صديقه، إلّا أنه يبدو متماسكاً أكثر منها، وهذا ما جعلها تتعلَّم منه، فهو مُرشدها وقدوتها منذ الصغر.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

بعد أن قام الطبيب بتضميد جراحها وغادر، جلست تيرزي أمام أميرتها وقالت بحنق: مارغريت بونيفيل وابنتها، الغبيتان.. تظنان أني لن أُميِّز صوتيهما!

كانت ديميتير مستاءةً من رد فعل شقيقتها، بعد أن قامت بإبلاغها عن الحادثة: لا أصدق أن أفروديت رفضت توجيه التهمة إليهما، لعدم وجود دليل!.. واكتفت بالأمر بالتحقيق عن اختطافك!.. فلن نتوصَّل لإدانتهما على هذا النحو!

فكرت الأميرة بصمتٍ وهي تقلِّبُ زجاجة السم في يدها، ثم نطقت: هل هذه خدعةٌ ما؟.. هل هما فعلاً بهذا الغباء؟.. أم أنهما تحاولان إيصال رسالةٍ لي!

قالت تيرزي وهي تتذكر ما جرى لها بذعر: كانت باربرا قويةً جدّاً!.. لا يمكنني استيعاب تلك الطاقة الجبَّارة في يديها!

ديميتير معاتبةً: هذا لأنكِ ضعيفةٌ يا تيرزي!.. لدرجة أنكِ سمحتِ لفيوليت المغفَّلة بخداعك!

ثم قالت بنبرةٍ حاقدة: فيوليت متواطئةٌ معهما، تلك الخبيثة، كانت تختبئ خلف قناع البراءة!

تلك القطة التي تموء في الفناء!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

في كهف الفيركولاس..

قاموا بإلقاء أليكسيو أمام بالتازار، وقال إيفرايم: إنه المسؤول عن تهريب البشر من أورانوس!.. هل نقتله الآن أم ترغب في تعذيبه أولاً يا سيدي؟

كان أليكسيو يرمقه بحقد، فهذا هو الزعيم الذي أمرَ بتجريده من إنسانيته وتحويله إلى وحش. نهض بالتازار بعد أن ظهرت ابتسامته الصفراء: كلا، احتجزوه فقط!

ظهر التساؤل على وجوههم من قراره الغريب، لكنهم التزموا بالأوامر، وظلَّت الحيرة في عيني أليكسيو: «لماذا يرغب بالاحتفاظ بي؟».

❁❁❁

بينما في الكوخ..

سمعت الفتيات صرخات بشرٍ آخرين محتجزين في الجوار، وكان جنود الفيركولاس يتغذَّون على دماء عددٍ منهم كل ليلة، بينما تم تخصيص الفتيات لبالتازار، عِشن في ذعرٍ وكنَّ يتناقصن ليلةً تلو الأخرى، إلى أن تبقَّى ثلاثٌ منهن.

كانت داناي تفكر بيأس: «لقد تحول إلى وحشٍ عديم الشعور، تماماً كما أخبرني عنه ياني، إن الكراهية تتسلل إلى قلبي، لقد فقدتُ الأمل به!».

لم تشعر بنفسها إلَّا وقد غطَّت في النوم بعد إجهادٍ شديد، كما نامت رفيقتاها، ولكنَّها تيقَّظت فجأةً على صوت خطواتٍ خارج الكوخ، فأطلَّت وذُهلت عندما رأت الباب

مفتوحاً ودون حراسة!.. وشاهدت أرام يغادر المنطقة ويختفي وسط الظلام.

فتساءلت: «هل سيعود؟».

انتظرت برهةً ولكنَّه لم يعد، ففكرت: «ربما سيأتي أحدٌ غيره.. فمحالٌ أن يُهمِل الباب أو يتجاهل إغلاقه، وأيضاً.. لمَ لم يضع أحداً للحراسة؟!».

انتظرت وانتظرت، حتى مضت ساعةٌ من الترقُّب المصحوب بالقلق، ودون أن يأتي أحد!.. ففتحت عينيها بدهشةٍ عندما أضاءت فكرةٌ في رأسها: «لا يمكن!!.. هل تعمَّد تركه مفتوحاً؟!.. هل أمر الحراس بترك الموقع؟!..هل أراد أرام.. مساعدتي على الهرب؟!».

نهضت من مكانها واتجهت نحو القضبان الخشبية التي تعترض الباب، ونظرت إلى القفل الحديدي الكبير المتدلِّي منها، ففكرت: «ولكنَّ القضبان لا تزال موصدة!!.. هل يريد مني إيجاد طريقةٍ للهرب؟!».

التفتت إلى الفتاتين النائمتين وفكَّرت بأنها ستحتاج لمساعدتهما، كما يجب أن تنقذهما معها أيضاً، فقامت بإيقاظهما وهي تشير نحو الباب: إنه مفتوح!.. استيقظا!.. علينا إيجاد سبيلٍ للخروج من هنا!

نهضت الفتاتان وبدأتا تتهامسان بتوتر، حتى حاولت داناي تهدئتهما: يمكننا فعلها!.. فقط التزما الصمت، يجب ألّا يلاحظ الفيركولاس شيئاً!

قامت الفتيات بحفر التربة تحت القضبان الخشبية بأيديهن الصغيرة الدامية، وبكل ما أوتين من قوةٍ وسرعة، حتى أزحن إحدى الأخشاب عن مكانها، وتسلَّلن عبر الثغرة، فركضت داناي مطلقةً ساقيها للريح، وتركت كل شيءٍ خلفها، قافزةً فوق الأغصان المتناثرة، في طريقٍ مجهول، تحت ظلمة الليل وبين الأشجار الضخمة، ركضت وهي لا تدري، هل ستراه بعدها.. أم أنها المرة الأخيرة!

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

قامت باربرا بتقديم آرميل إلى والدتها: آرميل صديقٌ للعائلة!

رحَّبت مارغريت به بعد أن عرفت عن علاقته بابنتها وعن مصالحه مع شقيقها الدوق إيبير، وفَطن آرميل إلى حذَرها وتحفُّظها منه، ولفتت مجوهراتها الثمينة انتباهه، فعادَت إليه هوايته القديمة، وطمعه اللانهائي، ليحتسب قيمتها في ذهنه ويُخطط لوسيلةٍ من أجل كسبِها، ولمعَت عيناه بشغف..

غادرت باربرا الردهة قائلةً: سأذهب لجلب شرابٍ دمويٍّ لكما!

فاستغلَّ آرميل غيابها، ولاحظت مارغريت تحديقه المستمر بمجوهراتها، فقال: تبدو باهتةً وقديمة، إن أحببتِ سيدة مارغريت، فيمكنني بيعها لكِ، واستبدال مبلغٍ ضخم بها، وقد تتعجبين كيف سأفعل هذا!

ظهر التساؤل على وجه مارغريت، فأجاب تساؤلها الصامت: سأستثمر لكِ قيمتها بعد أن أبيعها، وأعمل على مضاعفة المبلغ بتشغيله في التجارة، صديقي يمتلك تجارةً مُربحةً في تشيستوتا، وهذه المجوهرات لن تكلِّفكِ شيئاً، فستنخفض قيمتها مع مرور الزمن.

تردَّدت مارغريت في البداية لكونها لا تثق بالغرباء بسهولة، إلّا أنها رأت في هذا الشاب شيئاً مختلفاً، أسلوبه الراقي وطريقته في الإقناع، الأمر الذي جعلها تُقرر المغامرة، وتجرِّب استثمار مجوهراتها القديمة، وكعادة آرميل.. فهو لا يقاوم طمعه، ولا يتخلَّى عن هوايته.

عادت باربرا تحمِل قنينةً زجاجيةً من الدماء، وسكَبتها في كأسيهما، فقال آرميل وهو يلتقط الكأس من يدها: ستخطط الأميرة لقتلك، هل أنتِ مستعدةٌ لهذا؟

نظرت إليه بثقة: أنا مصاصة دماء، ممَّ أخاف يا آرميل؟

آرميل متهكماً: مصاص الدماء يموت أيضاً!.. أم أنكِ خالدة؟

ثم نهض من مكانه واتجه نحو أحد الأرفف والتقط قطعةً معدنية، ثم اقترب منها بينما كانت تنظر إليه بحيرةٍ وذهول، وبهدوءٍ قام بجذب الطرف العلوي من ثوبها، فحاولت صفعه غاضبةً: ماذا تفعل أيها الوقح؟!

لكنَّه أمسك بيدها بقوةٍ ليمنعها، وقال محرِّكاً رأسه بحزم: إني أحاول حمايتك، أيتها المغفّلة!

ثم دسَّ القطعة المعدنية في ثيابها وقال: أبقِيها هنا دائماً، ستحمي قلبكِ إذا ما تعرض للطعن!.. تذكَّري أنكِ مستهدفةٌ من ديميتير الآن!

نظرت إلى عينيه الجادتين، ثم التفتت إلى والدتها التي حاولت إخفاء قلقها، وأدركت أنها في خطرٍ حقيقي.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

لم تمضِ ساعةٌ حتى اكتشف الفيركولاس هروب الفتيات ولحقوا بهنَّ متتبِّعين رائحة دمائهن، وتمكَّنوا من القبض على إحداهن، فصرخت عالياً، وأرغمَت صرختها الطيور على مغادرة أعشاشها والتحليق هرباً، وبلَغ صداها إلى مسمع داناي، مما جعل الذعر يدبُّ في قلبها، وفي قلب الفتاة الأخرى التي ترافقها..

حدَّثت داناي نفسها بلومٍ شديد: «كان يجدر بنا الهرب في وقتٍ أبكر، لقد ترك لي أرام وقتاً كافياً، لكنني تأخرت في الاستنتاج واتخاذ القرار!.. سيقتلونها الآن بسبب غبائي!!».

وأثناء جريها، تعثَّرت رفيقتها فجأةً بأحد الأغصان، وسقطت من على الجرف متدحرجةً إلى نهايته، فحاولت داناي مساعدتها على النهوض، ولكنَّ قدمها قد كسرت وأصبح جرحها عميقاً، وأخذت رائحة دمها بالانتشار، فبكت الفتاة وضعفت:

سيمسكون بنا ويقتلوننا!.. انتهى أمرنا!

جذبتها داناي وهي تلهث: انهضي!.. لا يمكنكِ الاستسلام الآن!!

رفعت الفتاة رأسها باكيةً ونظرت إلى عيني داناي: لا أقوى على المشي!.. اذهبي!.. اذهبي واتركيني!.. لا أريدكِ أن تموتي بسببي!

تردَّدت داناي للحظة، فصاحت بها بحِدَّة: اذهبي!!.. هيا!!

سمِعت داناي جلَبَة الفيركولاس ونباح كلابهم، والذي أخذ يقترب سريعاً، فاضطرت للهرب تاركةً الفتاة خلفها، ومسحت دموعها النابعة من تأنيب ضميرها، ولم يستمر هربها طويلاً، فقد أُجبرت على التوقف عندما شاهدت أربع أعينٍ حمراء تشع في ظلمة الغابة، فقد حاصرها اثنان من الفيركولاس، وكانت أنيابهما تلمع تحت ضوء القمر، فأطلقت صرخةً عاليةً، واستسلمت للقدر!

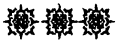

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

كانت ديميتير تراقب القطة من شرفتها، إلى أن شاهدتها ترقد ميتةً أمام الإناء، فقالت بيقين: إنه سمٌّ حقيقي!

وأخذت تدور في الحجرة وتفكِّر، ثم ما لبثت أن ظهرت ابتسامةٌ خبيثةٌ على شفتيها النحيلتين: كنتُ أفكر دائماً، ما الطريقة المثلى للتخلص من باربرا للأبد، ولكن الآن أدركت، سيكون من الأفضل أن تموت باربرا ووالدتها، بالسم الذي جلبتاه!

ثم نظرت إلى نفسها في المرآة: لا أحد يعبث بالنار، إلَّا ويحترق بها!!

ابتلعت تيرزي ريقها وهي تلاحظ طاقة الشرّ التي ظهرت على روح سيدتها، حيث كانت تنظر إلى زجاجة السمّ في يدها، وتفكر.

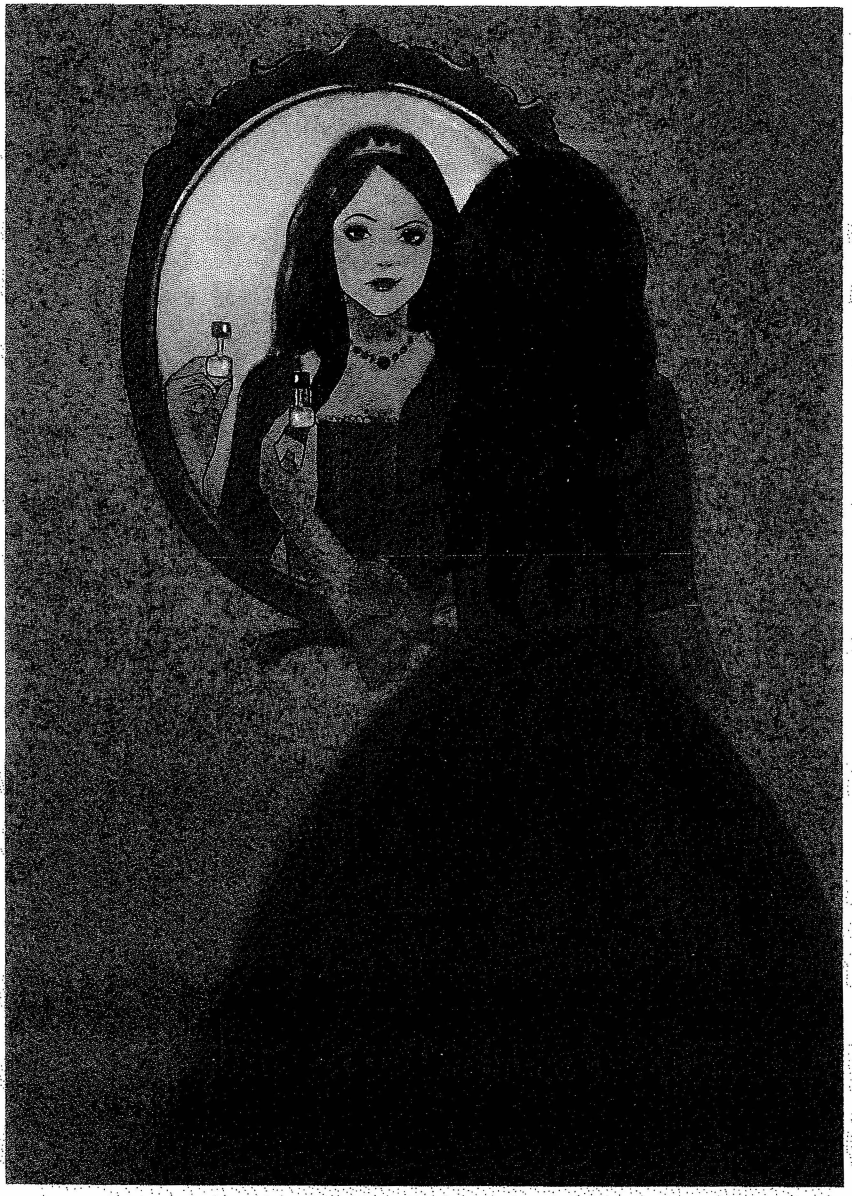

https://t.me/fantazynov

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

حوصرت داناي من قِبل اثنين من مصاصي الدماء، وتفاجأت عندما هجمت مجموعةٌ من المقاتلين عليهما، ليتحولا إلى رمادٍ في ثوانٍ، وأدركت أن تلك الصرخة كانت سبباً في نجاتها، كانت المجموعة تقترب منها، وبعد أن ظهرت لها ملامحهم، شهقت: رايموند؟!

كان رايموند حانقاً: يا لكِ من مسببةٍ للمتاعب! .. انظري إلى أين قادكِ عشقكِ الأعمى!.. أرأيتِ ما فعله بكِ ذلك الوغد الذي كنتِ تطاردينه؟.. لقد اصطادكِ كالفريسة ثم أطلق وحوشه ليتعقبوك!.. كان يجدر بكِ العودة مع الغربان عندما أرسلتهم إليكِ سابقاً!

كان عتابه قاسياً، إلّا أنها تقبّلته، ونظرت إليه بامتنان: أشكرك، وأشكر الغربان على إنقاذهم لي!.. أعلم بأني كنت حمقاء، أرجو أن تسامحني يا رايموند!

ثم أمسكت بالرسالة التي تحملها في ثيابها، وقالت: أحمل رسالةً عاجلةً للآنسة دليا، يجب أن أعود إلى مولنيا حالاً!

أمرهم رايموند بتجهيز حصانٍ لها، وأرسل معها أحد الغربان لإيصالها بأمانٍ إلى مولنيا.

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

أقامت دليا زفافاً بسيطاً في مزرعتها، واحتفل المزارعون بزواجها من ياني، الذي كان خجِلاً في بداية ذلك الصباح، إلّا أن المزارعين شجّعوه على الرقص، فأمسك بيد عروسه، وأخذا يتقافزان بخفّةٍ مع نغمات الموسيقى الريفية، كفراشتين ملونتين، تتنقلان

بين أزهار الحقل الصفراء. كانت إيوانا تُصفِّق لهما بسعادة، وتحاول مسح دموع الفرح المنسابة من عينيها، فها هي طفلتها تبتهج أخيراً مع الشخص الذي عشِقَته ووجدت معه السلام، ياني، طفل إيوانا المدلل الآخر، كان الدفء يحتضن قلبها، وهي ترى فرح الحياة في عينيه، بعد سنواتٍ من البؤس، كانت تؤمن بأنهما يستحقان هذا، وبأن قرارها كان عظيماً، بجَمعهما تحت عهد الزواج المقدَّس.

وصَل رسولٌ على عجلٍ من رومبيانيا يحمل رسالةً إلى دليا، فهرِعَت إليه بفستانها الأبيض، كانت تعلم بأنها رسالةٌ من ألباين، وظنَّت أنه قد يكون رضي أخيراً وربما يُبارك لها ويتمنى لها سعادةً أبديةً مع زوجها الذي اختارته، إلّا أن الأفراح لا تدوم دائماً، ولا تعيش الضحكات طويلاً، فقد تُكشّر الحياة عن أنيابها من جديد، بعد أن تُذيقنا من كأس لذَّتها. لم تكن الرسالة من ألباين، بل من صديقَيه، ألارد وليون، ينقلان إليها فاجعة وفاته، واسم قاتله.

التفتت إلى ياني وإيوانا اللذين كانا يركضان نحوها بوجهيهما البشوشين، إلّا أنهما أبطأا من سرعتيهما، عندما شاهدا وجهها الممتقع، والدموع تُذرَف من عينيها، وصرخةٌ هائجةٌ انطلقت من فمِها، ليُسمَع صداها عبر الحقول.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في حديقة القصر..

مشت الاثنتان بين ممرات الحديقة، واقترحت ديميتير على أغلاي أن تشارك في انتقامها من فيوليت، وكانت تتوقع أن أغلاي سترفض لأنها تعزُّ قريبتها..

وبالفعل رفضت أغلاي: فيوليت طيبةٌ ولا ذنب لها في نزاعاتكِ مع باربرا!.. لقد خدعَتها باربرا واستغلَّتها، وربما هدَّدتها من أجل أن تساعدها في ألاعيبها!

فقطفت ديميتير زهرةً بيضاء، وأخذت تتأملها وهي تتحدث: أعذركِ لامتناعكِ عن المشاركة، وأتفهَّم نوع علاقتكِ بها، ولكن لا تحاولي حمايتها، لأن هذا قد يضعكِ في القائمة معها!

ثم ألقت بالزهرة على الأرض، والتفتت نحو أغلاي بتهديد: وأنتِ لا تريدين ذلك بالطبع!

صمتت أغلاي، وكبَحت مشاعرها، ولكنَّ ديميتير ابتسمت لها فجأةً: ابتهجي!.. لقد تحقق حلمكِ!

تساءلت أغلاي بعينيها عن تغيُّر موقف الأميرة المفاجئ، فرأتها تشير إلى أديلايد القادمة نحوهما، انحنت أديلايد لهما ثم مدَّت ورقةً فاخرةً ومختومةً بشمعٍ أحمر، وقالت: آنسة أغلاي بونيفيل!.. جلالة الملكة تدعوكِ للعمل كوصيفةٍ وحائكةٍ في الجناح الملكي، وهذه هي وثيقة تعيينك!..ستنتقلين إلى السكن في القصر، وسنرسل عربةً لنقل حاجياتك غداً!

التقطت أغلاي الوثيقة، وحبَست أنفاسها، وشعرت بخفَّة روحها التي أوشكت على التحليق عالياً، ثم تبادلت نظرات الفرح الخجِلة مع ديميتير، وانحنت لأديلايد قائلةً: شكراً لكِ، سيدة أديلايد!.. سيكون شرفاً لي خدمة جلالتها!.. ولكنِّي أود البقاء في منزل عائلتي، إن أمكن هذا!

فأومأت أديلايد برأسها موافقةً: لا بأس، سأُبلغ جلالتها عن هذا!

وبعد أن رحلت، التفتت أغلاي إلى الأميرة وشكرتها بامتنان، فقالت الأخيرة: والآن عصفورتي العزيزة!.. ستنقلين لي كل ما يحدث في جناح الملكة، وكل ما تسمعينه هناك!

فغرَت أغلاي فاها، وحدثت نفسها: «لقد كانت تستغلُّني فقط!».

قالت بتردد: إفشاء أسرار الجناح الملكي يُعدُّ جُرماً، والملكة ستأتمنني على أسرارها!

تغيرت نبرة ديميتير عندما وضعت يدها على كتف أغلاي بسيطرةٍ وقالت: عزيزتي، هل تعتقدين أني اخترتكِ عصفورةً لي عبثاً؟.. وصولكِ إلى الجناح الملكي، لم يكن حلمكِ فقط، بل كان هدفاً أن أجعلكِ تدخلين الجناح الملكي.. كجاسوسةٍ لي!

ثم قالت بنبرةٍ تُبطِنُ تهديداً: لا تريدين الانضمام إلى قائمة أعدائي الآن!.. ليس بعد أن وصلتِ إلى ما كنتِ تحلمين به!.. لا أظنُّ أنكِ ترغبين بالوقوع ضحيةً لمكايدي، فيمكنني الزجُّ بكِ في السجن بكل بساطةٍ يا أغلاي، وأنتِ تعرفين هذا جيداً!

نظرت أغلاي إلى عيني الأميرة بذعر، ولاحظت الشرَّ النابع منهما، وأحسَّت بأنها قد وقعت أسيرةً في شباكها.

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

التقى آرميل بإيمانويل والدوق إيبير، الذي فتح الخريطة على الطاولة المستديرة، وقال: نحن بصدد دراسة تحركات الفيركولاس، نريد تحديد مقرّهم، سيد آرميل، هلَّا أريتنا أين كانوا يطاردونك؟

اقترب آرميل ونظر إلى الخريطة بتمعُّن: من هنا بدأ كل شيء!.. بلدة إيمبياسو، عندما قدموا للبحث عن زوي، وقتلوا أحد أصدقائي!

ثم أشار نحو أورانوس وأطراف غابة ميقالوس: وهنا التقيت بأرام للمرة الأولى، وأخبرني بكل شيء!.. أرام كان أحد أصدقاء الطفولة، والآن هو قائدٌ في جيش الفيركولاس!

ثم أشار إلى لورديور: لحق بي أرام إلى لورديور، وقبض علي مع جنوده، ثم اقتادوني في طريقٍ طويلٍ إلى بالتازار، ما أتذكره جيداً.. أننا مررنا عبر مستنقعٍ كبير، لكنني هربت بعدها وعُدت إلى لورديور.

وأخذ يبحث بعينيه عن مستنقعٍ في الخريطة، فقال إيمانويل مُشيراً: أظنُّك تقصد المستنقعات الممتدة على هذا الطريق!

ظلَّ آرميل يحدِّق بالخريطة ويفكر: جميع الأماكن التي أشرتُ إليها، تشكِّل ما يشبه نصف الدائرةِ.. حول الغابة!

نظر الاثنان في الخريطة، ثم رفع آرميل رأسه ليبادلهما تلك النظرة المُتيقِّنة، فقال إيمانويل: إنهم في غابة ميقالوس!

في تلك الأثناء، كان أندريون يتنصَّت على حديثهم خلف الباب، وسمع والده يسأل: إذا كان بالتازار سيبني إمبراطوريته، فمن أين سيبدأ؟

أجاب آرميل: يجب أن نفكر بالطريقة نفسها التي يفكر بها بالتازار حتى نعرف..

عندها اقتحم أندريون المكتب قائلاً: اعذروني على التطفل أيها السادة، هل تسمح لي بالحديث أيها الدوق؟

نظر إليه والده بغضب، ثم ما لبث أن أجابه: تحدَّث يا أندريون!

أخذ أندريون يتحدث بإسهابٍ مذهلاً الجميع بطريقته في التحليل: لو كنتُ أفكر بطريقة بالتازار، صيادٌ بسيط، جئتُ من كروفستروفا لأنتقم وأصنع لنفسي مجداً وعظَمة، وأعيد إحياء بني جنسي، ووطني الضائع، بجيشٍ صغيرٍ يتزايد عدده بمعدلٍ بطيء، في مواجهة جيشٍ عظيمٍ كالجيش البانسلي، وأراضٍ واسعةٍ كبانسيلينوس، فسأبدأ بالمناطق التي يسهل السيطرة عليها بأقل عددٍ من جنودي، ولقربها من موقعي الرئيس، وانبساط تضاريسها، والتي تحتمل أقل نسبة مخاطرة، لبُعدها عن العاصمة وجيش الملكة..

ثم أشار على الخريطة: فسأبدأ بأورانوس!!

ورغم انزعاج إيبير من تطفُّل ابنه، ونظرات إيمانويل الحادَّة تجاه صديقه الخائن، إلَّا أنهما

أُعجِبا باستنتاجه، وكان آرميل يسترق النظرات إلى أفراد العائلة المُنهمكين في التفكير، ولم يكونوا يعلمون عمّا يدور بخَلدِه: «أخيراً، أصبحتُ حليفاً لهم!».

وجَّه إيبير حديثه نحو آرميل وإيمانويل، آمراً: ستذهبان إلى ميقالوس لتحديد مقرِّهم ومراقبة تحركاتهم عن كثب، والقيام بأول خطوةٍ من الخطة التي اقترحها آرميل!.. وسأرسل معكما فرقةً من الجنود لدعمكما!

تدخل أندريون قائلاً: اسمح لي بأن أرافقهما!.. أريد تقديم المساعدة!

التفت الدوق إلى إيمانويل وسأل: هل تجده ذا فائدةٍ لكما؟

نظر أندريون إلى عيني إيمانويل، وكأنه يقول: «أريد استعادة ثقتك بي!».

التفت إيمانويل إلى الدوق وأجاب: دائماً ما يكون أندريون مفيداً!

❁❁❁

في الإصطبل..

تفاجأ إيمانويل فور أن رأى حصانه، فقد تم ترقيع سَرجِه الممزَّق، وزُيِّن بنقوشٍ جديدة، فحدَّث نفسه متعجباً: «لم أطلب من السائس إصلاحه!».

ثم لمس تلك النقوش، وتيقن من أنها تحمل لمسةً أنثوية، والتفت ليرى أغلاي تنزل من عربتها وتمشي قادمةً نحوه، وكانت تقول: عدتُ من القصر لتوي، ورأيتك تغادر مع آرميل وأندريون، إلى أين تذهبون؟

أخبرها إيمانويل عن هدف الرحلة، ثم سألها: ما سرُّ السعادة على وجهكِ الجميل؟

أجابته وهي تكاد تقفز فرحاً: تم تعييني حائكةً في الجناح الملكي!!.. أنا سعيدةٌ جدّاً يا إيمانويل!.. سأهَبُ مهارتي لأزيّن بها مظهر أهم شخصيةٍ في المملكة!.. هاتان اليدان ستصنعان أجمل ثيابٍ تتركز جميع الأنظار نحوها!

ابتسم لها: سعيدٌ لأجلك، آنستي!.. أتمنى ألّا تغادر هذه البسمة مُحيّاكِ!.. ستكون الملكة محظوظةً بسحر يديك!

ثم أشار إلى السرج: علمتُ بأن هذه لمسات آنستي الجميلة!.. شكراً لكِ!

تساءلت أغلاي: ما الذي تقصده؟

ضرب إيمانويل السرج بيده: لم أتوقع أنكِ ستصلحينه!

نظرت إلى الغرزات ثم ابتسمت باستغراب: لا، أنا لم أفعل شيئاً!

ثم سخِرت وهي تتأملها: هذه ليست طريقتي في الحياكة!.. تبدو غير متقنة!

ظهر التعجب على وجه إيمانويل: من فعل ذلك إذاً؟

ومن فوق الشرفة، كانت فيوليت تراقب فارسها وبهجةٌ تغمرُ قلبها حينما رأته يتأمل تطريزات سرجه، ثم اختفت قبل أن يرفع أحدهما رأسه ويراها، وأعادت بكرة الخيوط التي استعارتها من أدوات أغلاي دون علمها. إلّا أن أغلاي تنبّهت وصعدت إلى حجرتها على الفور، وركضت نحو صندوق أدواتها، لتلاحظ أن تلك البكرة قد وضعت في غير مكانها المعتاد، ففهمت أن فيوليت لا تزال تكنُّ المشاعر لإيمانويل، وحاولت كتمان غيرتها.

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

طلبت أغلاي من الحرس لقاء الأميرة ديميتير، وبعد أن سمَحت لها الأميرة بالدخول، وقفت أغلاي أمامها وقالت: سأساعدكِ فيما أردتِ فعله بفيوليت!

اعتدلت ديميتير في جلستها وظهر الاندهاش عليها: هل الأمر مرتبطٌ بمشاعر الغيرة يا ترى؟!

رفعت أغلاي رأسها مذهولةً من استنتاج ديميتير، التي أكملت بثقةٍ بعد أن تحققت من صحة كلامها: التعبير الذي ظهر على وجهكِ يؤكِّد هذا، لقد بدأتِ تغارين منها، هل تحاول أخذ اللورد إيانويل منك؟

ثم قالت ضاحكةً: الغبي من لا يلاحظ الهالة العاطفية التي تحيط بكِ أثناء الرقص معه، ونظرات فيوليت الشغوف المحرومة نحوه!

نهضت من مكانها وأخذت دورةً قصيرة حول أغلاي، ثم وقفت وهمست لها: عندما تتعلمين كيف تَسحرين وتفتنين، فسوف تصلين إلى الأعلى، وستجعلين الآخرين ينحنون لإرادتكِ دون أن يُدركوا!.. لكنَّ فيوليت سبقتكِ في عشقه، لذا فهي أحق به منك، وهي من يجدر بها أن تكون الأكثر غيرةً!.. وأنتِ التي يتوجب عليكِ أن تكوني أكثر حذراً.. من غيرتها!

سرَت قشعريرةٌ في جسد أغلاي، وأخذت نفساً عميقاً، وعادت ديميتير إلى مقعدها واستندت باسترخاءٍ وقالت: عصفورتي!.. لا تقلقي، فلم ينتهِ مشوارنا بعد، بل إنه يبدأ الآن!.. أخبرتكِ بأنني سأوفر لكِ الحماية، ما دمتِ مخلصةً لي!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

بعد انتهاء غيلبرت من مهمته، قطع طريقاً طويلاً على ظهر حصانه، ليقف أخيراً أمام منزلٍ في إحدى مزارع بلدةٍ ريفيةٍ تقع في جنوب رومبيانيا، وتدعى سيفياتوست..

كان المنزل التقليدي يوحي بأنه لعائلةٍ ثريةٍ، وقد كُتب على المدخل (آل بيلغرين)، عادت الذكريات القديمة إلى ذهنه، شعورٌ جميلٌ انتابه وهو يتأمل المدخل الذي كان يعبر من خلاله مع والده عندما كان صغيراً، وتلك الحديقة التي كان يركض فيها مع

أندرونيكا..

نزل عن ظهر حصانه وربطه على السياج، واتجه ليطرق باب المنزل، وبعد ثوانٍ قصيرة، فتحت له خادمةٌ ونظرت إليه متسائلةً: مرحباً؟

اقتربت من خلفها فتاةٌ جميلةٌ شقراء، ونظرت إلى ثياب غيلبرت وفهمت أنه عسكريٌّ من رتبةٍ رفيعة، فسألته بلباقة: من أنت أيها اللورد؟.. هل يمكننا خدمتك؟

فُتن غيلبرت بجمالها، وظلّ يحدِّق بها مشدوهاً، كان يشعر برهبةٍ غريبة، وكأن قلبه توقف عن النبض. تبادلت الفتاة نظراتٍ متعجبةً مع خادمتها، وعادت لتسأله: أيها اللورد؟.. ما لك لا تنطق؟

❁❁❁

(رومبيانيا ــ وادي الذئاب)

تحرَّكت قوات الجيش باتجاه كليوزهيست، كانت زوي تسير ببطءٍ فوق حصانها، بينما تتأمل وجوه الجنود من حولها: «هل يعي هؤلاء أننا مُقدِمون على معركةٍ ساحقة، قد ننتصر وقد نخسر، وكم من الأرواح ستذهب مقابل عرش أرجوس؟.. هل هم بالفعل يضحُّون لأجل مستقبل بانسيلينوس؟.. أم أن كل ذلك لا يعدُو أن يكون وهماً!».

ثم نظرت إلى ألارد بقلق: «لا يزال قويّاً وكأن مقتل صديقه لم يُضعِفه!.. إنه يؤمن بأفروديت، ومستعدٌّ للتضحية بحياته لأجلها!.. وأنا، أنا مستعدةٌ دائماً.. للتضحية بحياتي.. لأجله!».

كان الكونت أرماند يراقبها دون أن تشعر، ولاحظ نظراتها الشغوف تجاه ألارد.

❁❁❁

(رومبيانيا ـ سيفياتوست)

وبعد لحظةٍ من الشرود، نطق وقد عاد قلبه للخفقان بتسارع: أندرونيكا؟

أجابت الآنسة متعجبةً: لا!.. أنا توءمتها، ميليسا بيلغرين!.. ولكن، كيف تعرف أندرونيكا؟.. من تكون أيها اللورد؟

تمعَّنت في بدلته العسكرية، ولم تكن ألوانها مألوفةً على الجنود الرومبيانيين: أعتقد أنك لست رومبيانياً، هل هذا صحيح؟

أجابها منحنياً بعد أن هدأت دقات قلبه: أنا غيلبرت بونيفيل، قائدٌ في الحرس الخاص بجلالة الملكة أفروديت، جئتُ من بانسيلينوس في مهمةٍ عسكرية، اعذريني، لم أقدِّم نفسي جيداً!

دُهشت ميليسا: غيلبرت بونيفيل؟!.. أنا أتذكّرك الآن!.. حسناً، مرحباً بك!.. تفضل بالدخول!

أرشدت الخادمة غيلبرت إلى الطريق نحو الردهة، وكانت ميليسا تسير إلى جانبه وهي تقول: مرَّ زمنٌ طويل، لم تتواصل به عائلتي مع آل بونيفيل!.. تفضل بالجلوس، لورد غيلبرت!

ثم أشارت للخادمة بتقديم الشاي، وكان غيلبرت يتأمل جمالها ويفكر: «هل ستكون توءمتها أندرونيكا الآن بهذا القدر من الجمال؟».

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في الجناح الملكي..

كانت السعادة تغمرها أثناء تجولها في جنبات الجناح، ومشاهدتها للوصيفات الأنيقات، اللاتي رحَّبن بها بحرارة. وقفت أغلاي أمام أديلايد وبارنباس، اللذين قدَّما لها المهام

لمنصبها الجديد، وكانت التعليمات صارمةً تقتضي الحفاظ على سرِّية ما يدور في الجناح، وكتمان ما يُسمع بداخله، وشرح لها الاثنان الطقوس اليومية للجناح الملكي، ابتداءً من استقبال الملكة وإيقاظها صباحاً، ومساعدتها على ارتداء ثيابها وتزيين شعرها وتنسيق مجوهراتها، وانتهاءً بتجهيز سريرها ليلاً، وأكَّدَ بارنباس على أسلوب مخاطبتها والتعامل معها، ومراعاة اللباقة والاحترام مع التبجيل، وأوضح العقوبات المترتبة على مخالفة التعليمات والأوامر.

❁❁❁

(رومبيانيا ـ سيفياتوست)

تحدثت معه ميليسا عن الأوضاع السياسية، وكيف أن مزرعة بيلغرين تضررت اقتصادياً بسبب الحرب، ثم سألته بعد أن لاحظت تقلُّب عينيه حول المكان وكأنه يبحث عن شيءٍ ما: لقد تكبَّدتَ كل تلك المسافة إلى هنا، لا شك بأن السبب هام، ما الذي يمكننا خدمتك به، لورد غيلبرت؟

سألها غيلبرت: أندرونيكا، لقد جئتُ لرؤيتها، أعلم بأنه مضى وقتٌ طويل، فقد انقطعَت زيارات والدي إلى رومبيانيا منذ أن ازدادت مسؤولياته، وأنا لم أراسل أندرونيكا، ولم تتح لي الفرصة لزيارتكم!.. ولكنني تطلَّعْتُ دائماً لرؤيتها!

تغيرت تعابير وجه ميليسا إلى التجهم والحزن: هل لا تزال تذكر أندرونيكا؟!.. لا أصدق هذا!

أومأ غيلبرت برأسه بحنين: لم أنسَها منذ ذلك الحين!

ابتسمت ميليسا ونظرت إلى الأرض، وحاولت استعادة ذكرياتٍ لطيفة: أنا أيضاً أتذكر، عندما كنتُ أشاهدكما تلعبان معاً في الحديقة.. دون أن تعيراني اهتماماً، كانت أندرونيكا أكثر مرحاً وحيويةً مني.. لذلك كنت تنسجم معها، ولكن الغريب..

ثم نظرت إلى عينيه متعجبةً: أنك أتيت لتسأل عنها الآن!.. هل أحببتها؟!

أجاب غيلبرت بنبرةٍ جادة: أجل، لقد عشقتها حتى هذا اليوم!.. أعتقد أنها أخبرتكِ

يوماً، بأننا تعاهدنا على الزواج..

ثم قال ضاحكاً: ربما يبدو هذا سخيفاً، كنا صغاراً حينها، أعلم أنه من الحماقة الإيمان بعهودٍ طفولية، ولكنني آمنت بها بالفعل..

ظهر في عينيها حزنٌ عميقٌ ممتزجٌ بالشفقة على هذا العاشق البائس، فأجابته بنبرةٍ مرتعشة: لا، لم تحظَ أندرونيكا بفرصةٍ لإخباري بهذا!

ثم اعتدلت في جلستها وقالت بنبرةٍ جادة: لورد غيلبرت!.. يؤسفني أن أخيب أملَك، ولكن.. ثمة أمرٌ يتوجب عليك معرفته!

❁❁❁

في المساء..

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

اعتاد نبلاء الطبقة الأرستقراطية، الاجتماع في البلاط وتناول ما لذَّ وطاب من أصناف الطعام والشراب، والرقص على أنغام الموسيقى الهادئة، وبينما كانوا يأكلون حول المآدب، عبَرت تيرزي من خلف فيوليت التي كانت منهمكة بالحديث مع أغلاي، وجذبت تيرزي معها ملاءة المنضدة، فتساقطت الكؤوس وتهشَّمت، وتناثر الطعام على ثياب الحضور..

فنهض الجميع متفاجئين، ووقفت تيرزي مختبئةً خلف ديميتير، بينما التفتت أغلاي إلى فيوليت لتوبِّخها متظاهرةً بالذهول: فيوليت!.. لمَ فعلتِ ذلك؟.. لا أجد سبباً يدفعكِ للغضب هكذا!

توجَّهت الأنظار الناقدة نحو فيوليت، التي وقفت مشدوهة، ثم نطقت مدافعةً عن نفسها، بعد أن قاموا بالتهامها بأعينهم: لا، لم أفعل هذا!.. لستُ أنا بالطبع!.. لقد مرَّ أحدهم من خلفي و..

ولكنها وجدت الأعين تحدّق بها بازدراء، فأدركت ألّا قيمة لتبريراتها، ونظرت إلى والدتها مستنجدةً، ولكنَّ الدوقة بدَت محرجةً للغاية، واضطرت إلى الوقوف بجانب ابنتها لتعتذر للملأ: لا أعرف كيف حدث هذا، ولكني متيقنةٌ من أن فيوليت لم تكن تقصد، لقد كان حادثاً، أعتذر منكم بشدة!

عندها نطقت الأميرة ديميتير: لا يجدر بكِ إحضار ابنتكِ إلى القصر الملكي، طالما تعلمين بأنها غير مهذبة!.. هذا لا يليق باحترام البلاط!

ثم التفتت إلى النبلاء: أيها السيدات والسادة، أرجو أن تطمئنوا، فالدوقة من أرقى السيدات وأكثرهن تفهماً، وبالطبع لن تُحضر ابنتها إلى المآدب بعد الآن!

كانت صدمةً رهيبةً لفيوليت، الحرمان المفاجئ من حضور الاحتفالات التي اعتادت الوجود بها، والقصر الذي أدمنت اللعب في جنباته منذ صغرها مع صديقة طفولتها الأميرة المتغطرسة، والتي تحوَّلت الآن إلى عدوَّتها، ووضعتها في موقفٍ مُهينٍ أمام أهم الشخصيات في المملكة، وحينما بدأت الدموع تترقرق في عينيها، اقتربت منها ديميتير وهمست في أذنها بنبرةٍ منتصرة: حذرتكِ سابقاً، إن قمتِ بخيانتي، فستتعرضين لمكايدي!

وكانت تيرزي تحاول كتمان ابتسامتها، فقد انتقمت أخيراً مما فعلته فيوليت بها، وركضت الأخيرة نحو الخارج لتخبئ دموعها عن الأنظار، ولحقت بها والدتها.

فرفعت الملكة كأسها بعد انزعاج: أرجو أن تعودوا لإكمال عشائكم!

جلس الجميع، وعادوا لتبادل الأحاديث والهمسات تدريجيّاً، وأنهوا أطباقهم، وتناسوا ما حدث، وبينما كانت باربرا ترتشف من كأسها، لاحظت تحديق ديميتير العميق بها، وابتسامةٌ غامضةٌ ترتسم على شفتيها، وكأنها تقول: «حان دورك!».

ولم تمرَّ الدقائق، حتى سقطت باربرا على الأرض.. كجثةٍ هامدة!

هبّ الجميع لإنقاذها، وفي خِضم القاعة المضطربة، تبادلت ديميتير همساتٍ مرتبكةً مع مربِّيَتها، ثم نظرت تيرزي إلى الضحية باستشفاءٍ لغليلها.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل العاشر

«١٠»

https://t.me/fantazynov

(رومبيانيا ـ سيفياتوست)

خرج غيلبرت من منزل آل بيلغرين خائباً، وقد بدأت معاناته العاطفية، كان يسير فوق ظهر جواده بخطاً بطيئةٍ متحسِّرة، بينما يتأمل شريطة شعرها في يده، وحدَّث نفسه بندم: «الرجال يتأخرون دائماً عن اغتنام الفرص في عشقهم!.. ولا يدركون ذلك إلا بعد فوات الأوان، عندما ترحل معشوقاتهم مع الرياح!».

وخلال تلك اللحظات اليائسة، تسلَّلت ذكرياتٌ جميلةٌ عبر ذاكرته، لتبعث في روحه أمَلاً..

{في عهد الملك أليكساندروس، كان إيبير بونيفيل يصطحب معه ابنه غيلبرت في رحلاته الدبلوماسية إلى رومبيانيا، وكان يزور سيفياتوست بعد إنجاز مهامه، حيث تستضيفه عائلة بيلغرين لبضعة أيام.

ألبرت بيلغرين، مصاص دماءٍ نبيل من كروفستروفا، كانت أسرته مقرَّبةً من العائلة المالكة بونيفيل، الذين سمحوا له بمرافقتهم إلى أرض البشر، ليستقل بحياته ويستقر في رومبيانيا، بعد أن رفض الالتزام بقوانين إيفرانور، وتزوج من امرأةٍ بشرية.

وكانت ابنته أندرونيكا تحب اللعب مع غيلبرت بونيفيل أثناء زياراته، وأثناء جريهما في الحديقة في أحد النهارات المشمسة، جذب غيلبرت خطأً شريطة شعرها البيضاء، محاولاً الإمساك بها، فانسدل شعرها الذهبي وتناثر على وجهها وكتفيها، مما جعلها تغضب، فأخذت تطارده ليعيدها إليها. لكنه توقف بعد برهةٍ لاهثاً ورافعاً الشريطة في الهواء، وكانت تحاول التقاطها قافزةً، إلى أن سألها: ستتزوجينني عندما أكبر، أليس كذلك؟

خجلت أندرونيكا وتوقفت عن القفز، ثم اضطرت للإيماء برأسها موافقةً بوجنتين حمراوين.

فقال: حسناً، إلى ذلك الحين، سأُبقي شريطتكِ معي!.. وسأعيدها لكِ عندما نتزوج!}.

لفّ غيلبرت شريطة شعرها على يده، ورفع اللجام لينطلق عائداً إلى بانسيلينوس، وكان يفكر: «محالٌ أن تموتي يا أندرونيكا!.. أومن بأنكِ لا تزالين على قيد الحياة.. في مكانٍ ما من هذا العالم الكبير، سأجدكِ حتماً، حتى لو كنتِ نجمةً في فضاءٍ شاسع!».

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

تعالت الصيحات المذعورة، ونهض الجميع من مقاعدهم، وهبّ الدوق إيبير نحو شقيقته مارغريت التي جثت تبكي أمام ابنتها، بينما أسرع أحد الأطباء نحو الجثة وقام بفحصها لدقائق، ثم أمسك بكأسها واختبر الشراب الذي تناولته، وبعد ترقبٍ نظر إلى الملكة وقال: لقد تسممت الآنسة عن طريق الفم!!.. سمٌّ وضِع في شرابها!.. فبعد أن فحصته، تبيَّن لي أنه سمّ (بوق الملاك)!

نهضت أفروديت من مقعدها غاضبةً: ما الذي يحدث بالضبط؟.. ما بالُ هذه المأدبة المشؤومة!.. جريمةٌ تحدث في قصري وأمام ناظريّ؟!.. اعثروا على الفاعل حالاً!!

ثم نظرت إلى شقيقتها من بعيدٍ، وكانت تعلم عن العداوة بينها وبين باربرا، وعن الاتهام الأخير الذي وجهته ديميتير بلا دليلٍ عن اختطاف مربيتها من قِبل باربرا، ففكرت: «يبدو أن أحدهم بدأ يتمادى!».

لم يشهد الناس غضباً كهذا على أفروديت، وبدأ الحراس بتطويق القصر وتفتيش روَّاده، وكان الدوق يجثو بجوار جثة باربرا، وظلَّ هادئاً تماماً، لأنه يعرف أن مصاصي الدماء لا يموتون بالتسمم، فاقترب من رأسها وهمس في أذنها: باربرا!.. استيقظي!

ولكنها لم تستجب، فقام بهزِّ كتفها بعنف: باربرا!!

عندها سعلت باربرا بقوةٍ وتفاجأ الجميع، وبدا وجهها شاحباً عندما فتحت عينيها، وقد بدأ تأثير السم يتلاشى تدريجياً من جسدها، واحتضنتها والدتها مارغريت بقوةٍ

وانهارت باكيةً، بينما كانت الوجوه مصدومةً تعتريها علامات الاستفهام من عودة جثةٍ إلى الحياة، ولكنَّها لم تكن أكثر صدمةً من ديميتير، التي اصفرَّ وجهها وسألت مربيتها مذهولةً: كيف يحدث هذا؟!

حاولت تيرزي تهدئة سيدتها حتى لا يُلاحَظ انفعالها، فخفضت ديميتير صوتها محاولةً التماسك: كيف.. نجت؟!

وجَّه إيبير حديثه إلى أفروديت: جلالة الملكة!.. لقد تعمَّد أحدهم قتل فردٍ من عائلتي!.. أرجو أن تكلِّفيني بمهمة التحقيق!!

ترددت أفروديت، ولكنها لاحظت الأعين المترقِّبة لقرارها، وبالرغم من أنها تشك بتورط أختها، إلَّا أن مبدأ العدالة والحفاظ على ثقة الشعب كان دافعاً أقوى وأسمى من حماية شقيقتها المتهورة، فأجابت: أكلِّفك بذلك، دوق إيبير!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

وقفت فيوليت تبكي أمام المرآة، ثم نظرت إلى حاجيات أغلاي، حيث كان شعور الكراهية يستولي على قلبها، ولم تستطع إبعاد ذلك الصوت الرنّان في رأسها، صوت أغلاي:

{فيوليت!.. لمَ فعلتِ ذلك؟.. لا أجد سبباً يدفعكِ للغضب هكذا!!}.

ضمّت يديها المرتعشتين بعضهما لبعض: «إنها تعلم بأنني لا يمكن أن أسيء التصرف، لكنها تعمَّدت إحراجي!.. كيف تفعل هذا بي، كيف؟!.. ألا يكفيها أنها سرقت إيانويل مني!!».

في تلك اللحظة، أخرجت قلادة والدتها الثمينة من بين ثيابها، ثم دسَّتها في صندوق أغلاي، وقد عزمَت هذه المرة على الانتقام.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

في طريقه إلى غابة ميقالوس، خيّم الوفد الاستكشافي الصغير الذي أرسله الدوق إيبير إلى وكر الفيركولاس..

قال إيمانويل: أرسل الدوق ابنه غيلبرت إلى رومبيانيا لإبلاغ الكونت أرماند عن صديقتك زوي!.. ولكني أرسلت شخصاً ليحذِّرها، فلنأمل أنه وصل في الوقت المناسب!.. أو سيكون أرماند قد أمسك بها!

ردَّ آرميل: سأرسل إلى ألارد بصفتي صديقه القديم، وسأضع شفرةً تحذيريةً بها!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

أنشأ الجيش البانسلي قاعدةً عسكرية على بُعد أميالٍ قليلةٍ من كليوزهيست، وكان الجنود يجلسون حول النار في تلك الليلة الهادئة، ويتحدثون عن الحب والعواطف، واشتياقهم لعائلاتهم وعشيقاتهم، وعندما حان دور ألارد ليتحدث، سألوه وكانوا يعلمون ألّا عائلة بانتظاره: سيرجنت ألارد؟.. هل هناك حبيبةٌ تنتظرك في بانسيلينوس؟

ابتسم برزانة: لستُ مهتمّاً بأمورٍ كهذه، ما يهمني هو ولائي لبانسيلينوس والملكة!

أخذ الجنود يمازحونه بكلماتهم: لا تجيد الحديث سوى عن الولاء والقتال!.. لا بأس بإظهار جانبك العاطفي أيها السيرجنت، فالحياة جميلة!

كانت زوي تحدّق به وهي ترى انعكاس وميض النار على وجهه، وقالت في نفسها: «مثاليٌّ كما عهدتك، مثاليٌّ للغاية!».

سألها أحد الجنود: وأنتَ يا ليون؟

التفتت من فورها نحو ألارد، وبدا الارتباك على وجهها، ثم أشاحت بصرها عنه، وحدَّقت في النار، وبعد ترددٍ قالت: أحببتُ شخصاً، لا يبادلني الحب، ولكنَّه يغمرُني بعطفه، وأنا سعيدٌ ببقائي بقربه، فرؤية وجهه.. تكفيني!

قال أحدهم مُعلِّقاً: أنتَ تقصد فتاةً بالطبع؟

أجابت بابتسامةٍ خجلة: أجل، إنها.. فتاة!.. بالطبع، أنا أحب فتاة!

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ــ مولنيا)

استقبَلت دليا المواساة من نبلاء مولنيا الذين توافدوا على مزرعتها، حيث كان الحِداد مُخيِّماً، وكان السواد يُغطي الثياب، والحُزن كاسياً الوجوه، توقف المُزارعون عن العمل، ليدعموا سيّدتهم ويشاركوها حُزنها، ولم يُفارق ياني وإيوانا جانبها، فكان لها ياني الأمل، وكانت لها إيوانا الأمان.

عادت داناي إلى المزرعة لتسلِّم الرسالة إلى دليا، فركض ياني لاحتضانها مبتهجاً برؤيتها، واستقبلها المزارعون بشوقٍ وعتاب، كان كل شيءٍ تماماً كما تركَته، الحقول وسلال القطف، ومنظر الغروب على السنابل الذهبية، هذا المكان الجميل الذي احتواها دائماً، لا يزال يفوح برائحة العشب الندي.

وقفت دليا على باب المنزل، وخلفها إيوانا، فتقدمت داناي وسط صمتٍ من الجميع، لتعتذر من سيدتها التي سامحتها بعد أن عرفت القصة كاملةً، وأمرَتهم بتقديم الماء

والطعام لها، وقدَّمت لها داناي التعازي، وعبَّرت عن حزنها لفقد ألباين مونبيتيت، ثم أخبرتها عن الفيركولاس، وقدَّمت لها رسالة أليكسيو قائلةً: لقد كتبها إلى السيرجنت ألباين!

قرأت دليا الرسالة، وكانت تتحدث عن مصاصي الدماء، وعن مخططات الفيركولاس، تقسيمات جيشهم، ونقاط ضعفهم، وعن كون هذه الحقيقة الوحشية هي السرَّ الذي كانت تخبئه عائلة بونيفيل وقتلت والدها أركاديوس مونبيتيت بسببه.

ضغطت على الورقة بيدها المرتعشة، ولاحظت داناي شحوب وجهها، فقالت لها بنبرةٍ جادة: لقد رأيتُ أشياءَ مخيفةً هناك، آنسة دليا!.. عشتُ أوقاتاً صعبة، صعبةً جدّاً!

قامت إيوانا باحتضانها برأفة: عزيزتي داناي!.. نحن الآن نشعر بالخوف، من مجرد كلماتٍ على ورق، فكيف بكِ أنتِ!.. لقد كنتِ هناك!!

التفتت دليا إليها: أعلم كم كان الأمر قاسياً عليك!.. أنا سعيدةٌ بأنكِ نجوتِ!

ثم قالت بحزم: يجب أن أتصرف نيابةً عن أخي!!.. سأغادر إلى لورديور!

تجمهَر الخدم والمزارعون حول دليا بعد أن وصلتهم أنباء حصار الفيركولاس لبلدة أثانسيا، وكانت وجوههم مرعوبةً، حيث قال أحدهم: سمعنا بأن تلك الوحوش قد استولت على أورانوس والآن أثانسيا!.. وقد يزحفون إلى مولنيا في أي لحظة!!

ولكنَّ سيدتهم كانت متماسكةً كعادتها، فقالت محاولةً طمأنتهم: لن يعتدي أحدٌ على بلدتنا العزيزة، ولن أسمح لأحدٍ بوضع قدمٍ واحدة على مزرعتنا!

ودعَّتهم داناي لترحل إلى رومبيانيا بحثاً عن عائلتها، فاحتضنت دليا يديها وقالت بمشاعر قلق: شكراً لعنائك بالعودة إلى المزرعة من أجل إيصال هذه الرسالة الهامة!.. عليكِ أن تتوخي الحذر أثناء رحلتك يا داناي!.. أتمنى أن تجدي عائلتك، وتستعيدي ذاكرتك!

ابتسمت داناي عندما شعرت بالدفء الصادق والنابع من تينك اليدين الناعمتين، ونظرت إلى عيني سيدتها وقالت: شكراً لكِ على كل شيء، آنسة دليا، أنا ممتنةٌ للطفك حقّاً!.. ولن أنسى جميلكِ أبداً!

طوَّقتها إيوانا بذراعيها: اعتني بنفسكِ جيداً يا صغيرتي!

فقالت داناي بعد أن ارتوت من ذلك الحضن: لطالما كنتِ الأم الحنون يا إيوانا!.. أشكركِ من كل قلبي!

مسح ياني دموعه: ستجدين عائلتك، أليس كذلك؟.. أنا حزينٌ لأنكِ لم تحضري زفافنا!.. سأفتقدكِ، ولكنني سأكون سعيداً لأجلكِ!

ابتسمت له داناي: أنا سعيدةٌ حقّاً لزواجكما!.. سأراسِلكما بالتأكيد، الوداع، ياني العزيز!

أمرت دليا السائس بعزم: قم بتجهيز العربة، سأنطلق إلى لورديور!

تشبَّث بها ياني عندما رآها عجلةً في تجهيز حاجياتها للرحيل، فالتفتت لترى عينيه الحزينتين، كالطفل الذي يوشك على البكاء مُتعلِّقاً بثوب أمه: لا تتركيني!

لم تحتمل دليا رؤية وجهه الملائكي المستجدي، فقالت: إيوانا، جهزي حاجيات ياني، سأصطحبه معي!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

هبَطت أغلاي السلالم، ووجدت العائلة تجتمع أمام منضدةٍ وُضِع فوقها عِقدٌ نفيس، سألها الدوق: أغلاي، هل تودِّين تفسير الأمر؟

سألت أغلاي بريبةٍ وحذر: أي أمر؟

أشار الدوق إلى العقد: كيف انتقل عقد الدوقة إلى صندوق مجوهراتك؟

أطلَّ بيلموت من أعلى السلالم، وراقب ما يجري بصمت، فالتفتت أغلاي إلى الدوقة الحانقة، وأجابت: لا عِلم لي!

{هذا الصباح، فقدَت ميرابيل عِقدها الثمين، وأمرَت الخدم بالبحث عنه، فهرعت إليها فيوليت تحمِل صندوق مجوهرات أغلاي: أمي، انظري أين وجدته!!

تفاجأت ميرابيل، ولكنَّ الأم لا يسَعُها سوى أن تصدِّق ابنتها.}

انفجرت الدوقة: كاذبة!!.. لقد وجَدَته فيوليت في صندوقك!!

نظرت أغلاي إلى فيوليت التي أشاحت بوجهها ارتباكاً، ففهمت الأمر، وحاولت السيطرة على غضبها، ثم عادت لتنظر إلى الدوقة بحدَّة: ربما يجدر بكِ أن تسألي ابنتكِ أولاً؟.. ما الذي يدفعها لتوريطي بهذه الدناءة؟

اندفَعت نحوها ميرابيل وصفعتها بانفعال: لا تحاولي التملُّص من أخطائك ورميها على ابنتي!.. هل تريدين أن أُكذِّب ابنتي التي ربَّيتُها بنفسي، وأصدِّق بشريةً تربَّت في الشوارع القذرة؟.. إنها ليست المرة الأولى يا أغلاي، فأنتِ تستمرين بالإساءة إلى أفراد العائلة!

لم تتمالك أغلاي نفسها، ونظرت إلى الدوقة بحقد، ثم إلى فيوليت، وقد فهمت أنها كانت تنتقم، وفكَّرت: «لا أحد منهم يستحق أن أحميه بصَمتي!».

فخفضت رأسها وأغمضت عينيها في محاولةٍ لكتمان مشاعرها المتأججة، وغادرت المنزل على عجل، ولم تلحَظ أن بيلموت لحِق بها خلسةً.

❁❁❁

في منزل مارغريت بونيفيل..

عندما انتهى الطبيب من عمله، قال مبهوراً: يا لقوة صحَّة ابنتكِ، سيدة مارغريت!.. إنها تتعافى بشكلٍ سريعٍ مقارنةً بحالات التسمم الأخرى!.. بوق الملاك هو السم الأكثر قوةً، لكن الإكسير الذي أعطيتها إياه لتتناوله قبل المأدبة، كان فعّالاً كفايةً لحمايتها!

وضعت مارغريت صرّة المال في يده وقالت: أحسنت عملاً أيها الطبيب، أسرعتَ في فحص باربرا قبل أن يتدخل أحدٌ آخر، وأخبرتَ الناس بالتشخيص الذي طلبتُه منك بالضبط!.. هذه المكافأة التي وعدتكَ بها، وستظلُّ مطبِقاً فمك عن هذه الحادثة حتى آخر يومٍ في حياتك، إذا أردت إلّا تفقدها!.. وإلى هنا.. ينتهي عملك!

وبعد أن غادر، دخل الدوق إيبير إلى منزل أخته للاطمئنان على ابنتها، فسكبت الخادمة لهما الدماء وجلست مارغريت على الأريكة ممسكةً بكأسها: أنا أتَّهم الأميرة ديميتير، فهي العدوة الأولى لابنتي، والجميع يشهدون على هذه العداوة!.. عليك أن تفتش جناحها، وتحقق مع خدم القصر، إلى أن تصل إلى الحقيقة!

ضحك إيبير بخبث: أجل، كما اتفقنا سابقاً!.

كان إيبير عازماً على إبعاد ديميتير عن طريقه، بعد أن قامت بتهديده بإزالته عن منصبه، فتعاون مع شقيقته مارغريت للإطاحة بها.

في المعبد الملكي..

وقف الدوق إيبير أمام أرتشيم، الذي حدّق في عينيه بحدَّةٍ وقال: لم أرَ أو أسمع شيئاً، حضرة الدوق!

ولمعرفته الجيدة بحيل هذا الثعلب الطمّاع، قال الدوق: إذا رأيتَ عشرين ألف آرغنت في جعبتك، فربما ستتذكر!

فأجاب بخبث: أظنني تذكَّرتُ الآن، لديَّ سرٌّ يتعلَّق بعدوتك التي تحاول الإيقاع بها!.. يمكنك اصطياد عدوتك عن طريق وزير المالية!

ظهر التعجب على وجه إيبير وسأل بحيرة: ما الذي تقصده؟.. تحدَّث؟

قال أرتشيم: أصبح الناس يدفعون أكثر أيها الدوق، فالمعلومات هذه الأيام تساوي ذهباً..

تقدم الدوق خطوةً للأمام وقال بجدية: إذا كان حصولك على حصانين سيجعلك تُدلي بمعلوماتك أمام القاضي، فسأرسلهما لك غداً!

أخذ الكاهن يدعَك التمثال المقدَّس بخفةٍ وحرصٍ بواسطة قطعة قماشٍ بيضاء: قد أشهد ضدَّها إذا أردت، ولكنَّ.. الحصانين لا يكفيان مقابل المخاطرة بحياتي!

صمت إيبير وحدّق فيه باستفزاز، ثم قال: مزرعةٌ في أرياف لورديور ستكون كافيةً لتُطلعني على كل ما تعرفه، وتُدلي بشهادتك في المحكمة!

ابتسم أرتشيم بخبثٍ، وظهرت أسنانه الصفراء ولمعت عيناه الجاحظتان، وأجاب: كافيةٌ جدّاً، شكراً لكرمك، دوق إيبير!

❁❁❁

في حديقة القصر..

كانت الأميرة تحاول استعادة توازنها وتصفية ذهنها بعد أحداث الليلة الماضية، متنزهةً مع مربيتها، ورأت أغلاي تقترب منها، ولكنَّ وجه الأخيرة بدا مسوداً، مقطِّبة الحاجبين وكأنها جنديٌّ مُقدمٌ على معركة، انحنت لها على عجلٍ، فسألتها ديميتير باستنكار: وجهكِ لا يُبشِّر بالخير!.. ما الأمر؟

أجابت: قد لا أكون بخير، لكنني أجلب لكِ الخير الآن، سأخبركِ بأهم معلومةٍ خُبِّئت لدهر، السرّ الذي يخشى آل بونيفيل من فضحه!

ظهر الاهتمام على وجه ديميتير: هذا ما كُنت أنتظره!

قالت أغلاي بوجهٍ جاد: آل بونيفيل ليسوا بشراً!.. إنهم ينحدرون من سلالةٍ ملكيةٍ.. لمصاصي الدماء!

حدَّقت بها ديميتير لوهلةٍ من الصمت المُطبِق، ثم انفجرت ضاحكة: ألم تجدي قصةً خياليةً أفضل من هذه؟.. أغلاي، أعلم بأن طموحاتكِ عالية، ولكنَّ الأمر لا يستدعي أن تختلقي مثل هذه الترهات التي يَستحيل أن تنطلي علي!

ودون أن تنبس بكلمة، أزاحت أغلاي أكمام ثوبها، وجعلتها تنظر إلى أثر العضِّ على معصمها، فسألت الأميرة بذعر، وحاولت لمسها: ما هذا؟!.. من فعل هذا بك؟

خبَّأت أغلاي ذلك الأثر، وأجابت: ما يهمُّ حقّاً، هو أن تعرفي سموكِ، بأني لم أكذبْ ولن أكذبَ عليكِ يوماً!.. أنا حليفتكِ دائماً!.. يمكنكِ التصرف بهذه المعلومة كما تشائين، فهي هديتي إليكِ!

وبعد أن رحلت أغلاي، وتركت الأميرة في حيرةٍ مما سمِعت ورأت، التفتت ووجدت الكاهن أرتشيم يقترب منها، فسألته متململةً: ما الذي تريده هذه المرة يا أرتشيم؟

ضمَّ يديه بعضهما لبعض وقال بجرأة: لقد رأيتُ تيرزي تمرُّ بين السقاة!.. إنه أمرٌ غريب، أن تمرَّ مربية الأميرة من هناك، ثم تسقط عدوَّتها ابنة بونيفيل في وقتٍ وجيزٍ بعدها، أو ربما يمكننا القول بأنها مصادفة؟!

صاحت تيرزي بوجهه غاضبةً: كاذبٌ حقير!!.. لا تصدّقيه سموك!

غضبت ديميتير: هل تحاول توجيه اتهاماتٍ إلى سيدتك ومربيتها؟!.. إنك تدرك تماماً أن التطاول على الأسرة المالكة سيؤدي إلى قطع رأسك!

أرتشيم: لم أوجِّه أي اتهامٍ، سمو الأميرة!.. إني أتساءل فقط عمّا رأيته!.. لأني خادمٌ مخلصٌ لجلالتها، «سيدتي» الوحيدة، الملكة أفروديت!

وبعد أن ضغط عليها بالحديث، ومع استمرار تيرزي بالإنكار، رفع عينيه إلى السماء وقال متظاهراً بالتفكير: ربما سيدفع لي الدوق إيبير مقابل أي معلومةٍ أُدلي بها، ولكن.. إذا حصلتُ على مبلغٍ أكبر مما سيدفعه، فإني لن أخبر أحداً بأني رأيتُ تيرزي، أو بأني أعرف عن خيانتك مع الوزير!

حاولت ديميتير السيطرة على ردة فعلها، وضحكت بتعجب: أتحاول ابتزازي مجدداً؟!.. يا لوقاحتك!.. لقد دفعتُ لك سابقاً، يجدر بك الحفاظ على صمتك إذا أردت بقاء رأسك حيّاً!

ظهرت ابتسامةٌ خبيثةٌ على محياه، وانحنى مغادراً، فالتفت إلى مربيتها وعيناها تشتعلان غضباً، وكانت تيرزي تنظر إليها باستجداء: أميرتي!.. هل تصدقينه؟.. كيف تصدقين الكاهن المعروف بخداعه وجشعه؟.. أنا من قمتُ بتربيتكِ، كيف يمكن أن أكذب عليكِ؟.. ثم إنك قد تخلَّصتِ من السم أمام عينيّ!.. لا يمكن أن أقوم بتوريطك!

قاطعتها الأميرة ناهرةً: اصمتي، لا داعي لكل هذه الثرثرة!.. أنا أُصدِّقك!

وكانت تراقب أرتشيم وهو يبتعد: ذلك الكاهن، هو من سيقوم بتوريطي!.. أخطأتُ الظنَّ بأن المال يشتري الصمت، يجب أن أتخلص منه سريعاً!

❁❁❁

في ليلة الاحتفال الأخيرة:

{ولم تمرَّ الدقائق، حتى سقطت باربرا على الأرض.. كجثةٍ هامدة!

هبّ الجميع لإنقاذها، وفي خِضم القاعة المضطربة، تبادلت ديميتير همساتٍ مرتبكةً مع مربِّيتها. ديميتير مذعورةً: ما الذي فعلتِه يا تيرزي؟

ارتعشت تيرزي: لم أفعل شيئاً!!

وبغضبٍ مشتعل قالت ديميتير: لم أكن أنوي قتلها أمام الملأ، فلستُ بهذا الغباء!.. ستتجه أصابع الاتهام إليّ الآن!!.. من سيفعل هذا غيركِ يا تيرزي؟!

ردَّت تيرزي بوجهٍ شاحب: صدِّقيني سموك، لستُ أنا الفاعلة!

حدَّقت ديميتير في الجثة ولم تستطع تجاهل شعورها بالانتصار، فقد ماتت عدوتها فجأةً أمام ناظريها، وهناك من اختصر لها الطريق، وكانت تيرزي تنظر إلى الضحيتين باستشفاءٍ لغليلها. ولكنَّ ديميتير نطقت بعد تفكير: يجب أن أتخلص من زجاجة السم حالاً!.. إنه فخ!!.. هناك من يحاول توريطي!}.

❁❁❁

وأثناء عبورها الحديقة، ركضت نحوها إحدى خادماتها لاهثةً: سموك!.. الدوق إيبير يُحقِّق مع خدم القصر، وأمر بتفتيش جناحك، ولم يتمكن الحراس من منعه، لأنه مخوَّلٌ من الملكة!!

تجهَّم وجه ديميتير، والتفتت إلى مربيتها التي فهِمت مخاوفها، وتبادلت معها النظرات المرعوبة.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

بين أشجار الغابة الكثيفة، اعترض اثنان من الغربان طريق الوفد الاستكشافي، سائلَين: من أنتم؟.. ولمَ تعبرون الغابة؟

فأجاب إيمانويل: لم تعرِّفا بنفسيكما؟

مرّت لحظة ترددٍ من الغرابَين، عندما رأيا أسرجة الخيول المطرَّزة والثياب المُهندمة، فعلِما بأنهم من طبقة النبلاء، تحرسُهم فرقةٌ من الجيش، وشكَّا بجهلهم عن وجود الفيركولاس، فقال أحدهما: نحن عصابةٌ تحرس المنطقة، ونُدعى الغربان، أردنا تحذيركم أيها السادة، يجب أن ترجعوا وتسلكوا طريقاً آخر لوجهتكم، فمن يدخل هذه الغابة لا يخرج منها حيّاً!

سأل إيمانويل: وإن لم نفعل؟

قال الآخر وهو يسحب سيفه: فسنضطر لإخراجكم بالقوة!

قامت الفرقة العسكرية بأداء واجبها لحماية الوفد، إلّا أن إيمانويل منعَهم من التدخل، بعد أن ارتاب في أن يكون الغرابان من الفيركولاس، ثم نظر إلى أندريون وأشار له لكي يتأهب للقتال، وترجَّل الاثنان عن جواديهما، بينما ظلّ آرميل ساكناً ولم يشارك.

فقال إيمانويل وهو يَشهر سيفه: من الأفضل أن تبتعدا!

رفض الغرابان إفساح الطريق، وقال أحدهما: لا يمرُّ النبلاء من هنا عادةً، ومع هؤلاء الجنود خلفكم، يظهر أنكم متجهون لهدفٍ عسكري، لقد حذَّرناكم لكنكم مصرّون على دخول الغابة، يبدو أنكم تحبون المجازفة!

أراد استفزازهما ليختبر قوتهما كمصاصيْ دماء، وقال: المجازفة طبْعُ الشجعان، فلتُريانا أفضل ما لديكما!

واشتبك الأربعة بالقتال، فقال آرميل متململاً ومنحازاً لجانبه المسالم: هل كان هذا ضرورياً؟

لم يتوقَّع ابنا بونيفيل أن الغرابين بتلك المهارة، إلى أن أُرهقا من طول المناورة، فاضطرَّا لاستخدام قوَّتهما الحقيقية، وأشعَّت أعينهما باللون الثلجي لإخافة الغرابين، ولكنَّ ما حدث هو العكس، فقد اشتبك الغرابان معهما فور أن رأيا وهيج أعينهما، وفهما أنهما يواجهان مصاصَيْ دماء، فقاما بتوجيه ضربات سيفيهما نحو قلبي أندريون وإيمانويل، وبالرغم من أن آرميل كان مُتنحِّياً عن إقحام نفسه في هذا القتال، إلَّا أنه اضطر لاستخدام قوته بعد أن تعرض للهجوم، فظهرت أنيابه متبوعةً بوهيج عينيه الأحمر.

قال إيمانويل مُستنتجاً: إنهما بشريان، ويعرفان نقاط ضعف مصاصي الدماء!

فقال آرميل: هذا يعني أنهما قد تواجها مع الفيركولاس سابقاً!

ذُهل الغرابان من قوة إيمانويل، الذي صدَّ هجماتهما بسرعةٍ خارقة، وألقى سلاحيهما بعيداً، فتراجعا نحو الخلف بيأسٍ وهزيمة.

ولكنَّ آرميل توقف أمامه ومنعه من قتلهما: دعهما يذهبا!.. فليس هذا هو عدونا المقصود!

ردَّ إيمانويل منزعجاً: لقد شاهدا وعرفا ما لا يجب عليهما معرفته!.. ابتعد يا آرميل!

لم يتزحزح آرميل، وظلّ يحدّق به بإصرار، إلى أن خضع إيمانويل وأرخى سيفه، فلاذ الاثنان بالفرار واتجها نحو رايموند ليخبراه بما حصل، قال أحدهما: عند طرف الغابة الشمالي، واجهنا ثلاثة مصاصي دماءٍ أقوياء جدّاً!!.. لم نتمكَّن من مواجهتهم أبداً!.. من الغريب أن مظهرهم كان كالنبلاء، ولم يسمحوا للجنود المرافقين لهم بالتدخل!

وقال الآخر: وأيضاً، كان وهيج عينيِ اثنين منهم مختلفاً عن الفيركولاس، كان يشبه لون السماء في صباحٍ مثلج!.. أما الثالث، فكان وهيجُ عينيه أحمرَ كالفيركولاس، أظن أن اسمه كان (آرميل)، فهو من أنقذ حياتنا، وسمح لنا بالهرب!

ذهل رايموند: انتظر!.. هل قلت.. آرميل؟

أومأ الرجل برأسه، فسأله رايموند بتحفّز: صف لي مظهره؟!

أجاب: شابٌّ طويلٌ نحيل، مسمرُّ البشرة، ذو شعرٍ أسودَ متموجٍ ينسدل على رقبته، واسع العينين وذو نظراتٍ ثاقبة.

نهض رايموند من مكانه فزِعاً: إنه هو!!

ثم قال بعد أن شحب وجهه من صدمةٍ ممزوجةٍ بالحيرة والغضب: لا يمكن هذا!!

ثم أمر رجاله: فلنلحق بهم!!

وقفز على جواده وانطلق بين أشجار الغابة وهو يفكر مصدوماً: «ذاك المحتال الوغد، مصاص دماء!!».

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

هرعت ديميتير نحو جناحها، لتتفاجأ بوجود الدوق إيبير مع مجموعةٍ من الحرس الخاص، والتفت إليها وبيده الوثيقة وزجاجة السم!

توقفت وشحب وجهها، وجفّ ريقها، وسادت لحظة صمتٍ في جنبات الجناح، مضَت وكأنها ساعاتٌ من الانتظار في طقسٍ بارد.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

تسلَّق أندريون شجرةً ضخمةً ليستكشف المنطقة بعينيه، فشاهد قمَّة الجبل، ثم هبَط وقال: الجبل يتوسَّط الغابة، وسيكون ملاذاً آمناً، ومقرّاً استراتيجيّاً للفيركولاس!

امتطى إيانويل ظهر حصانه قائلاً: فلنتَّجه إلى الجبل!

سمِع الوفد صهيل خيولٍ تقترب، فاستلَّ الجنود سيوفهم في ترقُّب، إلى أن ظهرت عصابة الغربان من بين الأشجار، وسمِع آرميل صوتاً بدا مألوفاً: ها نحن نلتقي مجدداً، أيها الوغد!

لفتت انتباهه الكلمة الأخيرة، فلم ينعته أحدٌ بالوغد.. سوى رايموند!.. ظهر رايموند من بين الأشجار، فأشار لهم آرميل بإرخاء سيوفهم، ونظر إليه بذهول: رايموند!

إيمانويل متعجِّباً: هل تعرفان بعضكما بعضاً؟

حدَّق رايموند في إيمانويل ببُغضٍ عندما تذكر كلماتٍ تفوهت بها الفتاة التي أحبَّها:

{إنني أعشقه فعلاً.. لجاذبيته وعذوبة كلامه!}.

سأله آرميل: ما الذي تفعله هنا؟!

أجاب رايموند: أنت من عليه أن يجيبني، ما الذي تفعله هنا مع أبناء بونيفيل وهؤلاء الجنود؟.. ولماذا توهَّجت عيناك كالفيركولاس؟!

أجاب آرميل: أعتقدُ أنك تذكُر اليوم الذي قُتل فيه أبراكساس، لقد قام زعيمهم بالتازار باختطافي قبلها، وحوَّلني إلى وحشٍ كما فعل بزوي وأرام!.. أخبرني أريس بأن بالتازار قد احتجزَكما مع أرام في تلك الليلة!.. كان من المفترض أن يُمسك رجاله بي و بزوي، بدلاً منكما!

تذكَّر رايموند عندما تم اختطافه وحبسُه في إصطبلٍ قديم، وعادت له ذاكرته بعنف، عندما رأى ذلك المشهد من جديد، وقد تمكَّن من الهرب مع أريس تاركاً أرام خلفه، ليتحول الأخير في النهاية إلى شخصٍ آخر تماماً!.. تلك الذكريات الملعونة، جعلته يشعر بوخزة الضمير، هل كان عليه أن يشعر بالذنب لأنه السبب في تحوّل أرام؟.. ماذا لو ضحَّى بنفسه في ذلك الوقت، وعاد لينقذه؟.. هل سيبقى أرام الطيب.. الذي كان يعرفه؟

قطَع آرميل شروده عندما قال: أسعى للإطاحة ببالتازار، بالتعاون مع آل بونيفيل!

رايموند: أظننا نتشارك الهدف، مع اختلاف وسائلنا!.. سأتركك تعبر الآن، ولكنَّ لقاءنا هذا، لا يعني أننا صديقان!.. فإني لم أنسَ خلافاتنا الماضية!

قال آرميل بينما يركب حصانه: لا أصدِّق أنك حقودٌ إلى هذا الحد يا رايموند!

أفسح له رايموند الطريق وهو يقول: وأنت تكرهني كذلك، يمكنني رؤية هذا في

عينيك!.. لقد قمتَ بتأليب ياني وشحن رأسه بأفكارٍ سوداويةٍ عني!.. تناسيتَ أنك وحشٌ أيها الوغد، لم تعد إنساناً، ولا يمكن استئمانك على حياة أحد!

قال آرميل مستنتجاً: لقد التقيتَ بياني في مولنيا إذاً!

ردّ رايموند: أجل، مولنيا هي مقرُّ عصابتي، وقد قضى ياني زمناً بصحبتي!

ثم نظر إلى إيمانويل وقال: يمكنك أن تسلّي اللورد خلال الرحلة، بسَردِ قصة عشق أغلاي القديمة!

أوشك إيمانويل أن ينطلق إلّا أنه توقف عندما سمع اسمها، والتفت إليه بتساؤل، فقال آرميل وهو يرفع اللجام: لا تُلقِ بالاً لكلماته، فهو يحاول استفزازك فقط!.. ولا يزال حب طفولته يُضعفه!

ثم ظهرت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفتيه، وقال لرايموند: يجدرُ بك أن تنضج وتنسى ذلك الحب يا رايموند!.. لقد تجاوزتكَ الفتاة منذ زمن، وهي الآن سعيدةٌ مع اللورد إيمانويل!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ الميناء)

في ميناء رومَبيانيا الذي ما زال نشِطاً بحركة النقل البحري رغم استِعار الحرب، فقد كان الناس يهربون عبر البحر إلى بلادٍ أبعد، خوفاً من تبِعات نزاع أسرة رونثو حول العرش.

عبَر غيلبرت بين الحشود المكتظَّة، وبعد صعوده على متن المركب الذي سيقلُّه إلى بانسيلينوس، لَمح فجأةً ميليسيا بيلغرين تنزل من إحدى السفن المُحمّلة بالركاب، ودُهِشَ من وجودها هناك، لكنَّه صُدِم عندما أمعن النظر في ثيابها، فلم تكن مُهندمةً وأنيقةً كما رآها في سيفياتوست، بل كانت تبدو رديئةً ورثّةً من آثار سفرٍ طويل.

انطلق المركَب مصارعاً الأمواج، وفكَّر غيلبرت مندهشاً: «كلَّا، كيف لميليسا أن تنزل من سفينة قادمةٍ إلى رومبيانيا!!.. وبثيابٍ كهذه!!.. لا يمكن!!.. هل يُعقل أن تكون.. هل هي..؟!».

فزِع وشعر بجفافٍ في حلقه، وكأنه يوشك على فقدان صوته، وسرَت برودةٌ عبر أطرافه، وتثاقلت قدماه عن الحراك، فلعَق شفتيه بتوتر، وأجهد نفسه في محاولة النظر إليها بين العابرين، فقد كانت تختفي خلف أجسادهم وتعود لتظهر من جديد، كما لو كانت شبحاً.

مرَّت تلك الكلمات كالبرق الذي خطف ذاكرته:

{اعتدلت ميليسا في جلستها وقالت بنبرةٍ جادة: لورد غيلبرت!.. يؤسفني أن أخيب أملك، ولكن.. ثمة أمرٌ يتوجب عليك معرفته!

ظهر الاهتمام في عينيه، فقالت: لقد فُقِدت أندرونيكا أثناء رحلةٍ لنا إلى غابات الشرق، واستمرَّ البحث عنها لأيام، امتدَّت لأسابيع.. وأشهرٍ وسنوات، لقد اختفت تماماً ولم يعد لها أثر!.. عرَض والدي مكافأةً لمن يجدها، ولكننا يئسنا لاحقاً، وفهِمنا أنها ماتت ضحيةً للذئاب، وما زِلنا نُصلِّي لروحها دائماً!

وبعد أن لاحظت جموده وشرود ذهنه، نادته بقلق: لورد غيلبرت، هل أنت بخير؟.. أعلم بأن وقعَ هذا الخبر شاقٌّ عليك، كما كان وقعُه علينا، أنا آسفةٌ لإطلاعِك على الحقيقة!}.

نظر إلى شبَحها العابر بين الراحلين، والنَّوارس تُحلِّق فوقها، وكان يفكِّر بقلبٍ يرتعد لوعةً ويعتصر ألماً: «حينما رأيتكِ علمت، بأني أخيراً.. وجدتك!.. لن أبتعد عنكِ، فقد أخذ مني الأمر دهراً، لكي أصل إليكِ!.. نحن مرتبطان بالقدر، وكأنه يقودنا بعضنا لبعض، فمهما ابتعدنا.. وضِعنا، فإننا نلتقي!.. لن أتركِ حبيبتي، فقد كنت أبحث عنكِ، وها أنا أخيراً وجدتك، أنا قادم وسآخذك، ستأتين معي إلى بانسيلينوس، أو

سآتي معك إلى حيث تذهبين، فقد وجدتكِ يا أندرونيكا!.. وجدتك!».

ورغم جفاف ريقه، نادى صارخاً باسمها: أندرونيكا!!

آملاً أن تسمعه وتتوقف قبل أن تختفي من جديد، انتظر لثوانٍ التفاتتها، ولكنَّها لم تلتفت، فنادى واستمر يركض فوق المركَب، دافعاً الناس عن طريقه: أندرونيكا!!.. أندرونيكا بيلغرين!!

أمسكت به يدٌ عنيفة، فالتفت ليجد قبطان المركَب الثائر: ما الذي تفعله أيها اللورد؟.. أنت تدفع الركاب وتزعجهم!

كان الميناء يصغر شيئاً فشيئاً أمام عينيه.. إثر ابتعاد المركَب عن اليابسة، فأمره بالتوقف: أوقف المركَب حالاً، أريد العودة للميناء!

زمجر القبطان: أتظنُّ أنه يمكنك إلقاء الأوامر هنا؟!.. حتى لو كنتَ ترتدي هذ الزيَّ العسكري، فلا سلطة لك على مركَبي!.. لن يتوقف المركب حتى يصل إلى بوليشولي في الموعد المحدد!.. يمكنك القفز في البحر إذا لم يرُق لك الأمر!

كتم غيلبرت غضبه والتفت ناحيتها، فلم يجدها، لقد اختفت وكأنها فصُّ ملحٍ ذاب في ماءٍ ساخن، ولم يعد له وجود، وتردد صدى صوت ميليسا في أذنه، وكأنها كانت تتحدث عن هذه اللحظة، وتصِفها بدقة:

{اختفت تماماً ولم يعد لها أثر!}.

❁❁❁

عبَرت داناي الميناء لتبحث عن اسمِ عَلَّه يقودها إلى منزل أسرتها، وسألت عن عائلةٍ ثريةٍ فقدَت ابنتها في عام ١٦٠٠م وعرضت مكافأةً لمن يجدها في ذلك الوقت، ولكن لم يتذكر أحدٌ تلك القصة، ولم يسمع بها.

ظهر أمامها فجأةً جنديٌّ وسيمٌ ببدلةٍ بيضاء، كان يلهث بعد جريٍ طويل، وكانت

نظراته نحوها عميقةً يشوبها الحزن مع لمعةٍ من الفرح الغريب، وارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ مترددة. استردَّ أنفاسه ونطق بصوتٍ هادئٍ مبحوح: أندرونيكا!

فأجابته: عفواً أيها السيد، يبدو أنك أخطأتني بشخصٍ آخر!

اتسعت ابتسامته المُتعجِّبة: كلَّا لستُ مخطئاً، أنا متيقنٌ كتيقني من وجود الشمس في السماء، هذه أنتِ وهذا هو اسمكِ!.. هل تحاولين خداعي؟

وبعد أن لاحظ الاستنكار في عينيها، قال: حسناً، أنا آسف، فربما فاجأتك، لقد تركتُ السفينة المُبحرَة إلى وطني، وركبتُ قارباً صغيراً وجدَّفتُ عائداً إلى اليابسة، لأجلكِ فقط!.. لا تخافي، أنا غيلبرت بونيفيل يا أندرونيكا!.. ألم تتعرَّفي علي؟

نظرت إليه داناي باستغراب، وكان ذهنها مشوشاً، فتلعثمت: أنا.. أنا لستُ واثقة..

قاطعها وقال معاتباً: أتعلمين كم قضى والدكِ يبحث عنكِ؟.. الجميع يظنُّونك ميِّتةً!.. لمَ هربتِ من عائلتك يا أندرونيكا، وأين كنتِ طوال تلك السنين؟!

ذعرت داناي من أسئلته المتتابعة، وظلَّت تحدِّق به بصدمة، وقد شعرت بأن الاسم الذي يُطلقه عليها بدا مألوفاً لديها، ولكنَّ الغموض يلفُّ كلماته، فكانت مُبهمَةً بالنسبة لها، وكأنها لغزٌ متناثر الأجزاء تحاول تجميعه لتكتمل أمامها الحقيقة، فهمت أن هذا الشاب يعرف ماضيها، وهو الآن وسيلتها للوصول إلى عائلتها.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

أمرَ الدوق باحتجاز الأميرة ديميتير في جناحها، وهرع إلى جناح الملكة، وقدَّم لها زجاجة السم، ولم تُصدَم أفروديت كثيراً، فقد بدَت وكأنها تتوقع نتيجة التحقيق،

فنهضت لتقف أمام النافذة، وظلّت تفكر لبرهةٍ عن القرار الذي ستتخذه إذا ثبت جُرم شقيقتها، فالجميع يتوقّعون العدالة منها.

إيبير بجدية: جلالتك، ليس هذا فحسب!.. فالأمر لم يتوقف عند قضية محاولة القتل!

بينما في جناح ديميتير..

صاحت من خلف باب جناحها بكبرياء: أنا الأميرة ديميتير غاريس!!.. آمرُكم بفتح الباب!!

ردّ أحد الحراس: نعتذر من سموّك، لا يمكننا السماح لكِ بالخروج، فأنتِ محتجزةٌ بأمرٍ من الدوق!

أخذت ديميتير نفَساً عميقاً، ثم قالت بعد أن شعرت بالإهانة: هل أصبح الدوق يملك سلطةً تفوق سلطة الأميرة؟!

ثم صاحت بالحراس: أنا آمركم بنقل طلبي هذا إلى الملكة، أريد أن أتحدث معها، حالاً!

❁❁❁

في جناح الملكة..

مدَّ إيبير إليها وثيقةً قائلاً: هذه حساباتٌ ماليةٌ لصفقات شراء أسلحةٍ وخيول، ويتضح أنها عملية تمويلٍ لجماعةٍ ثورية!

التفتت أفروديت ببطء، والتقطت الوثيقة وقرأتها، ورغم محاولتها للحفاظ على هدوئها وبرود ملامحها، إلا أن الصدمة ظهرت مفضوحةً في عينيها..

قالت: لا يوجد توقيعٌ لديميتير ولا أي إثباتٍ يدل على تورطها!

أجاب: أعلم هذا جلالتك، ولكنَّ الوثيقة وُجِدت مخبأةً في جناحها!

دخل أحد الحراس وقال: الأميرة تطلب بإلحاحٍ رؤية جلالتك!

في جناح الأميرة..

❁❁❁

جالت ديميتير عبرَ زوايا جناحها بخطواتٍ سريعةٍ متوترة، وقالت لتيرزي: هل رأيتِ زجاجة السم؟.. إنها تشبه الزجاجة السابقة التي تخلصتُ منها، ولكنها ليست هي!.. هناك من.. وضع هذه في جناحي!.. إنها مؤامرة!.. سأنكر أمر الزجاجة، وسأعترف بأن الوثيقة تخص أرماند!

لكنها تراجعت في تفكيرها: إلّا أن وجودها في جناحي، يجعلني متهمةً كفاية!.. تبّاً، ماذا فعلت؟!.. لم أكن مهملةً إلى هذا الحد أبداً، ما الذي جرى لي؟!

أدركت ديميتير في تلك اللحظة، أن الجميع يُخفقون، حتى الأذكى والأكثر حرصاً، لا يوجد استثناءٌ لهذه القاعدة، وها هي قد أخفقت اليوم، واستغلَّ أعداؤها هذا الإخفاق. ولم تشاهد تيرزي أميرتها منهارةً هكذا من قبل، وكان ضميرها يؤنِّبها خلال تلك اللحظات العصيبة، إن وظيفتها حماية ديميتير من تصرفاتها المتهورة، لكنها أهملت دورها هذه المرة.

في تلك اللحظة، دخلت الملكة إلى جناح ديميتير، وأمرت الجميع بالانصراف، وبدَت غاضبةً للغاية، ودون أن تنظر إليها، سألت بنبرةٍ قاسية: طلبتِ رؤيتي، تحدَّثي!

نظرت ديميتير إليها بثقةٍ وقالت بنبرةٍ مُستفزَّة: تعلمين بأني بريئة!.. لكنكِ تصرِّين على تلفيق تهمةٍ لي، تريدين التخلص مني لأني أؤرقكِ وأحضرُ في كوابيسكِ لأسلب عرشكِ، أجل، هذا ما تخافين منه، تريدين الاستيقاظ كل صباحٍ بلا خوفٍ من وجود خطرٍ يهدد عرشكِ!.. لكن دعيني أخبركِ، بأنني لستُ المنافس الوحيد يا أفروديت!.. فأعداؤك كُثر، والطامعون بعرشكِ أكثر، لن تكوني قادرةً على التخلّص منهم جميعاً، فهم يتكاثرون كالنمل!

التفتت أفروديت لتغادر الجناح بعد أن نِدمت على حضورها، إلّا أنها توقفت عندما

سمِعت أختها تقول: انتظري!.. سأسدي لكِ معروفاً إن أنصتِّ إليّ!

في منزل آل بونيفيل..

قام بيلموت بجذبها نحو حجرته، وأغلق الباب بإحكام، ثم التفت إليها، وضحك عندما رأى وجهها المذعور، سألته بغضب: ما الذي تفعله؟!.. بيلموت!!.. أخرجني من هنا!!

قال ساخراً: انظري إلى عينيك الشرستين، تبدين كقطةٍ تحاول الهجوم!

دفعته عن طريقها وحاولت الإمساك بمقبض الباب، لكنه قبض على ذراعها بقوةٍ شعرت معها بصوت عظامها وهي توشك أن تتهشم، فصرخت: توقف!!

أرخى بيلموت قبضته، وقال مُهدِّئاً: اخفضي صوتكِ، ليس من الجيد أن يسمعنا أحدهم!.. لأنكِ واقعةٌ في ورطة!

أفلتت ذراعها منه وسألته: ما الذي تقصده؟

قال بنبرةٍ جادة: سمعتكِ تتحدثين مع الأميرة!.. لقد حذَّركِ الكونت أرماند، بأن من يفشي سرَّ العائلة، فعقوبته الموت!

شحَب وجه أغلاي، وارتعشت شفتاها، ثم قالت في محاولة دفاعٍ بائسة: ما الذي تقوله؟.. كاذب!.. لم أفعل شيئاً كهذا!

لكنَّه تجاهل ردة فعلها وقال بابتسامةٍ ساخرة: لماذا فعلتِ ذلك؟.. هل كان الأمر يستحق المجازفة؟

اتجهت نحو الباب محاولةً الهرب، لكنها اصطدمت به عندما وقف أمامها بسرعةٍ خاطفةٍ لم تكن تتوقعها، وقال: لا يتوجَّب عليكِ أن تخافي!.. سأصمت، ولن أخبر أحداً عن جريمتك!

رفعت رأسها ونظرت إليه بريبة: لن تفعل هذا بدافع الطيبة، أنت تريد شيئاً مني بالمقابل!

كانت ابتسامته الخبيثة تكشف عن أنيابه الحادة، ولم يقل شيئاً سوى أنه لمس عروق رقبتها، ففهمت وابتلعت ريقها الجاف، ورجعت خطوةً حذِرة نحو الوراء: أنت تريد دمي!!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

كانت العربة تنطلق مسرعةً صوب العاصمة، ولاحت أطلال لورديور أمام عينيْ دليا، وأخذت مبانيها تكبُر شيئاً فشيئاً، كان ياني يُطلُّ من نافذة العربة، ويتأمل الأسطح الحمراء، وكان فاغراً فاهُ بسعادةٍ غامرة، فهو يعود إلى المدينة التي ينتمي لها، مدينة أصدقائه.

أمسكت دليا بيده واحتضنتها لتهدِّئ من توترها، فها هي ستنتقم أخيراً من العائلة التي قتلت والديها وشقيقها، وكانت تفكر بقلبٍ يشتعل حقداً: «سأفعل ما أستطيع، لأنتقم لروحك يا ألباين!.. وسأكمل ما بدأتَه!.. ظلّ آل بونيفيل يحاولون كتمان حقيقتهم البشعة، ويمارسون أعمالهم القذرة ويقتلون الآخرين بالخفاء، إلّا أنه آن الأوان، لتسقط أقنعتهم الزائفة، ويعرفهم العالم ويمقُتهم، ويتجرّدوا من مناصبهم وأملاكهم، بعد أن تنفِيهم الملكة من بانسيلينوس!».

❁❁❁

في جناح الملكة..

رفعت رأسها ونطقت بأوامرها الحازمة: قم بالإجراء اللازم، والذي يُعمل به مع أي متهم!.. كما يحق لها الدفاع عن نفسها وتفنيد التهم الموجهة إليها في المحكمة!

انحنى إيبير طاعةً، ثم ابتسم بارتياح، فقد انزاحت تلك العقبة من طريقه، الأفعى السامَّة والأميرة المتغطرسة التي كانت تهدد منصبه وتؤذي عائلته.

سألته أفروديت: من تكون تلك الجماعة الثورية؟.. هل هي المسماة بـ(الفيركولاس)؟

أجاب بنبرةٍ جادة: أجل، الفيركولاس، إنهم خطرٌ يهدد أمن بانسيلينوس!

شحبت أفروديت وفزعت بعد سماعها للتفاصيل المروِّعة التي حدثت ولا تزال تحدث في مملكتها، ثم نطقت بغضب: كيف يحدث هذا دون علمي؟!

وأرسلت على الفور رسولاً إلى رومبيانيا بأوامر لجيشها بالانسحاب والعودة العاجلة، مع إبقاء كتائب من الجيش لدعم أرجوس. ثم أمرت الدوق: قم بإرسال قوات الدفاع إلى أورانوس لردع الفيركولاس!

فحاول تحذيرها: جلالتك، أرجو ألّا تتسرعي وتخاطري بإرسال الجزء المتبقي من جيشنا إلى تلك المنطقة!.. فنحن أمام عدوٍّ مختلفٍ هذه المرة!.. سيقضي الفيركولاس على جنودنا في لحظات!.. إنهم يملكون قوىً خارقة لا يمكن لأحدٍ إدراكها!

ثم قال: ولكني عملتُ على خطةٍ لإنقاذ الموقف!

سألته بنفاد صبر: ما خطتك؟

أجابها: بالتازار يبحث عن شخصٍ مهمٍّ بالنسبة له، يدعى آرميل!

وفور سماعها لذلك الاسم، جلست أفروديت على مقعدها وأسندت ظهرها إليه، وأخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: أكمِل؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

اقتحم إيمانويل مقرَّ الفيركولاس، وطلب لقاء بالتازار بعد أن قتل العديد من جنوده

الذين اعترضوا طريقه، فوافق بالتازار على مقابلته، واتجه إيمانويل إلى الكهف مصحوباً بموكبٍ منهم.

وبعد أن عرَّف بنفسه بصوتٍ جهوري: أنا إيمانويل بن إدغارد بونيفيل!

قال بالتازار مشدوهاً: والدك هو أمير كروفستروفا، إدغارد بونيفيل، التقيتُه مرةً قبل وفاته، ودلَّني على جوهرتي الثمينة، كالغينيا!

نظر إيمانويل إلى الساحرة أخيراً، ثم قال: أجل، لقد علمتُ بأنكِ آخر من التقى بوالدي في بوليشولي!

ثم فاجأه بسؤالٍ جريء: أجبني يا بالتازار، هل لك يدٌ في مقتل والدي الجنرال إدغارد وزوجته هيلين بونيفيل؟

تعجَّب بالتازار، ثم قال بغطرسةٍ باسطاً يديه إلى جانبيه: إذا كنتُ أنا من قتلهما، فما الذي يمنعني من الافتخار بذلك؟

غضب إيمانويل من جملته، فأردف بالتازار: منذ مجازر كروفستروفا، أعلنتُ من خلال ثوراتي الحقد والعداوة لآل بونيفيل، لكنِّي أذكى من أن أقتل أحدهم الآن، فيمكن للأعداء أن يتحوَّلوا لأصدقاء، إذا كانت مصالحهم تصبُّ في الاتجاه نفسه!

ثم قال متهكِّماً: اذهب لتبحث عن ثأرك بعيداً يا إيمانويل!.. هل اقتحمت مكاني وقتلت جنودي لأجل أن تسألني عن أمرٍ كهذا؟!.. لا تظنَّ أني سأسمح لك بالخروج سالماً، إذا لم يكن لقدومك فائدةٌ لي!

ردَّ إيمانويل: ستدلُّني على قاتلهما إذاً!

بالتازار ضاحكاً: هل تظنني أحد خدمك؟.. انتهى زمن استعباد آل بونيفيل في كروفستروفا!.. وأصبحتُ أنا سيد العالم الجديد!

ابتسم إيمانويل بخبث: سأدلُّك على مكان زوي وآرميل بالمقابل، يا سيد العالم الجديد!

التفت بالتازار إلى كالغينيا فزِعاً، ثم حدّق في عيني إيمانويل بحدَّة، وتحفَّزَ جميع من بالمكان مترقِّبين لما سينطق به، وقد أدرك أنه أصاب الهدف، وأصبح ذا أهميةٍ لهم، فأردف قائلاً: أعلم بأنك تبحث عنهما منذ مدة، وأعتقد أنهما الأثمن من بين جواهرك!

ونظر إلى كالغينيا بابتسامةٍ ساخرة، قاصداً التقليل من شأنها، فسأله بالتازار: وكيف تتوقع مني العثورعلى قاتل والديك بالمقابل؟

قال إيمانويل وهو ينظر إلى كالغينيا: الساحرة يمكنها فعل هذا!

ابتسمت كالغينيا وقد فهمت اللعبة: لقد حاولتَ الوصول إلى الزعيم بالتازار لأجل استخدام قواي فقط!.. هل تعتقد أن السحر بهذه البساطة؟.. لا يمكننا معرفة الكثير من المجهول!.. لماذا بظنّك لم نعثر على المختارين آرميل وزوي بواسطة السحر حتى الآن؟

ردَّ إيمانويل: كما استطعتِ تحويل بشرٍ إلى مصاصي دماء، وصنع قلادةٍ تحمينا من الشمس، فباستطاعتك معرفة من قتل والديّ، إذا كان المختارَان بتلك الأهمية بالنسبة لسيدك!

نظرت كالغينيا إلى بالتازار الذي بادلها النظرات، ثم التفت إلى إيمانويل سائلاً: وما الذي يثبت لنا أنك تعرف مكان المختارَين؟

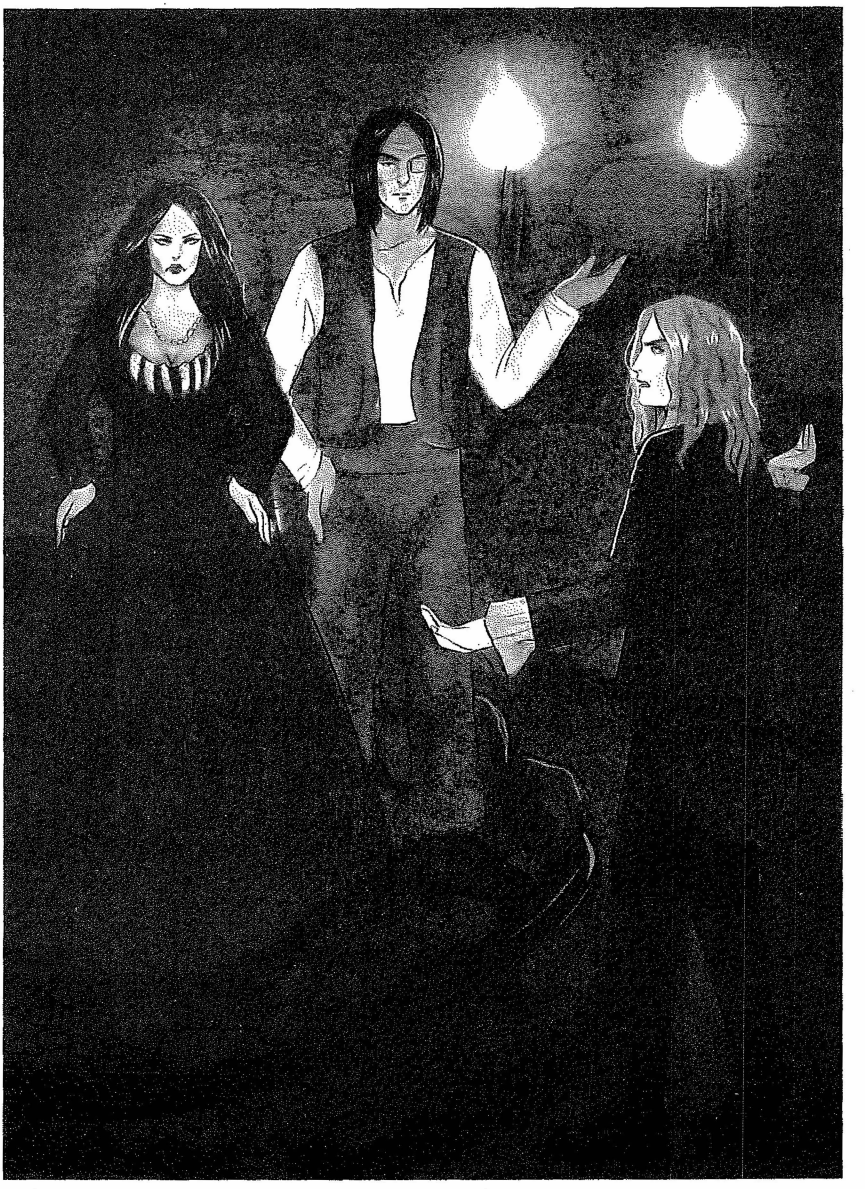

ابتسم إيمانويل بثقة، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة، وأخرج من ثيابه قطعة قماشٍ صغيرةً ملفوفةً بإحكام، وقدَّمها إلى كالغينيا، ففتحتها ثم التفتت إلى سيدها متعجبةً: شعرتان.. إحداهما سوداء، والأخرى.. حمراء داكنة!

نظرت إلى إيمانويل الذي لمعت عيناه بغرور، ثم اتجهت إلى النار، وسط صمتٍ وترقُّبٍ من الموجودين، وألقَت بالشعرتين في اللهب وهي تتمتم ببعض التعويذات، فتصاعدت الأدخنة بشكلٍ غريب، وتراجعت كالغينيا نحو الوراء في ذهول، ثم التفتت بسرعةٍ نحو بالتازار: إنهما تخصَّان آرميل وزوي فعلاً!!

نظر بالتازار إلى عيني إيمانويل وسأله بجدية: ربما تكون التقيتَهما فعلاً، ولكن كيف نتثبت من أنك قادرٌ على تسليمهما؟

ضحك إيمانويل وكان ينتظر هذا السؤال: أرسِل أحد رجالك الآن إلى البحيرة للتحقق، رجلاً واحداً فقط!.. وإلّا فستُلغَى صفقتنا، ولن ترى المختارَين أبداً!

أشار بالتازار لتابعه المخلص فيلمون بالذهاب، فركب فيلمون حصانه وانطلق مسرعاً إلى البحيرة، ثم عاد بعد برهةٍ قائلاً: رأيتُ آرميل فاقداً الوعي، ومقيداً بالسلاسل على ظهر حصان، وحوله سريَّةٌ من الجيش!

تفاجأ بالتازار، فأجاب إيمانويل دهشته: أجل، آرميل في قبضة الملكة الآن!

https://t.me/fantazynov

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الحادي عشر

«١١»

https://t.me/fantazynov

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في حديقة القصر الملكي..

انطلقت أفروديت فوق صهوة جوادها أتشاز، لتأخذ وقتاً مستقطعاً في عزلةٍ لترتيب أفكارها المتزاحمة ومشاعرها المتضاربة، بعد يومٍ عصيبٍ من تلقِّيها أخباراً مفجعة، كانت تفكر في مصير بانسيلينوس وفي القرارت التي اتخذتها..

«ما الذي يحدث لبانسيلينوس يا أبي؟.. هل تُراني أقوم بإنقاذها فعلاً، أم أنني أقودها نحو الهاوية؟.. وديميتير لا تتسبب سوى بالمتاعب، إنها تضعني في مأزقٍ الآن، لأختار بين عائلتي.. والعدالة!».

«كنتُ أظن أن انتصارنا على بيلزبيل سيكون بدايةً لاستقرار المملكة!.. ولكنَّ ظهور تلك المخلوقات، آخر ما كان في الحسبان!.. والدي، هل سأتمكن من السيطرة على الأمن، ويعود كل شيءٍ على ما يرام، أم أنها النهاية؟!».

«إنها النبوءة التي ذكرها آرتشيم!.. لا أصدق أنها تحدث الآن!.. إنها حقيقة!.. ذلك الكاهن، لم يكن كاذباً، فنبوءاته.. صحيحة!.. وهو يعرف المزيد!».

❁❁❁

في المعبد..

أشعل آرتشيم شموعه، وقام بتبخير الأروقة بعشبةٍ مقدَّسة، وانقشعت الأدخنة لتظهر الملكة أمام البوابة، وقد نزلت عن حصانها أتشاز لتدخل المعبد..

انحنى لها وقال بلباقة: زيارةٌ غير متوقعةٍ من جلالتها!.. كيف يمكنني خدمتكِ؟

وبدون مقدماتٍ سألته: أخبرتَنا ذات يومٍ عن نبوءة القمر الأحمر، ومخلوقاتٍ غير بشرية، هلّا أعدتَ سردها لي؟

فهِم آرتشيم سبب اهتمامها المفاجئ، فأجاب:

(عندما يتحول القمر إلى اللون الأحمر، سيظهر جنسٌ غير بشريٍّ على أرض القمر).

أطلقت أفروديت تنهيدةً وقالت: أعتذرُ لأني لم أصدق نبوءاتك أبداً، وكنتُ أحث والدي على تكذيبك، كنت أظن أنك لا تأتي سوى بالخرافات وتتظاهر بقدرتك على التنبؤ لتسيطر على والدي وتتمتع بالحظوة لديه!.. علي أن أعترف، بأني أصدقك الآن يا آرتشيم!

تفاجأ أرتشيم، ثم انحنى لها: لا يسعني سوى شكر جلالتكِ على منح هذه الثقة العظيمة لكاهن متواضعٍ مثلي!

ثم رفع رأسه وقال: أعتقد أنكِ سمعتِ عن الجيش الوحشي الذي ينتشر في وسط بانسيلينوس!.. وصلتني الأخبار هذا اليوم، فقد اجتمع الكهنة والسحرة لمناقشة هذه الفاجعة!.. كنا نتوقع ظهورهم مع حلول القمر الأحمر!.. ولكن يبدو أن تلك الكائنات كانت تخطط مبكراً!.. علينا الحذر جلالتك، فعندما يحين موعده، ستزداد قوتهم إلى أضعافها، وقد يستغلُّون ذلك الموعد لهجومٍ على العاصمة!

أجابته: لقد أرسلتُ أمراً إلى أرماند بالعودة!.. آمل أن ننتهي من كل هذا قبل حدوث الظاهرة الفلكية للقمر الأحمر!

نظر إلى عينيها وعضّ شفته السفلى بتوترٍ، بينما كان انعكاس شعلات المعبد يتراقص في عينيه، فالتقطت أفروديت نفساً عميقاً بعد أن فهمت أن الموعد قريبٌ جدّاً..

قال لها: وهل ستصدقينني إن أخبرتكِ عن شيءٍ آخر؟

سألته: تحدَّث؟

فقال: تراودني الشكوك منذ زمن، عن عائلة بونيفيل..

بدا الاهتمام على وجهها، ولمعت عيناها وكأنها تطلب منه الاستمرار بالحديث، فقال مُردِفاً: كنت ألاحظ شبابهم الطويل، إنهم لا يشيخون بسرعة، كما أن قوّتهم الجسدية عجيبة، وأيضاً، لاحظت مؤخراً تجنبهم لرائحة الثوم وامتناعهم عن تناوله، وهذه الصفات تندُر في البشر..

سألته: وماذا في ذلك؟

أجاب: قرأتُ مرةً في أحد كتب الأساطير القديمة، عن صفاتٍ مشابهة، وربطتُ بينها وبين تلك الأسطورة التي تقول:

(توجد مخلوقاتٌ متوحشة، تعيش في مكانٍ بعيد، قد تبدو جميلة المظهر، وتمتلك عقولاً كالبشر، لكنها تتغذى على الحيوانات، وعلى البشر).

سادَ صمتٌ رهيبٌ، ولم يعد يُسمع خلاله سوى صوت قطرات ماءٍ تسربت عبر جدران المعبد المتصدِّعة، وصوت مرور الهواء بين أعمدته الضخمة، وكأنه فحيحٌ يخرج من جوف أفعى.

نطق الكاهن: أجل، كان هناك طوال الوقت مصاصو دماءٍ حولنا.

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

قدَّم بالتازار عرضَه: بعد أن يُصبح المختارَان في قبضتي، ستحاول كالغينيا التوصُّل إلى قاتل والديك!

رفض إيمانويل العرض وقال بثقة: لن تستلم المختارَين، إلّا بعد أن أعرف القاتل!

فاقترح بالتازار: كلّا، سنعمل على المقايضة في الوقت نفسه إذاً!

انفعلت كالغينيا: ولكن يا سيدي، لا يمكنني أن..

قاطعها بالتازار آمراً: ستجدين وسيلةً لذلك!

مدّ إيمانويل قنِّينةً صغيرةً إلى كالغينيا، وقال: هذه حفنةٌ من رماد والديّ، قد تساعدك!

ثم نظر إلى بالتازار وقال بنبرةٍ صارمة: وحتى تتم المقايضة، عليك أن تسحب جنودك أولاً من أورانوس!.. إني أنقلُ لك هذه الأوامر باسم الدوق إيبير بونيفيل!

تفاجأ بالتازار، ثم ضحك: لمَ احتفظت بهذا الشرط حتى النهاية؟.. لقد وضعت مصالحك الشخصية قبل مصلحة المملكة!

ثم خطا نحوه ودنَا من وجهه حتى شعرَ إيمانويل بأنفاسه، وقال: أنا أفهم خُبثك جيداً يا إيمانويل!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

وصلَت دليا مونبيتيت إلى القصر، وطلبَت لقاء الملكة لأمرٍ عاجلٍ، وبعد إلحاحها على الحراس، اضطر بارنباس للقائها قائلاً: آنسة دليا مونبيتيت، نُقدِّرُ السبب الطارئ الذي أتيتِ لأجله من مولنيا، ولكنَّ جلالتها الآن في اجتماعٍ مهمٍّ مع دوق لورديور، نطلب منكِ الانتظار حتى تُنهي اجتماعها وسنرتِّب لكِ لقاءً عاجلاً معها!

قالت بنبرةٍ جادة: الأمر لا يحتمل التأجيل، فالمملكة في خطر!!.. يجب أن أتحدث معها، حالاً!

ذهل بارنباس ورافقها إلى جناح الملكة، وبعد أن سمحت لها أفروديت بالدخول، فُتح لها البابِ ذو المِصراعَين، فوجدت الدوق إيبير يقف مع الملكة، بوجهٍ متجهِّم. نظرت دليا إليه بحذر، وقالت بعد أن ألقت التحية: أعتذر عن إزعاج جلالتك، قدِمتُ من مولنيا على عجل، أرجو أن تسمحي لي بالحديث معكِ على انفرادٍ، فالأمر مهم!

أمرَت الملكة الدوق بالانصراف، فرمَق دليا بنظراتٍ متوجِّسةٍ أثناء خطوِه نحو الباب، وبعد أن غادر، قالت أفروديت بتساؤل: قطعتِ كل هذه المسافة من مولنيا آنسة مونبيتيت، وقد كسَر بارنباس القواعد باستضافتك في جناحي، ولم ترغبي بالحديث أمام دوق لورديور أيضاً، لذا أظنُّ أنها مسألةٌ حرجة!.. تفضَّلي بالحديث!

قدَّمت دليا الرسالة قائلةً: وصلتني هذه الرسالة من أحد الأصدقاء المخلصين لوالدي، لقد تم تحويله من قِبل الفيركولاس إلى مصاص دماءٍ أثناء حصار أورانوس!.. وتكشفُ رسالته عن قدراتهم الخارقة!.. الأمر مخيفٌ، جلالتك!

شرعَت أفروديت بقراءة الرسالة باهتمامٍ شديد، بينما نطقت دليا بالجملة الأكثر أهمية: عليكِ أن تحذري من آل بونيفيل، جلالتك!

رفعت الملكة رأسها بعد أن قرأت السطر الذي يتحدث عن آل بونيفيل: أتقصدين أنهم مصاصو دماء؟

أومأت دليا برأسها مقطِّبة الجبين، ومرَّت لحظة صمتٍ مَهيبة، إلى أن نطقت الملكة: أنا أعلمُ عن هذا!

صُدِمت دليا وشعرت بخيبةٍ عظيمة: ماذا؟!

قرأت أفروديت آخر أسطرٍ كتبها أليكسيو:

(أقترح على الملكة أن تتحالف مع آل بونيفيل قبل أن يفعل بالتازار، فبدون قوتهم كمصاصي دماء.. لا يمكن للملكة القضاء على الفيركولاس.)

ردّت أفروديت: أنا ممتنةٌ لكِ ولأليكسيو، أقدِّر ولاءه ونصيحته الثمينة هذه، لقد تحالفَت بانسيلينوس بالفعل مع عائلة بونيفيل، وقد عرض علي الدوق إيبير هذا لتوِّه، بعد أن أفصح عن سرّ عائلته، مُبدياً نية عائلته المسالمة ورغبتها بالتحالف مع البشر ضد الفيركولاس.

ثم قالت وهي تشير إلى الرسالة: لكنَّ هذه المعلومات ثمينةٌ جدّاً!.. ستكون ذات فائدةٍ لقوَّاتنا!.. أشكر لكِ حرصكِ وولاءك، دليا مونبيتيت!

انحنت لها دليا: هذا واجبي، جلالتك!

قالت أفروديت بعد أن لاحظت الخيبة على وجه الفتاة: دليا مونبيتيت، أعلم بأنكِ تمرّين بأوقاتٍ صعبة، أُقدِّم لكِ أحرَّ التعازي، لقد خدم شقيقكِ السيرجنت ألباين بانسيلينوس بإخلاص، وستُكرَّم روحه مع أرواح القتلى في مراسم الحداد، أتمنى أن تبقي في لورديور إلى حين عودة الجيش لتحضري المراسم!.. سأوفِّر لكِ إقامةً مريحةً

كتعبيرٍ عن شكري لولائك!

انحنت لها دليا بوجهٍ شاحب، وقلبٍ مكلوم، وجراحٍ لم تُشفَ بعد.

عودةً للوراء، عندما تم القبض على الأميرة ديميتير، وطلبت رؤية الملكة، دار حديثٌ قصيرٌ بينهما:

{التفتت أفروديت لتغادر الجناح بعد أن ندِمت على حضورها، إلّا أنها توقفت عندما سمِعت أختها تقول: انتظري!.. سأسدي لكِ معروفاً إن أنصتِّ إليّ!

أردفت ديميتير: سأخبركِ عن آل بونيفيل الذين وثقتِ بهم وسمحتِ لنفوذهم بالامتداد إلى إدارة مملكتك، أفراد تلك العائلة ليسوا بشراً، إنهم مصاصو دماء!!.. نعم، إنهم كائناتٌ متوحشة، تقتات على الدماء!

قالت جملتها الأخيرة بنبرةٍ مُتهكِّمة، وكأنها تعلم بأنها ضربت ضربتها القاضية، ولعبت على الوتر الحسّاس في وجدان أفروديت، التي وقفت أمام الباب بشحوب، ثم طرقته لتأمر الحُرّاس بفتحِه، وخرجت بخطواتٍ سريعة نحو جناحها.

وبالرغم من كون آرميل جاسوسها السرّي الذي أخبرها عن حقيقة آل بونيفيل، ومن بعدِه الكاهن أرتشيم. إلّا أنها وافقت على خطة إيبير باستخدام آرميل كوسيلة ضغطٍ على بالتازار ليسحب قوّاته من أورانوس.

نظرت إلى عيني الدوق وقالت: قبل سنوات، ذكَر الكاهن أرتشيم أسطورةً قديمةً لوالدي، وكانت تحكي عن مخلوقاتٍ متوحشة، تبدو كالبشر، ولكنها تتغذى عليهم، ويقال.. على دمائهم تحديداً!.. إنها تنطبق على الفيركولاس، ولكن، أتساءل إن كانت عائلتك تعرف شيئاً عن هذه الأسطورة؟

خفض الدوق ناظريه وقال: أظنُّ أنكِ تعرفين الإجابة سلفاً، جلالتك!

قالت بنبرةٍ قوية: أجل، فلا يمكن أن يخفى علي شيء!

ثم سألت بريبة: لماذا خبَّأت عائلتك أمراً كهذا منذ قدومها إلى بانسيلينوس؟

أخبرها الدوق عن القسَم، وعن موطنهم البعيد.. كروفستروفا، وطلب منها العفو والثقة بولائهم لها، قائلاً: سندعم جيشكِ في القضاء على بالتازار، فبانسيلينوس هي موطننا الجديد، لقد أقسَمنا بشرف عائلتنا، أننا لن نؤذي البشر، وسنتعايش معهم بسلام.}

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

علِمَت أغلاي عمَّا حلَّ بحاميتها ديميتير، وأدركت أنها فقدت وسيلتها الوحيدة للصعود عبر سلالم العالم الأرستقراطي، وأنها لن تنال دعم الأميرة بعد الآن، وربما لن تراها مجدداً. إنها محاطةٌ بالأعداء الكارهين، فالكل يتمنون سقوطها، ولم يعد هناك من يسند ظهرها سوى إيانويل، وأصدقائها البعيدين، ولم يكن ينقصها في ذلك الوقت، سوى استغلال بيلموت لضعفها.

اقترب منها قائلاً بهستيرية: أنا عطِش، ولن أتوقف عن العطش!.. وسأشرب دماءكِ كل يوم!.. اعتادي على هذا، فأنتِ من ألقيتِ بنفسكِ في هذه المصيدة، عندما دخلتِ لمنزل مصاصي الدماء!

ثم قال بنبرةٍ مهددة: إذا فكرتِ أن تفتحي فمك، فسأُخبر الجميع عمَّا فعلتِه!

استسلمت على الفور، ومدّت معصمها إليه، بعد أن التفتت إلى الناحية الأخرى، وأغمضت عينيها، لتهرب إلى عالمٍ آخر، عالمٍ لا تشعر فيه بشيء، ولا ترى فيه سوى ضحكات أصدقائها السعيدة، وقفزاتهم المرحة، وهم يغنون تلك الأغنية، التي تسلِّي قلبها، بلحنها الدافئ، وكلماتها الحزينة:

(أتينا من كل مكان.. أصبحنا إخوةً ولا دم يربطنا.. سوى أننا نتشارك في المصير..

نحن الأزهار الجياع.. لا نملك غير ابتسامتنا البريئة.. لنُهديكم إياها..

فهل يمكنكم جعلنا نستمر بالابتسام؟).

وأثناء هربها لذلك العالم الذي انتشلها بعيداً عن الشعور بألم تدفق الدم من معصمها، كانت تفكِّر: «كنا نتوسل إلى الآخرين ليمنحونا الابتسامة، كما لو كانت سعادتنا بأيديهم، وكأنهم يُبَالون إن ضحكنا أو بكينا!.. ليتنا كنَّا نعلم أي مصيرٍ سنواجه، وإلى أين ستأخذنا الحياة، لم يكن يقلقنا شيء.. سوى جمع المال وغضب أبراكساس، ولم نكن نتخيل شيئاً سوى أحلامنا البسيطة.. التافهة!.. كَبرنا وفهمنا، أن العالم أسوأ وأقسى.. مما كنا نتصوّر!».

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

اتخذت القوات البانسلية تشكيلة حرس المقدمة، وثلاث قواتٍ رئيسة تشمل الجناح الأيمن والأيسر وقوات الوسط، إضافةً إلى حرس المؤخرة، وكانوا يتقدَّمون بثقةٍ عالية، ولكن عندما وصلوا إلى مشارف كليوزهيست، ورأوا ذلك الخط البشري العظيم الممتد إلى ما لا نهاية، حبسوا أنفاسهم، لأن لحظة الالتحام قد حانت.

دارت المعارك الدامية لعدة أيام على طول خط الدفاع الممتد أمام كليوزهيست، وكان الجنود أثناء الالتحام يُذكِّرون أعداءهم بما فعله بيلزبيل بعائلاتهم:

- كيف تقاتلون لأجل ظالمٍ أهان شعبكم ونهب أراضيكم؟

- أنتم تحاربون الوريث الشرعي لهذه الأرض، أنتم تقفون ضد منقذكم!

- الأمير أرجوس جاء ليخلصكم من ظلم بيلزبيل!

ألقوا بتلك العبارات على أسماع الرومبيانيين، ليُزعزعوا ثقة العدو في غايته، ولكنَّ القوات البانسلية واجهت مقاومةً عنيفة من قِبل الرومبيانيين الذين أوقفوا تقدّمهم، فخسِر البانسليون ما يقارب ألفيْ جندي على مدار أيامٍ من القتال، وتبقّى ما يقارب ثمانية آلافٍ منهم فقط.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

فُتحت زنزانة أليكسيو وتم اقتياده إلى بالتازار الذي قال له: لعلَّك تساءلت لمَ أبقيتُ على حياتك رغم خيانتك العظمى، وتهريبك للرهائن!

ثم ابتسم بهدوءٍ قائلاً: سأجيب على تساؤلاتك، وأخبرك بأني معجبٌ بمهارتك القتالية، وأنوي تعيينك قائداً للفرقة المكلَّفة بإعادة المختارَين!.. ستُثبت ولاءك لي من خلال أدائك لهذه المهمة، وإن أخفقت، فستواجه حكم الإعدام كبقية الخونة!

قطعت كالغينيا حوارهما عندما دخلت مسرعةً ونظرت إلى بالتازار بفخر: سيدي، سأُريك شيئاً سيُذهلك!.. أخبرتك سابقاً بأنني توصَّلتُ إلى اكتشاف وسيلةٍ من خلال السحر، وكانت تتطلب وقتاً، إلَّا أنها أصبحت جاهزةً الآن!.. إنها أعجوبةٌ قد تمكننا من السيطرة على العالم، فلا يمكن لأحدٍ الهرب والاختباء منا بعد الآن!.. قمتُ بتجربتها وأثبتت نجاحها، وسأريها لك الآن!

ثم أخرجت زجاجةً تحوي شعرتيْ آرميل وزوي الحقيقيتين، وقالت: لقد استبدلتهما بخفة يدٍ لأتظاهر بإلقائهما في النار أمام إيمانويل، ولكنَّ ما وضعته في النار كان زائفاً، بما في ذلك الأبخرة التي تصاعدت فجأةً، كل ذلك الأداء المسرحي، كان لإيهام إيمانويل بأننا في حاجةٍ إلى مساعدته، حتى تستفيد يا سيدي من تحالفك معه.

أومأ لها بالتازار بابتسامةٍ مُعجبة، ثم وضعت كالغينيا الشعرتين في محلولٍ لزج، وقرأت

تعويذةً طويلة، امتزجت بجوٍّ متوترٍ من الترقب، وما لبثت أن سكبت المحلول على الخريطة، لتتضاءل جزيئاته، وتتركَّز في منطقتين، عاصمة رومبيانيا، كليوزهيست، وغابة ميقالوس.

رفعت رأسها ونظرت إلى بالتازار بجدية: زوي موجودةٌ في كليوزهيست الآن، ولا يوجد سوى تفسيرٍ واحدٍ لهذا، إنها تعمل في الجيش!.. أما آرميل يا سيدي، فلا يزال عند البحيرة، كما أكَّدَ مشاهدته فيلمون!

ابتسم بالتازار بانتصارٍ وإعجابٍ ببراعة ساحرته، وبالحظ الذي ساق إيمانويل إليه، ليحلَّ أكبر معضلةٍ كان يواجهها، ثم أمر بقصِّ خصلةٍ من شعر أليكسيو الأبيض، وقدَّمها إلى كالغينيا لتحتفظ بها في زجاجةٍ مغلقة، والتفتت إلى أليكسيو مهددةً: أظنُّك تعلم الآن بأن الهرب ليس خياراً، فقد شاهدت كيف سأجدك!

ذهل أليكسيو بعد سماعه عن زوي، وفهم أجزاء الأحجية المتناثرة، لتصبح القصة مكتملةً في ذهنه: «كانت زوي تهرب من الفيركولاس عندما وجدتُها في جبال أثانسيا!.. مكثت معي لتختبئ منهم، وغيَّرت مظهرها وهويتها لهذا السبب!».

نظر إليه بالتازار: ابدأ بتنفيذ مهمتك يا أليكسيو!.. أريد أن أرى آرميل وزوي أمامي!!.. الحق بإيمانويل بونيفيل، واجلب آرميل إلى هنا!

كانت تلك أصعب مهمةٍ كُلِّف بها الجندي السابق أليكسيو، إنها الفتاة التي قام بمساعدتها وتدريبها، ومنحها اسم ابنه الراحل.. ليون!

❁❁❁

وفي الناحية الأخرى من الغابة..

نظر أندريون إلى الفارس القادم من بين الأشجار، فنقال منبِّهاً: لقد عاد إيمانويل!.. هيّا بنا!

نهض آرميل وفكَّ قيوده المزيفة، وركب حصانه استعداداً للعودة، والتفت إلى إيبانويل سائلاً: هل نجح الأمر؟

ابتسم إيبانويل: كانت مسرحيةً رائعة، نجحت خطتك يا آرميل، فوجودك كرهينةٍ للملكة كان طُعماً ابتلعه بالتازار بسهولة!

كان الدوق إيبير ينوي استخدام آرميل كوسيلةٍ لإيقاف زحف بالتازار، وكطعمٍ ينتصر بواسطته جيش الملكة على الفيركولاس، ولكن لم يكن أحدٌ يعلم عن الاتفاق الذي عقده إيبانويل سرّاً مع بالتازار، لأجل مصلحته الشخصية، متلاعباً بسير الخطة التي قام الدوق بتكليفه بها.

قال إيبانويل: نحن مراقَبُون، وبالتأكيد سيُرسِل بالتازار من يتعقَّبنا!.. اذهب للاختباء يا آرميل في المكان الذي اتفقنا عليه، وسأرسل لك عندما تهدأ الأمور.

انطلق آرميل بحصانه مسرعاً وبصحبته جنديان، ثم التفت إيبانويل إلى أندريون: يجب أن ننفصل يا أندريون ونسير في اتجاهين متعاكسين لتشتيت الفيركولاس وتغطية ظهر آرميل!

فافترق الاثنان وانقسم الجنود الذين يرافقونهما، وتعمَّد إيبانويل تضليلهم والانفصال عنهم تماماً، وبعد أن أصبح بمفرده، توقف فجأةً ونادى: أعلمُ بأن بالتازار أمرك بتعقُّبنا!.. اظهر الآن وواجهني مباشرةً إن كنتَ شجاعاً!

ولكنَّه لم يسمع سوى صدى صوته، وحفيف الأشجار من حوله، ولم يظهر أحد، فنزل عن حصانه وقرر الهجوم بسيفه بعشوائيةٍ على الأغصان، ولكنه لم يجد سوى الحيوانات الهاربة من ضرباته، فاستمر بذلك إلى أن تمكَّن أخيراً من إصابة الهدف، فظهر له أليكسيو شاهِراً سيفه: لم آتِ لقتالك، لورد إيبانويل!.. لا تضطرني لهذا!

وقف إيبانويل أمامه بغضب: لا أسمح لبالتازار أن يلعب معي هذه اللعبة القذرة!..

وعدتُه أن أسلِّمَه مبتغاه عندما يقدِّم لي ما طلبت، لا أن يحاول الوصول إلى المختارَيْن بطرقٍ ملتوية!

قال أليكسيو: اعذرني أيها اللورد، أنا أنفذ الأوامر فقط!

إيمانويل مهدداً: عُد إلى سيدك وأخبره بأنه لن يحصل عليهما حتى أعرف هوية قاتل والديَّ، إدغارد وهيلين بونيفيل!

ذهل أليكسيو، وكان يعرف بأن إدغارد بونيفيل هو من هدد الجنرال أركاديوس مونبيتيت قبيل مقتله، فأرخى سيفه، ثم قال بجدية: بالتازار ليس بسيّدي، وحياتي مهددةٌ من قِبله، إن لم أنفذ هذه المهمة!.. لذا أنا أطلب تعاونك، لورد إيمانويل!

ابتسم إيمانويل بسخرية: لا أعقد الصفقات إلَّا مع الزعماء!

وقبل أن يركب حصانه، استوقفه أليكسيو بنبرةٍ جادة: لقد خدعَتك كالغينيا!!

توقف إيمانويل والتفت إليه، فأردف: الشعرتان!.. لقد وضعَت كالغينيا الشعرتين في محلولٍ ما، ثم سكبته على الخريطة أمام عينيّ!.. واستدلَّت بذلك على مكانهما، وعرفَت بأن زوي في رومبيانيا!

ابتسم إيمانويل بتعجُّب: لقد أحرَقت كالغينيا الشعرتين أمام عيني!.. هل أرسلك بالتازار لتتلاعب بي؟

ولكنَّه لاحظ الجدية على وجه أليكسيو عندما قال: من الأفضل لك أن تصدِّقني، كنتُ بشريّاً قبل أيام، وقام بالتازار بتحويلي دون إرادتي، أنا لا أنتمي إلى الفيركولاس، ولستُ أحملُ الولاء لبالتازار!.. أريد القبض على آرميل فقط لكي أنال حريتي!

اختفت ابتسامة إيمانويل، وسأله بازدراء: ولِمَ تعتقد أني مهتمٌّ بولائك وماضيك؟

ضيَّق أليكسيو عينيه وقال بثقة: ربما يهمُّ إذا عرفتَ بأنني كنتُ على معرفةٍ شخصيةٍ بزوي، المدعوة بـ (ليون)!.. في الواقع، أنا من درَّبها على السيف، ومن أطلق عليها

ذلك الاسم!.. لذا لا يمكنني إيذاؤها!

ثم قال بثقة: وستهتم أكثر إن علمتَ بأني الوحيد الذي يعرف هوية قاتل والديك، وسأخبرك عنه.. إن تركتني أمسك بآرميل!

عندها اعتدل إيانويل في وقفته، ولمعت نظرةٌ عميقةٌ ومستفهمةٌ في عينيه، وأدرك أنه استهان بهذا الجندي الماثل أمامه، فرغم بساطة مظهره، إلَّا أنه ليس شخصاً عاديّاً، إنما هو كنزٌ ثمينٌ يجدر به أن يكسبَه.

❁❁❁

بعد يومين..

(مملكة تشيستوتا)

استلم الملك رودولف رسالةً عاجلةً من الملكة أفروديت، تطلب منه التحالف ضد الفيركولاس، وإمدادها بقوات دعمٍ من جيشه، موضِّحَةً بأن البشر يجب أن يقفوا صفّاً واحداً ضدَّ الكائنات المتوحشة التي تنوي السيطرة على عالمهم، وأنه إذا تمكّن الفيركولاس من الاستيلاء على بانسيلينوس فسيواصلون الزحف إلى تشيستوتا. فأرسل لها ردّاً بموافقته على هذا التحالف، ووعدها بتقديم الدعم العاجل.

❁❁❁

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

كانت داناي تُرافق غيلبرت على ظهر حصانه، وتحدَّثا طوال الرحلة، أخبَرته بقصَّتها وبداية ذكرياتها، حيث غابات الشرق ومُنقذها المجهول، وعن قسوة أبراكساس وضياع المتسولين من بعده، ثم حياتها كخادمةٍ وفلَّاحةٍ لآل مونبيتيت، وانتهائها باحثةً عن ذاتها عبر المخاطر والأراضي الشاسعة.

وحدَّثها غيلبرت عن زياراته القديمة لمنزلها، ولعبِهما في الحديقة، ووعدهما الطفولي،

وعن عشقه لها وانتظاره بلهفةٍ لليوم الذي يحقق به ذلك الوعد. لكنَّه أبدى تفهُّمَه بعد أن اعتذرت منه لعدم تذكُّرها لذلك الماضي، وطلبت منه إمهالها وقتاً لاستيعاب حياتها القادمة، واستعادة ذاكرتها.

فقال: لا أطلب منكِ أن تتذكَّري يا أندرونيكا، ولن أرهقكِ بمشاعري فوق الإرهاق الذي تمرِّين به!.. أريد أن أراكِ سعيدةً الآن مع عائلتك، فقط!.. وسأعود لزيارتكِ حينما تهدأ الأمور!

ثم أشار إلى المنزل الذي لاح لهما من بعيد، وقال بنبرة حنين: ذاك هو منزلك!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

وبرغم تضاؤل أعداد الجند في جيشه، إلَّا أن أرماند قرر الاستمرار في محاولة تدمير الخط البشري الذي وضعه بيلزبيل أمام العاصمة، وبإصرارٍ من الأمير أرجوس، تمكَّن الجيش البانسلي من صُنع ثغرةٍ في صفوف الرومبيانيين، والتقدُّم نحو كيلوزهيست مباشرةً ثم اقتحامها، كانت شوارع المدينة خاويةً من الحياة، فقد كان السكان يختبئون ذعراً من الحصار الذي وضعه بيلزبيل عليهم، ويلتزمون الصمت خوفاً من إعدامهم بتهمة الخيانة، إلّا أنهم لم يقاوموا مشاعرهم فور رؤيتهم لموكب الأمير أرجوس عبر شقوق النوافذ المغلقة، وبدأ يُسمع صرير تلك النوافذ الخشبية المتآكلة وهي تُفتح شيئاً فشيئاً، في ترقُّبٍ للموكب العسكري المهيب. جنودٌ ملطخون بالدماء، يتقدمهم أرجوس فوق حصانه الأبيض، الذي أخطأه مرةً بحصان معشوقته الجميلة أفروديت، تلك الملكة القوية التي جعلت حلمه يتحقق أخيراً، بعبوره طرقات كليوزهيست فاتحاً، وتحركت خصلات شعره البنية الداكنة مع نفحة هواءٍ رومبياني، يحمل عبق الوطن، فهمس: كليوزهيست!..مدينتي الرائعة، لا تزال كما هي!

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

في منزل آل بيلغرين..

سادت لحظة صمتٍ عجزت عنها الكلمات، واحتبست بها الأنفاس، عندما فتح ألبرت بيلغرين الباب بعد طرقات غيلبرت الخفيفة، حيث قدَّم نفسه لألبرت ثم أشار نحوها، وخرجت السيدة بيلغرين وابنتها ميليسا، وتوقفت خطواتها السريعة عندما انتبهتا لوقوف ألبرت المفاجئ، ثم التفتتا إلى حيث ينظر.

كانت داناي تقف برهبةٍ وانزواء، تضمُّ يديها بعضهما لبعض لتُهدِّئ من توتّرها ورعشتها، وبدَت عيناها العسليَّتان مُتحفِّزتين، كطفلٍ يحاول اكتشاف العالم. شاهدت انعكاس ذاتها في أجمل حُلَّة، وأفخر ثياب، وبأكمل صحَّة، واقفةً على باب المنزل، وتُبادلها النظرة المندهشة. إنها توءمتها التي أخبرها عنها غيلبرت، ميليسا، والتي حظيت بحياة الترف والدلال نيابةً عنها، بينما كانت هي تهيم في طرقات لورديور القذرة، وتقطف الثمار تحت أشعة شمس مولنيا الحارقة، وتهرب عبر أدغال ميقالوس من أجل النجاة. كانت حياتاهما متضادتين كالأبيض والأسود، ومتناقضتين كالليل والنهار، وها هما الآن تتحدان كتجانس اللون الرمادي، وتناغم الغروب.

❁❁❁

وفي منتصف الليل..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في ليلةٍ باردة، لم تكن تتوقع.. أنها ليلة البداية.. لنهاية كل شيءٍ جميلٍ تبقَّى لها، أطلَّت أغلاي من شرفتها، وتفاجأت بإيمانويل يعبر الحديقة وقد عاد لتوِّه من رحلته الطويلة، رفع رأسه ونظر إليها بابتسامته الهادئة، فالتفتت لتجد فيوليت غارقةً في النوم، وتحرَّكَت بحذرٍ لترتدي وشاحها وتخرج إليه.

احتضن خصرها وقبَّلها، فقالت بشغف: قبِّلني أكثر يا إيمانويل، فقد اشتقت إليك كثيراً!

إيمانويل: سنتبادل القبل حتى الصباح يا آنستي!.. لا تخافي، فإنني لن أبتعد عنكِ ثانيةً، ولن أترك هذا الجمال وحيداً تحت ظلمة الليل!

سألته عن أندريون وآرميل، فقال: لقد سبقني أندريون بدخول المنزل، وآرميل يختبئ في مكانٍ آمن!

جذبته معها إلى الداخل: الطقس بارد، هيا بنا!.. هناك مفاجأةٌ لك!

فتح باب حجرته ليُفاجأ بوجود معطفٍ أحمر وضِع بعنايةٍ فوق سريره، ووقفت أغلاي خلفه بخجل: قمتُ بحياكته لك، أتمنى أن يكون مناسباً!

التفت إليها مذهولاً، فساعدته على ارتدائه، ثم وقفت إلى جواره محتضنةً ذراعه بينما تحدِّق به عبر المرآة: يبدو جميلاً!

إيمانويل متأملاً مظهره بإعجاب: لأنه صُنع بواسطة يدين جميلتين!

ثم ضم يديها بيديه وانحنى ليقبلهما قائلاً: أشكركِ، آنستي!

نفذت رائحة دمها إلى أنفه، فأبعد يديها ورفع رأسه لينظر إلى عينيها، كان يحاول مقاومة رغبته في شرب دمها، لكنَّها مدَّت يدها إليه، لتسمح له بالشرب منها، وأخفت يدها الأخرى خلف ظهرها، تلك اليد التي تحمل آثار أنياب بيلموت، وبعد أن ارتوى إيمانويل من دمها، مسح فمه ونظر إليها، وقد بدأ يشعر بطاقةٍ عجيبةٍ تنبعث من جسده، وبأن قوَّته تضاعفت، فقال في نفسه: «أصبحتُ أعي جيداً سبب ولعك بدماء البشر يا بيلموت!».

فتح ذراعيه واحتضنها بقوة، ولاحظ أنها لا تزال ترتدي الوشاح حول كتفيها، فحاول إزاحته قائلاً: المنزل دافئ!

واستغرب عندما تشبثت بالوشاح قائلةً: لا أزال أشعر بالبرد!

تسلل الشكُّ إلى نفسه، فحاول إزاحة طرف الوشاح خلسةً أثناء احتضانه لها، ليسترق النظر أسفله، وبالفعل، رأى ما كان يخشاه، ولاحظ آثار العضِّ على رقبتها!.. كانت تخونه في غيابه، والآن تبتسم له وتحتضنه بكل جرأة، فصُدم وغضِب، ولكنه آثر الصمت.

❁❁❁

في سجن لورديور..

تمكَّنت تيرزي من زيارة ديميتير سرّاً في زنزانتها، ونظرت إليها باكيةً: سمو الأميرة!.. يا إلهي لا أصدق كيف وضعوكِ هنا!.. هل تأكلين جيداً؟ هل تنامين جيداً؟

أجابتها ديميتير بانفعال: ماذا تعتقدين يا تيرزي؟!.. بالطبع لا آكل ولا أنام في هذا المكان القذر!!.. ألا ترين مظهري؟!.. ألا تشتمين رائحتي؟.. انظري إلى ثوبي كيف يبدو متسخاً!!

بكَت تيرزي: أوه، أميرتي الصغيرة!.. كيف يفعلون هذا بك!.. كنتُ أحاول زيارتكِ ولكنَّهم لم يسمحوا لي، فأعطيتُ أحد الحراس بعض المال ليساعدني على الدخول!

ديميتير آمرةً: أخرجيني من هنا!.. أرسلي للكونت أرماند كي يساعدني، فأنا هنا بسبب جريمته!

ارتبكت تيرزي من غضب سيدتها وهزَّت رأسها موافقةً، وقالت: سأحاول مساعدتك سمو الأميرة، فقط تحمَّلي أكثر، أرجوكِ، خذي هذا الطعام الآن!.. يا إلهي كم تبدين منهكة!

أكلت ديميتير الطعام بنهمٍ وقالت: أحضري لي المزيد، لا يمكنني تناول طعامهم الرديء!!.. أخبري أفروديت الحقيرة بأن تعاملني كأميرةٍ بينما لا أزال في السجن!

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

اجتمع إيانويل وأندريون مع الدوق إيبير، ليزوِّداه بتقريرٍ عن رحلتهما، وأخبرهما إيبير عن قرار الملكة بمواجهة الفيركولاس، وعن ما فعلته الأميرة ديميتير في محاولة قتلها لباربرا.

ثم قال: كما أنها متهمةٌ بتمويل الفيركولاس!

استنكر أندريون: ما مصلحة ديميتير في دعم مصاصي الدماء ضد البشر والمملكة؟

أجاب إيبير: طمعها بالعرش!

فردَّ أندريون مستنكراً: إنها تدمِّرُ العرش وتُبعِد فرصتها في الوصول إليه، لأن بالتازار يطمع لإنشاء مملكته الخاصة، والتي تتطلب إبادة البشر!.. الأميرة ديميتير ذكيةٌ ولا أظنها ستقوم بشيءٍ كهذا!.. أظنُّ أن هناك مؤامرةً تُحاك ضدَّها!

ردَّ إيبير بعد أن انزعج من تطفُّل ابنه: لا يمكن التنبؤ بتصرفات تلك الأميرة، لذا فكل شيءٍ متوقعٌ منها!.. وستُثبِت مُحاكمتها الحقيقة!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

في قصره، انهار بيلزبيل وضرَبَه الجنون، فلم يُفلح أيٌّ من جهوده لصدِّ جيش أفروديت وأرجوس، فأمر بجلب شقيقه تريتون ليجثو مُرغماً أمام قدمَيه بإذلال، رفع تريتون رأسه ونظر إلى عيني شقيقه الملك اللتين كانتا متسمِّرتين نحوه دون حراك، كانتا باهتتين وشديدتي الجفاف، تنعدم فيهما لمعة الحياة، وبدا وجهه كتمثالٍ عتيقٍ يوشك أن يسقط فوقه ويهشِّم رأسه. كان تريتون يعلم بأن هذا اليوم هو أسوأ أيام حياته وربما آخرها، فلن ينجو من بطش شقيقه، الذي فعل المستحيل لأجل هذا العرش.

لم يتحدث بيلزبيل كثيراً، واكتفى بجملةٍ قصيرةٍ تأمر بإزاحة شقيقه تريتون عن منصبه

كقائدٍ للجيش، وتجريده من ألقابه وأملاكه كعقوبةٍ له على فشله في حماية رومبيانيا من الأعداء، ونظر إلى نفسه في المرآة أثناء قيام الخدم بإلباسه الدرع الحديدي، ونطق: أخطأتُ بترك مصير رومبيانيا في يديك، ولو لم تكن أخي لأمرتُ بإعدامك الآن!

ظلّ تريتون جاثياً على الأرض وفوقه ثلاثة حرّاسٍ يُرغمونه على خفض رأسه، إلّا أنه تجرَّأ وقال ساخراً: لا يمنعك شيءٌ يا بيلزبيل، ولا حدود لبطشك، لقد قتلتَ شقيقنا هيروديون!.. فما الذي يمنعك من قتلي الآن؟.. أنت تعرف مقدار ولائي لك، لهذا أبقيتَ على حياتي، أنتَ تحترم رابطة الولاء، لا رابطة الدم!

قرر بيلزبيل قيادة الجيش بنفسه، والتقط خوذته واحتضنها تحت ذراعه، ومشى بضعَ خطواتٍ ملكية، ليقف أمام تريتون وينظر إليه بجمود، ثم نطق: كان من الأفضل لو سيطرتَ على لسانك، أعدِموه!

ثم اعتمر الخوذة فوق رأسه، واتجه نحو الباب بخطواتٍ تقرع على الأرض بقوةٍ وكبرياء، أرعد صوت قرعِها كطبول حربٍ في قلب تريتون، لتناديه للموت.

علِم الجيش الرومبياني عن أوامر الملك بيلزبيل بإعدام قائدهم العظيم تريتون، وفهِم البعض أنه اتخذ هذا القرار الجريء وأعدَم شقيقه، ليُرهِب جنوده ويزيد من توقِهم للنجاة، ويحذِّرهم من مصير الخيانة والتخاذل، ويُنقِذ ما تبقَّى من كبريائه، وما فضَل من كليوزهيست.

وبالفعل، ارتعد الجيش واهتزت صفوفه، وأسرَّ أغلبه العداوة لبيلزبيل، ولكنهم اضطروا للصمود والقتال معه خوفاً منه، بعد أن شاهدوا الإعدامات الفورية التي قام بها ضد الجنود الذين انحازوا لتريتون واعترضوا على إعدامه، وقرَّروا الانشقاق عن الجيش، ففضّل الآخرون الكتمان من أجل البقاء، ودعَموا بيلزبيل في شنِّ هجومٍ عنيفٍ، انتهى بطرد أرجوس والبانسليين من حدود كليوزهيست.

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

قام الدوق باستضافة آرميل بعد أن أرسل له إيمانويل ليخبره بأن طرقات لورديور أصبحت آمنةً من الفيركولاس، وبعد اجتماعه مع الدوق لرسم خدعة تسليمه إلى بالتازار، دعاه الدوق للعب القمار مع أفراد العائلة، كعربون امتنانٍ لتعاونه وإقدامه على هذه المُخاطرة، وكان يقول: اعتدنا الاجتماع للعب معاً، وستكون ضيفنا لهذه الليلة!.. أرِنا كيف سيُمكنك التغلب على أمهر المقامرين في لورديور؟

ابتسم آرميل بثقة، ثم جلس بوقارٍ أمام الطاولة، وكعادته، مارَس ألاعيبه الاحتيالية ليكسب، حيث كان يستفزهم بحديثه ويقلل من تقدير مهاراتهم ليُشعرهم بأنهم سيخسرون إن حاولوا اللعب معه، ويثير فيهم روح المنافسة والتحدي فيُقدِمون بثقةٍ على وضع رهاناتهم من الآرغنتات، وفي كل مرةٍ كان يفوز ويأخذ المال، ثم يستفزهم أكثر ليضعوا رهاناتٍ أكبر، وفي النهاية كان هو من يربح بسبب تلاعبه، ولم يلحظ أن إيمانويل كان يسترق النظر إليه، لأنه كان يعلم بأنها لعبته الأخيرة.

وكذلك كانت مارغريت تراقبه بصمتٍ أثناء اللعب، حيث كانت تراه شاباً طويلاً عتيق الثياب، أنيق الحركات، يتحدث بأسلوبٍ منمَّق، وتذكّرت كيف وعدها بأنه سيبيع مجوهراتها، ويستثمر لها قيمتها، وبالفعل قام آرميل ببيع مجوهراتها الثمينة، وظلَّ المال معه دون أن يستثمره. ثم عاد إليها هذه الليلة وهو يقول مفاجئاً إياها: هذا هو مالكِ أعيده إليكِ، أرجو أن تعذريني سيدة مارغريت، لأني فشلتُ في استثماره!

فردَّت مارغريت بتعجُّب: عندما علمتُ بأنك محتالٌ محترف، كنتُ أتوقَّع أن أخسر مجوهراتي ولا أرى وجهك مجدداً!

ثم قالت: ولكنَّك الآن عدتَ بأموالي، لتثبت بهذا صدقك، لذا سأكافئك بجزءٍ منها!

وفي الواقع، كان هذا هو ما سعى إليه آرميل منذ البداية، فقد نجحت خطته وحصل على جزءٍ من المال، بتظاهره بالصدق والأمانة مع سيدةٍ حذرة، وتلك نقطة ضعفٍ عرف آرميل كيف يستغلها لمصلحته، فهو يتميز بمعرفته بالنفس البشرية وفِراسته، التي يستطيع بها تحديد نقاط ضعف الآخرين واستغلالها، حيث يدرك أن معظم الناس يستخدمون أسلحةً دفاعية ضد المحتالين، وكانت مهمَّته، هي نزع تلك الأسلحة.. بارتداء قناعٍ يظهر طيبته وحسن نيته.

وقبل مغادرته، لحقت به أغلاي إلى الحديقة، وكانت تسأله بوجهٍ شاحب: كنتُ أتنصَّت على حديثك مع الدوق، ستذهب إلى بالتازار بقدميك، هل ستكون بخير؟

التفت إليها ولم يُجب، فقد اشتم رائحة دماءٍ طازجة تنفذ إلى أنفه، واقترب ليُزيح أكمام ثوبها بسرعةٍ خاطفة، ثم سأل بذهولٍ وانزعاجٍ بعد أن رأى معصمها: هل سمحتِ لإيمانويل بشرب دمك؟!

أجابته بهدوء: إني أعشقه يا آرميل، أعشقه كثيراً!.. وإذا كانت دمائي ستسعده وتُحييه، فسأكون له السعادة والحياة!

وضع آرميل يده على كتفها وقال بنبرة أخٍ حانٍ: كوني حذرةً يا أغلاي، فالعشق قد يقتل!

وكانت تلك المرة الأخيرة التي تراه فيها، فقد خرج من المنزل وعبر الطريق إلى نهايته، ثم صُدم عندما تمت محاصرته من قِبل أليكسيو وجنود الفيركولاس، وبلا مقدماتٍ نثر أحدهم على وجهه حَفنةً من مسحوقٍ غريب، فشعر بحرارة ذرّاته التي ما لبثت أن انقشعت عن عينيه كغبارٍ متلاشٍ، ليُكشف له مشهدٌ مذهلٌ متناهٍ في سرعته، رأى حياته البائسة تدور في ثوانٍ أمام عينيه، منذ طفولته المُعدمة، وضحايا احتياله، ثم فقدانه لأعز أصدقائه أريس، ورفيق دربه ياني، وتضوّره من الجوع والعطش الدموي بين جدران السجن المتهالكة، إلى عبوره جنبات القصر الفارهة، وحظوَته بالجلوس مع الملكة

والعمل كجاسوسٍ لها، وهربه المستمر إلى المجهول، ولقائه بمصاصة الدماء ذات الشعر الأحمر، المتقلّبة المزاج، باربرا.

تساءل: «باربرا، لمَ أتذكَّرها الآن؟».

بدأت الأرض تدور به، وأخذت أنفاسه تضيق مع كل خطوةٍ يخطوها جنود الفيركولاس نحوه: «لا يمكن لهذا الشعور أن يكون طبيعيّاً.. أو واقعيّاً، أنا.. أنا تحت تأثير سحرٍ ما!.. إنها كالغينيا!.. لقد سحرتني.. بهذا المسحوق الغريب، لتُخضِعني وتسيطـ..»

سقط على الأرض مغشيّاً عليه، فأمرهم أليكسيو بحمله إلى العربة، ثم انطلقوا بخيولٍ سوداء تسابق الريح، إلى غابة ميقالوس، بينما بقي أليكسيو يراقب غبار خيولهم المتلاشي.

وفي مكانٍ يُعتِمهُ الليل، ويقتله الصمت، بعيداً عن أعين الناس وضجيج المدينة، التقى أليكسيو بإيانويل، بعد أن اختطف آرميل وأرسله إلى بالتازار، فوقف إيانويل بمحاذاته، وكان يغطي رأسه بقبعةٍ لتخفي النصف العلوي من وجهه، ولم يرَ أليكسيو سوى أنفه الدقيق وشفتيه النحيلتين، اللتين نطقتا بصوتٍ هادئ: حصلتَ على مبتغاك، وأرضيتَ زعيمك!.. أخبرني الآن، من هو قاتل والديّ؟

كان إيانويل قد عقد معه اتفاقاً سريّاً، على أن يُسلّمه آرميل مقابل أن يُفصح أليكسيو عن هوية القاتل، فأخبره بأنه سيستدعي آرميل لمنزل عائلته هذه الليلة، وسمح له بمراقبة المنزل عن كثب، كي يترصّد خروج آرميل، ويقبض عليه.

رفع أليكسيو حاجبه بتردد: قد لا تُعجبك الحقيقة!.. هل أنت مستعدٌّ لقبولها؟

ظهر التحفُّزُ على مُحيّاه، وقال: أتظنُّ أني انتظرت هذه اللحظة عبثاً؟

فأجاب أليكسيو: إنه أحد أفراد عائلتك!

ذهل إيمانويل، ورفع القبعة لتظهر عيناه الحادّتان، فنطق أليكسيو: أرماند!

رمشت عينا إيمانويل، ثم خفض رأسه، وسأل مستنكراً: لم يكن أرماند في بوليشولي آنذاك!.. ولمَ سيقتل أخاه؟

أجابه أليكسيو: لا أعلم عن السبب، ولكنك تفهم أن الكونت لن يُلطِّخ يده بدم أخيه، ولن يورِّط نفسه بوجوده في بوليشولي.

ردَّ إيمانويل: أنت تعني أنه أرسَل قاتلاً مأجوراً ليؤدي تلك المهمة نيابةً عنه..

مدَّ له أليكسيو رسالةً مختومةً قبل أن يختفي، وقال: سلِّمها إلى الدوق إيبير، إنها من بالتازار.

❁❁❁

مع بزوغ الفجر..

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

حصل أرجوس على دعم سكّان العاصمة، والجنود الرومبيانيين المنشقّين والهاربين من بيلزبيل، فساعدوا جيشه على التسلل خلال الليل بتهريب جنديٍّ تلو الآخر عبر طرقاتٍ مختلفةٍ من المدينة، ليصل الجيش إلى قصر بيلزبيل مع بزوغ الفجر، ويحاصر أسواره.

وقف أحد القادة الرومبيانيين خلف بيلزبيل الذي كان يطلُّ من أعلى برجٍ في القصر، وينظر عبر الشرفة إلى صفوف العدو التي تكاد تقتحم الأسوار، قال القائد: إنهم يطلبون منا الاستسلام وفتح بوابات القصر.

لم يلتفت بيلزبيل، وظلَّت عيناه متسمِّرتين على أعدائه عندما أجاب: أتعلم ما الذي ستقرؤه الأجيال القادمة عن التاريخ؟.. ستقرأ أن الملك بيلزبيل قاتَل إلى النهاية، فهكذا يموت الشجعان!

ثم قال آمراً: وزِّع الرماة فوق الأبراج، وأمطِرهم بغيثٍ دموي، أريد أن أرى نوافير الدم تُزيِّن الأسوار!

ثم أمر شقيقه: أكلِّفك بحماية البوابة يا أنارغيروس!

إلّا أن أنارغيروس لم يتحرك ولم يُجِب بالموافقة على تنفيذ الأوامر، فالتفت بيلزبيل إليه، ليجده يرمقه بنظرةٍ غريبة، ثم تجاهله نازلاً إلى الأسفل حيث كانت كتيبةٌ من الجيش بانتظاره لتحميه، ركب أنارغيروس حصانه ورفع رأسه ونظر إلى بيلزبيل بحدَّةٍ وقال له: لم تظنُّ أني سأبقى لأقاتل بجانبك؟.. لقد أعدمتَ أخانا تريتون، وسأكون أنا التالي!

ثم انطلق هارباً من القصر مع كتيبته، وتاركاً بيلزبيل في حالةٍ من الخذلان، فقد تخلَّى عنه وخانه في اللحظات الأخيرة، متجاهلاً أوامره وسامحاً للبانسليين باقتحام القصر.

انهالت السِّهام فوق رؤوس البانسليين، كالمطر الدموي الذي وصفه بيلزبيل، مُخلِّفاً نوافيرَ من الدم لطَّخت أسوار قصره الفاخر، ورغم الدروع التي رفعوها فوق رؤوسهم، إلَّا أنها لم تكن كافيةً للحماية، وبسبب طول قامته، كان ألارد هدفاً واضحاً، فأُصيب برماحٍ وسهامٍ في ظهره وذراعه ليجثو على الأرض خائراً، فهرعت زوي وغطَّته بدرعها، وعرَضَت ظهرها كدرعٍ لتلقِّي تلك النِّصال بدلاً عنه.

رفع رأسه ونظر إليها تقف فوقه كملاكٍ حارسٍ يريد أن يهبَه الحياة، ويظهر لإنقاذه كلَّما أوشك على الموت، كان يشاهد الألم على وجهها، والعرَق على جبينها، ونظرتها القوية، التي ظلَّت تحدِّق به بإصرارٍ على التضحية لأجله.

كانت إصابته قاتلة، وشعرت بأنه يوشك أن يحتضر، فقامت على الفور بعضِّ معصمِها، وحاولت تقطير دمها في فمه: اشرب دمي!.. سيساعد جروحك على الالتئام!

أشاح بوجهه، ورفض قائلاً: لن أكون مُحارباً حقيقيّاً، إن لم أشعر بقسوة الألم، وأرَ دمي

يسيل في أرض المعركة، هكذا يُخلِّد التاريخ اسمي!.. دعيني أمتْ بشرف خدمة ملِكتي!.. دعيني أمتْ!

أغمض عينيه ليرقد بسلام، وترقرقت الدموع في عينيها، فنظرت إلى السماء ورمَشت لتمنعها من السقوط على وجنتيها، ثم نظرت إليه بحزم، ووضعت قطرات دمها في فمه رغماً عنه، وأنقذت حياته، ففتح عينيه ببطء، واستعاد قوَّته ونهض، وجذبها بعيداً عن منطقة القتال، فسقطت على وجهها موشكةً على فقدان الوعي، نظر إلى السهام التي تُغطِّي ظهرها وصاح بذعر: ما الذي فعلتِه؟!.. لمَ تخاطرين بحياتكِ هكذا؟.. هل فقدتِ عقلك؟.. هل طلبتُ منكِ الحماية؟!

قالت: قُم بانتزاعها فقط، وستلتئم جروحي بعد ساعات، أنا لا أموت بسهولة، أما أنت.. فيمكن أن تموت في غمضة عين، وهذا.. هذا ما لن أسمح بحدوثه!

انتزع ألارد السهام واحداً تلو الآخر، وكانت تصرخ مع كل نصلٍ يخرج من أحشائها، فقال: كنتِ ستموتين إذا اخترق سهمٌ قلبكِ!.. أنتِ محظوظةٌ بالنجاة الآن!

❁❁❁

وفي الجانب الآخر، تمكَّن البانسليون من اقتحام البوابة الرئيسة ودخول القصر، وشاهد نوي جندياً ضمن جيش العدو، بدا وجهه مألوفاً، إنه الوجه الذي حاول إبقاءه في ذاكرته لأمدٍ طويل، الوجه الذي كان يمقته وينتظر ميعاد الثأر منه، إنه وجه الحارس الذي لحق به عندما حاول تحرير والده من السجن، كان يتذكَّر ابتسامته المتهكِّمة عندما قُتل والده أمام عينيه بدمٍ بارد، رفع الحارس رأسه ليجد نوي يقف محدقاً به ومتجاهلاً المعركة، ففهم الحارس أن الفتى يريد مواجهته واستعدَّ له، فهجم نوي عليه قائلاً: لقد قتلتَ والدي، وها أنا أعود الآن، لأن سلب روحك، هو منتهى طموحاتي!

وكانت طعنةً سريعة، شُقَّت بها أحشاؤه، ليخرج سيف نوي من خلف ظهره.. يقطرُ دماً، لم يسمع نوي حينها سوى صوت أنفاسه الثقيلة، التي أخذت تتدرج صعوداً

ونزولاً إلى أن خف ثقلها، وانزاح العبء عن صدره، وتسلل صوت خطوات أرجوس، فالتفت ليجد أميره ينظر إليه بفخر، وقد فتح ذراعيه ليحتضن بهما كتف مرافقه العزيز ويقول: لقد فعلتها يا نوي!.. سينام والدك مرتاحاً، وفخوراً!

ردَّ نوي: وعدتَني بهذا الانتقام، ووعدتُك بالبقاء بجانبك للأبد، وأخبرتك بأنك ستدخل كليوزهيست كملك!.. وها هي وعودنا تتحقق!

{ركب أرجوس على ظهر الجواد، ثم التفت إلى رفيق دربه نوي، الذي ركب هو الآخر وسار إلى جانبه، ولاحظ عينيه الحزينتين، فقال له بجدية: أعدك بأننا سننتقم لوالدك يوماً!.. ابقَ قويّاً يا نوي!

رفع نوي رأسه والتفت إليه: سمو الأمير!.. أنا أثق بوعدك!.. وسأدعمك لآخر يومٍ في حياتي!.. سنعود إلى رومبيانيا حتماً، وستدخل كليوزهيست مرةً أخرى، ولكن كملِك!!}.

❁❁❁

هرب بيلزبيل إلى أعلى البرج، وشدَّدَ الحراسة على نفسه، ولكنَّ محاولة النجاة البائسة تلك لم تجدِ، فبعد احتدام القتال بين الجانبين، قُتِل حرّاسُه واقتحم أرجوس حجرة البرج العلوية، ليجدَ عمَّه بيلزبيل مع ابنه، وقد شهرا سيفيهما للقتال حتى الموت، وهجم ابنه على أرجوس دون أن يتيح له فرصةً للتحرك، وتعارك الاثنان إلى أن تمكَّن أرجوس من قتله، ثم التفت إلى عمِّه الذي كان وجهه مفجوعاً هزيلاً، متحسِّراً على هزيمته وناعياً مَصْرَعَ ابنه أمام ناظريه.

سأله أرجوس: كيف هو شعورك الآن، عندما ذقت مرارة الخذلان، وفقدتَ أعزَّ شخصٍ في عائلتك، فلذة كبدك؟.. قتلتَ والدي، ونويت قتلي، استوليت على عرشي، وشرّدتني من قصري وأرضِي، وحاربتني حتى النهاية!.. انتهى وقتك، فلتمُت الآن يا بيلزبيل!.. ولتلتقِ بروح والدي هناك، ليلعنك!

وبعد التحامٍ عنيفٍ بينهما، سقط رأس بيلزبيل على الأرض وتدحرج، وسط بركةٍ من الدماء، كان يطمح أن يراها حول أسوار قصره، إلّا أنه انتهى بالغرق فيها.

اقترب الكونت أرماند من جثته، ثم انحنى لأرجوس قائلاً: أبارك لك استعادة عرشك، جلالة الملك، أرجوس هيروديون رونثو!

نظر إليه أرجوس بامتنان: لولا قيادتك الحكيمة لهذه الحرب، لما وصلنا إلى هنا، وأسقطنا رأسه!.. فلم تُخطئ أفروديت باختيارك أيها الكونت!

حنى أرماند رأسه تعبيراً عن تقبُّله لهذا الإطراء، ثم أشار إلى رأس بيلزبيل، واستأذن: هل تسمح لي؟

فهم أرجوس مقصده، وأومأ برأسه موافقاً، ثم قال: هذا هو عرفاني للملكة أفروديت!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

عاد أرام من أثانسيا، بعد أن سيطر عليها وكلّف أحد القادة بحصارها، وفور مثوله أمام بالتازار أثنى عليه بفخر.

وصل الموكب الذي يقلُّ آرميل، وبعد أن ظلَّ فاقداً الوعي ليومين، استقبله أرام ثم ألقى به أمام قدميْ بالتازار كجثةٍ هامدة، فنظرت كالغينيا إلى سيدها بثقة: سأجعله يستيقظ الآن!

فتح عينيه بتثاقل، وخفق قلبه بعنف، وكان نفَسُه ثقيلاً يكابد لاستنشاق الهواء، وكان ذهنه يعمل بصورةٍ سريعة، أفكاره كثيرةٌ ومشتتة، وتركيزه عميقٌ ومكثَّف، شعَر بانفصالٍ عن الواقع، وبتدفُّق الدم في أطرافه، وبالطاقة الهائلة المُتركِّزة بها، ولم يكن يستطيع الحراك، وكأنه أصيب بشللٍ أعاق جسده.

رفع رأسه ورأى بالتازار وأرام والفيركولاس ملتفِّين حوله، كانوا يحدِّقُون به بتفرُّسٍ

وكأنهم أشباحٌ خبيثةٌ من عالمٍ وهمي، تنوي سلب روحه. ثم نظر إلى كالغينيا، وكانت منهمكةً بالتحديق الثاقب نحوه، وكأنها كانت تعمل على شيءٍ ما، وبالفعل شعر بأنها تسيطر على حركته وتتحكم به، وكأنه دميةٌ بين يديها، نظر إلى قدميه وأراد تحريكهما ليمشي ولكنهما كانتا تأبيان الحراك، وكأن روحه قد انفصلت عن جسده، ليصبح أسيراً لدى بالتازار، وتحت تصرُّف كالغينيا، التي كانت تتحدث بكلماتٍ مُحفِّزَةٍ بشكلٍ غريب، وجد آرميل متعةً بالإنصات لها، وكأنها تعبث بذهنه وتُداعب مُخيِّلته المضطربة، تنسج له أوهاماً عظيمة، وتُملي عليه كيف يتصرف. كان جسده يستجيب لأوامرها ويتحرك وفقاً لحديثها، ويفعل كل ما تأمره به، ويتحرَّك رغماً عنه. أمرته أن يمشي تجاهها وفعل، وظلَّ ينظر إليها مذعوراً، وأراد أن ينطق بشدة، فسمحت له وفكَّت العقدة من لسانه، فقال بصوتٍ مرتعشٍ ممتزجٍ بشهيقٍ متقطِّع: حسناً، لقد.. نجحتِ!.. أنتِ تسيطرين عليَّ.. تماماً!.. ما الذي.. ستفعلينه بي؟

قدَّمت له كأساً حديديّاً وأمَرته: اشرب!

فالتقطت يده الكأس دون إرادةٍ منه، وقرَّبته إلى فمه، فرأى الدماء تموج وتدور في القعر الصدِئ، ثم تنسكب إلى جوفه قَسْراً، كان يعلم أنها دماءٌ بشرية، لذلك حاول مقاومتها، فلم يسبق له أن ذاق دماء البشر قط، فقد كان يُحرِّمها على نفسه، وأراد رفضها، ونظر إلى كالغينيا مستجدياً، إلّا أنها استمرت تحدِّق به بابتسامةٍ خبيثة: ستُلاحظ تضخُّم قوّتك بعد هذا الكأس!

وبالفعل، شعر آرميل بتلك الدماء تُنعِش عروقه وتجري في شرايينه بانتشاء، وكأنه شرِب من ماء الجنة، فاجتاحته رغبةٌ بالقتل، وأراد القفز عالياً.. إلى اللانهاية.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الثاني عشر

«١٢»

https://t.me/fantazynov

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في قاعة المحكمة..

ترقَّب الحضور دخول المُتَّهمة، ديميتير غاريس، فلأول مرةٍ في تاريخ المملكة، تتم محاكمة أحد أفراد الأسرة المالكة، كان هذا حدثاً تاريخيّاً حرَصَ جميع النبلاء على حضوره، فالكثير منهم يحمل الضغينة لديميتير ويتمنى رؤية سقوطها.

همس الدوق إيبير في أُذن الملكة: جلالتك، يؤسفني نقل هذه الأخبار إليك، لقد وصلتني رسالةٌ من بالتازار برفض الانسحاب من أورانوس، وقد أعلن عن اختطافه لآرميل، إنه بحوزته الآن!

تمالكت أفروديت غضبها، وأمرَته بإرسال قوَّات الدفاع إلى المنطقة، وقالت: لن نقف مكتوفي الأيدي، يجب أن نتصرف إلى حين عودة الجيش من رومبيانيا، ووصول دعم رودولف!.. أُحمِّلكَ أيها الدوق مسؤولية خسارة ورقتي الرابحة، آرميل!.. فبسبب إهمالك، لم يعد بإمكاني مفاوضة بالتازار، ولا يوجد لديه ما يخسره الآن!

قال إيبير: دعيني أخبركِ عن وجود مختارٍ آخر، يمكننا استغلاله ضد بالتازار!

ولكنَّ الحاجب قطع حديثهما عندما أعلن عن دخول الأميرة ديميتير، فصمتت الأفواه، واتجهت الأبصار نحو الباب، فعبَرت الأميرة من خلاله بخطواتٍ مُثقلة، وبالرغم من شحوب وجهها ورداءة مظهرها، إلّا أنها لم تفقد كبرياءها وهيبتها، ظلَّت تُسمِّر ناظريها بحقدٍ تجاه أختها، وشعر الجميع بذلك اللهيب بينهما.

❁❁❁

(رومبيانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

بين الأشلاء وبقع الدماء، عبَر أرجوس مع موكبه ثم صعد منصةً خشبيةً أمام بوابة القصر الضخمة، وأخذ الشعب يحتشد نحوه من كل صوب، وخيَّم الصمت على

المدينة، فلا يُسمع بها سوى صوت أجنحة الطيور المُرفرفة في السماء، وزفير الأنفاس المُحتبَسة في الصدور، ووقعِ الأقدام المتسارعة عبر الطرقات، لتقترب مسافةً كافيةً لإبصار الملك الجديد. كان أرجوس ينظر إلى التجمهر على مدِّ البصر، جال بعينيه في تلك الوجوه البائسة المستجدية للعطف والرحمة، وقارناً ما تحكيه الأعين من قصصٍ ومآسٍ لماضٍ مُهشَّم، وآمالٍ حائرةٍ تُبنى على مستقبلٍ مجهول. توقّع الشعب خطاباً قويّاً ومؤثراً من الوريث الشرعي، ولكنه فاجأهم باكتفائه بجملٍ قصيرة، اختصرت الكثير مما يتوقون لسماعه، قال بصوتٍ جهوري: أيها الشعب العظيم، شكراً لثقتكم، اعلموا بأني لن أخيب ظنّكم، أنا أرجوس هيروديون رونثو، الملك الشرعي لعرش رومبيانيا، جئت لأتعهد لكم بغدٍ أفضل!

ترقَّب الشعب بقية الخطاب، ولكنَّ إيماءة أرجوس الواثقة، جعلتهم يُدركون قيمة تلك الجمل، وفجأةً تعالت الصيحات والهتافات باسمه، وصدحَت الأهازيج مع معزوفاتٍ تُسمعُ عبر المنازل، وتقدَّم الجنرال أبوليون حاملاً التاج الملكي بيديه الملطختين بدماء الحرب، وانحنى لأرجوس ثم وضعه فوق رأسه.

كان أرجوس يفكر بحنين، بأن هذا التاج كان يوماً على رأس والده، ولاحظ نوي تضارب مشاعره، فهمس مشجعاً: إنه تاجك الآن!

نظر نحو الأفق، حيث أسقف المنازل المتناثرة بعشوائية وقد زفرت فوقها أعلام رومبيانيا، إنها كليوزهيست، أرضه ومكانه، شعبه ورعاياه.

أشار أرجوس إلى نوي قائلاً: لن أنسى الفضل لرفيق دربي ومساعدي المخلص نوي، والذي سأمنحه لقب كونت، وأُعيّنه في منصب الساعد الأيمن، وقائداً في الجيش!

ثم التفت نحو أبوليون: كما لا أنسى الفضل للرجل الذي أنقذ حياتي، ووجَّهني ودَعَمني طوال حياتي، وهيأني لأكون ملكاً، الجنرال أبوليون، والذي سيعيّن مستشاراً

ملكيّاً وقائداً للجيش الرومبياني، ويُمنح لقب مارشال، كما سأهديهما منزلاً وأراضيَ في أرياف كليوزهيست، كأقل تعبيرٍ عن ثقتي وعرفاني لهما!

انحنى له أبوليون بتواضع، ولكنَّ أحد الرجال ذهل عندما شاهد أبوليون، فاتجه نحوه وأمسك به غاضباً: أنتَ هو خاطف الطفلة المفقودة في سيفياتوست!!.. لقد رأيتك قبل سنين، عندما كنتَ تصطحبها إلى النُّزل الذي كنت أملكه في الميناء، مُدَّعياً أنها ابنتك!

ثم سأله: إلى أين أخذت الطفلة المسكينة؟.. عائلتها بكَت دماً لتبحث عنها!.. لم أجرؤ على إخبارهم بأنني رأيتك تختطفها وتركتك ترحل!.. فقد كان عاراً علي أن أتركك!

اتجهت الأنظار نحو أبوليون، فقال ليوضح الأمر بنبرةٍ حازمة: لقد وجدتُ الطفلة تائهةً في الغابة، كانت فاقدةً لذاكرتها، الأمر الذي لم يساعدني على إعادتها إلى أهلها، لِحقَتْ بي.. وكنتُ في عجلةٍ من أمري لمهمةٍ أرسلني بها الملك هيروديون إلى بانسيلينوس، ولم يكن لدي متسعٌ من الوقت حينها فأخذتها معي في رحلتي، دُلَّني على منزلهم الآن لأحاول التكفير عن ذنبي!

❁❁❁

وبينما كان الجيش البانسلي يشاهد مراسم التتويج، استلم أرماند رسالةً من أفروديت تأمره بالعودة العاجلة للدفاع عن مملكة بانسيلينوس ضد جيش الفيركولاس.

فالتفت إلى القادة آمراً: إنها أوامر الملكة، استعدوا للعودة فوراً، يجب أن نغادر كليوزهيست قبل الغروب!

كان الجند يقرؤون رسائل عائلاتهم وأحبابهم، ووصلت رسالةٌ إلى ألارد، ودُهِشَ عندما رأى اسم المُرسِل، فدعا زوي لتقرأ معه، وباستغرابٍ قال: إنها من آرميل!.. لمَ يرسل آرميل إلينا الآن، بعد هذه السنين الطويلة؟

(آمل أن تكون بخير أيها السيرجنت وكذلك صديقك ليون،

أود إخبارك بأن الأمور لا تجري على ما يرامُ هنا في بانسيلينوس، ووالدك قد علم أخيراً بأن ملمِّعة الأحذية هي من سرق أمواله، وسيقبض عليها.

أتمنى عودتكما سالمين.

تحياتي، آرميل.)

ذهل الاثنان ونظرا بعضهما إلى بعض بتساؤلٍ وحيرة، وقالت زوي: (ملمعة الأحذية)؟.. إنه يقصدني!*.. لمَ استعمل هذه العبارة؟!

*كانت زوي في طفولتها مع مجموعة المتسولين، تعمل في تلميع أحذية المارّة النبلاء، مقابل المال.

فكَّر ألارد: إنه يحاول إبلاغنا بشيءٍ ما!.. فآرميل يعلم بأني لقيط، من الذي يقصده بكلمة (والدك) إذاً؟!

قلَّبت زوي عينيها للحظةٍ ثم نطقت مستنتجةً: الأب، هو ربُّ العائلة، وأحياناً قد يكون قائد المجموعة..

استنتج ألارد: قائدٌ لأي مجموعة؟.. ربما.. يقصد قائداً.. في الجيش؟!

تبادل الاثنان النظرات، ونطقا في اللحظة نفسها: أرماند!

ألارد: أظنُّ أن آرميل يحاول تحذيركِ من أرماند، قد يكون أرماند يعلم بأنكِ فتاة، أو مصاصة دماء!.. ولكن ما ارتباط آرميل بكل هذا؟

وبعد لحظة تفكيرٍ قالت زوي: لقد التقت أغلاي بآرميل، لذا أعتقد أنه أصبح على صلةٍ بآل بونيفيل وبإيانويل الذي وعدني بالحماية من عائلته!.. هذه الرسالة التحذيرية قد لا تكون من آرميل فقط، وإنما من كليهما!

نهض ألارد ونظر إليها بجدية: اهربي، الآن!

رفضت زوي الهرب وقالت بثقة: يجب أن أتمسَّك بقوَّتي، وأواجه مصيري بشجاعة!

وبعد نقاشٍ مُطوّل، استسلم ألارد وقال بنفاد صبر: تذكَّري عبارتي هذه، عنادكِ سيُهلكك!!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في قاعة المحكمة..

نظرت ديميتير إلى أغلاي وشعرت بالألم، فكبرياؤها قد انهار أمام عصفورتها التي كانت تضع كل آمالها عليها، ثم التفتت إلى الناحية الأخرى من القاعة، لترى عدوَّتها باربرا تتفرس بها بعينيٍ الغالب، ولكنَّ ديميتير لم تبدُ مغلوبةً قَطّ، فقد ظلَّت شامخةً ترمق أعداءها بنظراتٍ حارقة، عدا أنها كانت تحاول إخفاء صدمَتها خلف ذلك القناع: «كيف نجَت تلك اللعينة؟.. لقد رأيتُ القطة تموت أمام عيني من سمٍّ بوق الملاك!.. ربما زيَّفَت مشهد تسمُّمها!».

بدأ القاضي بسرد التهم: ديميتير غاريس، أنتِ متهمةٌ بتسميم باربرا بونيفيل، وبخيانة المملكة بتمويلكِ لجيش الفيركولاس!

ثم أعطى لكل شاهدٍ فرصةً للإدلاء بشهادته، ابتداءً بباربرا التي قالت بأن الأميرة سبق أن اختطفتها وكانت دائماً تهددها وتُهينها أمام الملأ، وأقرَّ العديد من الشهود بالعداوة الواضحة بين الفتاتين وعن تمرُّد ديميتير على شقيقتها الملكة في عدَّة مواقف، وتحدَّث بعض الوزراء عن مواقف تثبت طمع ديميتير بالعرش، وكذلك شهِدَت إحدى خادمات ديميتير ضدها، حيث قالت بأنها سمعتها خلسةً تتحدث مع تيرزي عن السمّ، ثم تم أخذ شهادة فيوليت وأغلاي بونيفيل بصفتهما المقربتين من الأميرة، وكانتا تجيبان بأجوبةٍ محايدة، لا تَدين أياً من ديميتير أو باربرا.

فوجَّه القاضي حديثه لديميتير: ديميتير غاريس، كيف ستدافعين عن نفسك أمام هذه التهم؟

صمتت القاعة، وانبعثت من ذلك الصمت ضحكةٌ تعالت تدريجيّاً لتصمَّ آذان الحضور وتصيبهم بالهلع، توقفت ديميتير عن ضحكتها الغريبة فجأةً، ثم رفعت عينيها إلى القاضي بحدَّة: أتسمِّي نفسك قاضياً؟

ثم التفتت إلى أفروديت: أتسمِّين نفسكِ ملكة؟!

ثم تحدَّثت بصوتٍ جهوريٍّ منقِّلَة ناظريها بثقةٍ بين الوجوه المصطفّة: كيف يمكنهما أن يمثلا العدالة، بينما لا يمكنهما التمييز بين الحقيقة والخداع؟!

ثم قالت: يبدو الأمر مُخيِّباً أن أبدو لكم بهذا الغباء، وأن تصل بكم التوقعات إلى أن ديميتير قد ترتكب جريمةً معلنةً في القصر، بهذا المستوى من السذاجة!

والتفتت نحو باربرا: هل تخبرنا باربرا كيف نجَت من السم؟.. ولمَ وقع التسمم أثناء مأدبةٍ في القصر تحديداً؟.. وكيف نتيقن من أن الطبيب ليس متعاوناً معهما؟

ثم التفتت إلى القاضي: هل حققت مع حراس جناحي؟.. هل رأى أحدهم الدوق وهو يعثر على زجاجة السم؟.. أم أنه أخرجها من جيبه؟

ثم أردفت: أعلم أنك ممتنٌّ لي الآن بعد سماع هذه الأسئلة، لأنني ساعدتك على الإمساك بطرف الخيط، فلا توجد لديك الكفاءة الكافية للتفكير بأمورٍ واضحةٍ كهذه، لذا يجدر بمن يمثل العدالة، أن يبدأ بالتحقيق في أسئلتي السابقة، قبل أن يتسرع ويُحاكِم الشخص الخطأ!

أجاب القاضي: لقد تكفَّلَ الدوق إيبير بونيفيل بالتحقيق في القضية وتزويدنا بالتقارير التي تثبت تورُّطكِ!

ادَّعت ديميتير أن الدوق يحاول الإيقاع بها، وقالت بأن الوثيقة تخص الكونت أرماند،

وأن السم كان مدسوساً في جناحها ولم ترَه من قبل، ثم التفتت إلى القاضي لتختم حديثها بابتسامةٍ ساخرة: لذلك نعم، أنا أنكر كل التهم الموجهة إلي!.. وعوضاً عن هذا، أتهم الكونت أرماند بونيفيل على خيانته للمملكة، وأتّهم باربرا بونيفيل على تآمرها، والدوق إيبير على تواطئه معها وتزييفه لدليل الجريمة!

فسألها القاضي: إذا كنتِ تتهمين الكونت أرماند فعلاً، فلمَ احتفظتِ بالوثيقة في جناحك، وكيف حصلتِ عليها؟.. وإذا كنتِ تتهمين الدوق إيبير وابنة شقيقته بتواطئهما في الجريمة، فلمَ لم تنكري منذ البداية وجود السم في جناحك؟

نظرت الأميرة إلى أغلاي بزاوية عينها، وابتلعت الأخيرة ريقها بانتظار أن تورِّطها الأميرة في قضيّتها، إلّا أنها أزاحت ناظريها عنها بعد ثوانٍ لتجعلها تتنفس الصعداء، ثم أجابت: حصلتُ عليها بطريقتي الخاصة، وكنتُ أنوي تقديمها للملكة لأُطلعها على خيانة أرماند!

فكان ردُّ القاضي: لا يمكننا الأخذ بادعاءاتكِ بلا أدلةٍ أو شهود!.. ويمكننا إمهالكِ لتقدِّمي أدلَّتك!

وفجأةً، اقترب أحدهم ليهمس في أذن القاضي، فقال: هناك شاهدٌ يرغب بالإدلاء بشهادته، فليتقدم الكاهن أرتشيم!

وقف أرتشيم على منصة الشهود، ونظر إلى ديميتير التي ابتلعت ريقها، ثم التفت إلى القاضي وقال: لقد دفعَت لي الأميرة مقابل الصمت، لكنِّي لن أصمت عن خيانتها!

صمتت القاعة في ترقُّبٍ لما سينطق به، فقال: هدَّدت الأميرة وزير المالية بإزاحته عن منصبه، وضغطت عليه لكي يتعاون معها مُرغَماً على تزوير وثائق تُثبت اختلاس الملكة من خزينة المملكة، وسرِقتها للضرائب التي يدفعها الشعب لتصرِفها على الحفلات الباذخة، أطلَقت الأميرة تلك الشائعات لتشويه صورة الملكة أفروديت أمام الشعب، وتقام الآن حملاتٌ سريّةٌ في شوارع لورديور لكسب تأييد الشعب للانقلاب على الملكة

أفروديت، وترشيح الأميرة ديميتير للحكم، وسيعترف الوزير الآن مقدِّماً وثائق تثبت تورط الأميرة بخط يدها، آملاً بتخفيف الحكم عليه بعد اعترافه.

طلب القاضي وقوف الوزير على منصة الشهود، وبالفعل طرح الوزير كل ما لديه من أدلة وتفاصيل، ولم يعُد لدى ديميتير ما تقوله للدفاع عن نفسها، فغادر القاضي ليستأنف الجلسة بعد اجتماعه بالقضاة، ثم عاد بعد برهةٍ بالحكم النهائي، ليقول: بعد الاجتماع مع القضاة والاطلاع على الأدلة ومراجعة الادعاءات، توصَّلت المحكمة إلى الآتي: يُحكم على الأميرة ديميتير بالسجن عشر سنوات، وتجرَّد من لقبها ومنصبها وممتلكاتها، كما يُحكَم على وزيرالمالية بالعقوبة المخففة لاعترافه بجريمته، السجن لسبع سنوات، وتجريده من منصبه ولقبه!

اعترض الحضور، ونطَق أحدهم: يجب أن يتساوى الحكم بالخيانة بين الطبقة الملكية وطبقة الشعب!.. هذا ظلم!!.. فالخيانة عقوبتها الإعدام، لا السجن!

نطَقت مارغريت بصوتٍ مرتفع: أجل، نطالب بالعدالة مع أيٍّ من كان منصبه!.. الإعدام للخونة!

ردَّت الملكة: ستتحقق العدالة حسب ما يتوصَّل إليه القاضي، ولن أسمح بالظلم والخيانة في مملكتي!

كانت ديميتير تحاول أن تتمالك أعصابها من حيادية أختها، التي لم تُبدِ تعليقاً على مجريات المحاكمة، وتركت القرار للقاضي عندما قالت: كن مُنصفاً في حكمك أيها القاضي، فلا فرق بين الشعب وأفراد العائلة الحاكمة!

تشاور القاضي مع بقية القضاة لبرهةٍ طويلة، ثم عاد ليُصدر حكمه بوجهٍ متجهِّم: يُحكم على الأميرة ديميتير غاريس بعقوبة الخيانة التي يُعمَل بها في محاكم بانسيلينوس، الإعدام!.. رُفِعَت الجلسة!

نظرت ديميتير بصدمةٍ إلى أختها، وبعينين يملؤهما الذهول والخذلان، وفي المقابل، ظلَّت أفروديت صامتةً ولم تحرِّك ساكناً، فصرخت بها منفعلةً: هل أنتِ واثقة؟!.. تدَّعين العدل وأنتِ ظالمة!!.. هذه الملكة ظالمة!!.. إياكم والانخداع بمثاليتها!!

ولكنَّ أفروديت تجاهلتها عندما نهضت لتغادر القاعة مع حاشيتها، ولجأت إلى جناحها بخطواتٍ ثقيلةٍ مُنهكة، ثم طردَت الجميع منه، وجثَت على الأرض، وبكَت بانهيار!

وبينما كان الحرَّاس يقتادون الأميرة المنفعلة إلى السجن، ضجَّت القاعة بالأصوات المُهتاجة والشامتة بديميتير، التي حافظت على كبريائها إلى آخر لحظة، وظهرت على عينيها نظرةٌ متوعدة، واشتعل الحقد في قلبها بينما كانت تحاول تخزين وجه أختها الصامت في أعماق ذاكرتها، لتستعيده حين تسنح لها لحظة الانتقام، وبرغم حكم الإعدام الذي ينتظرها، إلَّا أنها قررت.. أنها ستحاول التشبُّث بالحياة، حتى تسلب العرش من أفروديت، وتقتلها.

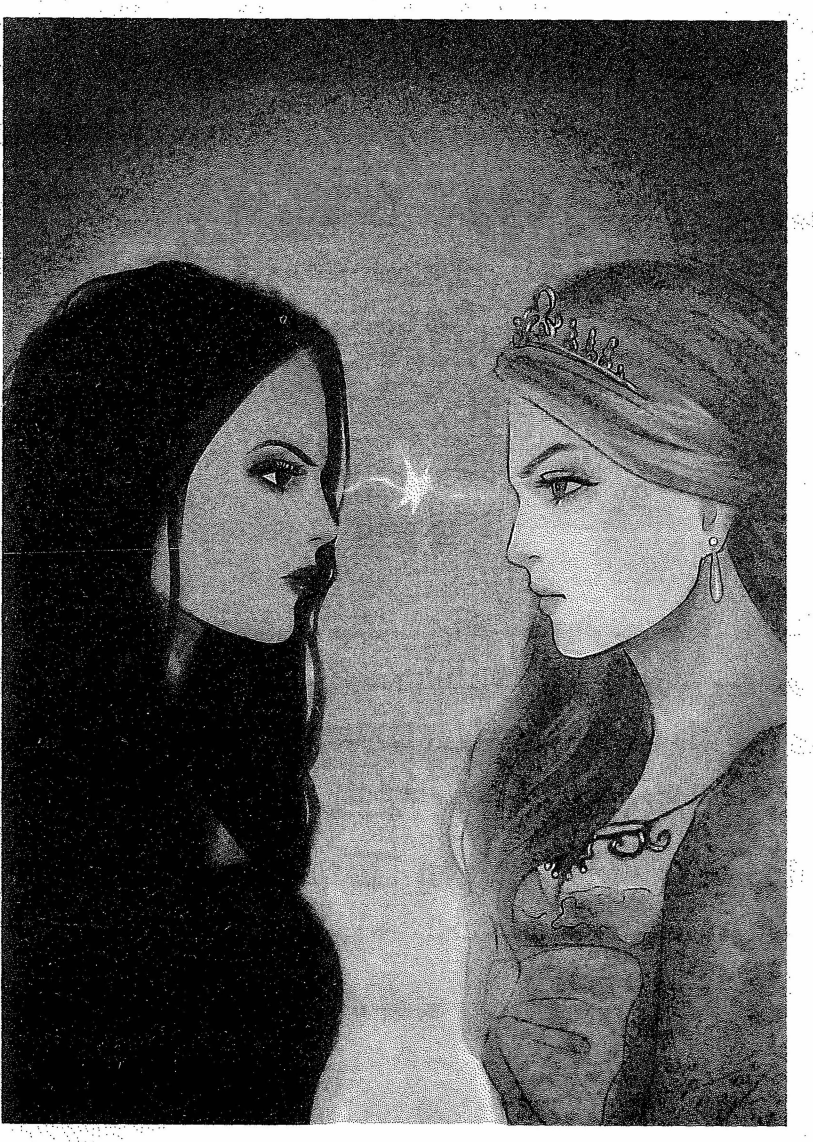

كانت أغلاي تُحدِّث نفسها بتردد: «أنا من عثر على الوثيقة في حجرة الكونت أرماند!.. طلبَت مني الأميرة البحث في حاجيَاته، ولكنَّها الآن ستُعدم لهذا السبب!.. يمكنني الشهادة لتبرئة الأميرة وإدانة أرماند، عندما أعترفُ بأني أخذتها من حجرته!.. ولكنِّي سأخاطر بأن أُسجن، وأصبح عرضةً لانتقام أرماند!.. إنَّ هذا يُثقل كاهلي، أنا أحتاج لإراحة ضميري!».

وبينما كانت ديميتير تُقاد إلى زنزانتها، دسَّ حارسٌ ورقةً في ثيابها، فانتظرت رحيل الحراس واتجهت إلى زاوية الزنزانة، وفتحتها لتقرأ:

(أنا حليفك، وسأحاول إخراجكِ من السجن، وكعربونٍ لكسب ثقتك، ستسمعين قريباً خبراً عن القاضي.)

❁❁❁

في المعبد الملكي..

وقف الدوق إيبير أمام أرتشيم، وقال بثناء: تدخُّلك بالوقت المناسب، حسَم القضية!.. لقد دفعتُ للوزير لكي يعترف!.. ووعدتُه بحكمٍ مخفف، وبرعاية عائلته أثناء فترة سجنه، كما دفعت للقاضي للتنفيذ، ووعدته بزيادة مُرَتَّبِه، فالمال يشتري كل شيءٍ يا أرتشيم!

ضحك الاثنان بخبث، وقال أرتشيم مُعقِّباً: المال يشتري معلوماتي، وولائي أيضاً!.. سأظلُّ أدعمك ما دمتَ تدفع، أيها الدوق!

❁❁❁

(روميبانيا ــ العاصمة كليوزهيست)

في القصر الملكي..

دخل أرجوس إلى الجناح الذي قضى فيه سنوات طفولته، ودار في جنباته، ثم توقف في

الشرفة، وعادت له الذكرى عندما نظر إلى الشجرة التي قفز منها يوماً ليهرب مع نوي، في مغامرتهما الرهيبة إلى وسط المدينة، والتي انتهت باختطافهما مقابل فِديةٍ دفعها والده الملك، ظلَّت تلك المغامرة في ذاكرته، لأنها عرَّفته على فقراء شعبه، وجعلته يرى حالهم عن قُرب، وتذكَّر وصيَّة زعيم مُختطفيه:

{عندما تُصبح ملِكاً تذكّر أن تُطعم شعبك جيداً، حتى لا يُختطَف ابنك أيضاً!}.

فالتفت إلى حاشيته وقال: سنبدأ بتحسين مستوى المعيشة، لا أريد أن أرى فقراً وجوعاً في رومبيانيا، اجمعوا الاقتراحات من عامة الشعب، وسننظر فيما يمكننا فعله لتوفير حياةٍ أفضل لشعبنا!.. يجب أن تستقلَّ رومبيانيا بثرواتها الخاصة، لن نقتات على ثروات غيرنا!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

كانت ليلةً هادئةً تماماً، لم يُسمع بها سوى نعيق البوم، وصفير صراصير الليل، ومع نسَمات الفجر الأولى، أزاح طرف الستار، وأطلَّ من نافذته ليشاهد شروق الشمس، فرأى فتاته تعبُر ممرات الحديقة متجهةً إلى الإصطبل، وكانت تتلَفَّت حولها بحذرٍ وكأنها تتسلل خلسةً، فاستغرب خروجها في هذا الوقت المبكِّر، وهبط إلى الأسفل ليلحق بها، وشاهدها تقف خلف الأشجار، وتمدُّ يدها إلى بيلموت الذي كان بانتظارها، وكان يبتسم بشراهةٍ ويقول: شكراً على كرمك!

وما لبث أن قبض على رُسغها وأخذ يشرب دمها، وفجأةً، انتبه الاثنان لصوت خطواتٍ توقفت على مقربةٍ منهما، فانتزعت أغلاي يدها والتفتت نحو مصدر الصوت، ورأت إيمانويل يقف بصمتٍ وجمود، وكان تحديقه يخترق السواد في حدقَتي

عينيها، ويتبحَّر فيهما بلومٍ يجتاح أغوارها ويُغرقها كطوفانٍ ساخط، لتتلاشى روحها المُذنبة مع أمواجه العاتية، وجدت نفسها تندفع إليه، بلا تفكيرٍ ولا تعقّل، لتحاول تفسير ما رأته عيناه: إيمانويل، الأمر ليس كما تظن، دعني أشرح لك..

وأي تفسيرٍ كانت تحاول عبثاً، أتخبرُه بأن بيلموت يبتزُّها مقابل دمها؟.. لا يمكنها أن تبرِّر الخيانة لعشيقها، أو تبرِّر فضحها لسرِّ العائلة، فالصمت سيحفظ ماء وجهها، والحديث سيسكُب ذلك الماء هدراً، فلاذَت إلى التمنِّي، وتمنَّت لو تمكَّنت من محو هذا المشهد من ذاكرة إيمانويل، لكنَّه التفت مغادراً بعد أن رمقها بنظرةٍ مُحتقِرة، فركضت وراءه لتثنيه عن الرحيل، ولكنَّه رحل، فالطعنة التي مزّقت قلبه كانت أوجَعَ من جروح قلبها، لأنه طُعِن بسيف الخيانة، بينما جُرِحت هي بطعنات التخلّي.

❁❁❁

وبعد أن أشرقت الشمس..

سأل إيمانويل شقيقه بنبرةٍ جافة: لمَ خُنتَ ثقتي؟.. لو لم تكن شقيقي، لجعلتكَ رماداً الآن!

أجاب بيلموت بنبرته المستهترة: هوّن عليك أيها الفارس المغوار، لا تأخذ الأمور بهذه الجدية، كنت أُروي ظمئي فقط، ولستُ مهتمّاً بعشيقتك، تعلَمُ بأني لا أنجذب للفتيات، فلا يغريني في هذه الحياة سوى الدمـ..!

ولم يُكمِل جملته حين تلقّى لكمةً عنيفةً أسقطته أرضاً، فرفع رأسه وأبعد خصلات شعره الحمراء عن عينيه، ليرى شقيقه الأكبر يقف في مواجهته، وعلى وجهه غضبٌ عارمٌ لم يشهَده من قبل، كان ثائراً كبركانٍ يُحرِق كل ما يعترض طريقه، ولا شيء يُخمِده. استمرَّ بضربه إلى أن أسال منه الدم، وترَكه طريحاً على الأرض.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

على أطلال بلدة أورانوس، عبَر جيش الملكة المكوَّن مما يقارب ألفَيْ جنديٍّ لكسر الحصار عن أورانوس ودحر الفيركولاس، واعترض الغربان طريق الجيش دون إشهار أسلحتهم، مُعلنين بذلك السِّلم، فرفع قائد الجيش يده ليوقف جنوده عن الهجوم، ثم سأل: من أنتم؟.. أتمنى أن يكون لديكم سببٌ مقنعٌ لتعترضوا مسيرة الجيش؟

قال رايموند بثقة: أنا رايموند، زعيم الغربان!.. أقف هنا الآن لنُصحك، لن يتمكن رجالك من مواجهة الفيركولاس!.. لقد قضينا فترةً نراقب منطقتهم، ونحن وحدنا من يعرف سرَّ القضاء عليهم!

سأله القائد من فوق حصانه باستعلاء: أثبت لي صحة ما تقول، يا هذا!

أجاب رايموند: يبدو أنك لم ترَ واحداً من تلك المخلوقات حتى الآن، لن تتحقق إلَّا عندما تتعرض لهجومٍ من أحدهم، ولن تنجو بدون مساعدتنا!

أمسك القائد بلجام جواده ليشدَّه: ابتعدوا عن الطريق!

أمرَ رايموند غربانه بإفساح الطريق، وقال بنبرةٍ ساخرة: ستجدني هنا عندما تحتاج إلى مساعدتي، ولكن لا تنسَ أن تحضر معك مبلغاً سخيّاً، فالغربان لا يقدِّمون خدماتهم بالمجَّان!

❁❁❁

في تلك الليلة..

في إحدى الحانات الواقعة في أرياف لورديور، وبعد أن أطفأ مالك الحانة الشموع، اتجه نحو الشاب الثمل الذي يجلس في إحدى الزوايا، مُديراً ظهره للجميع، ليقبع في عزلةٍ تامةٍ، ومولِّياً وجهه للزاوية وكأنه يعبدها، صاح به المالك: هذه هي المرَّة الخامسة التي

أنبِّهُك فيها إلى أننا سنغلق الحانة!.. هل أنت أصمُّ أيها اللورد؟.. إني أطلب منك المغادرة!

التفت بيلموت إليه أخيراً بعد فترةٍ من التجاهل، وكانت نظرته خاويةً من أي شعور، عندما نطق: من الأفضل لك ألَّا تُغضبني الآن!.. دعني وشأني!

ولكنَّ المالك قال بنفاد صبر: سيقوم رجالي بطردك بالعنف، إن لم تتزحزح عن مقعدك!

نهض بيلموت بتباطؤ، واتجه نحو باب الحانة بخطواتٍ ثقيلة، ثم أغلقه والتفت إلى مالك الحانة والعاملين معه، وقال: سأجعلك تشاهد أنت ورجالك كيف يكون العنف!.. وللأسف، لن يتمكن أحدكم من تحديث الآخرين عمّا سيشاهده، لأن هذه هي.. لحظاتكم الأخيرة!

وفي غمضة عين، هجم عليهم وقتلهم واحداً تلو الآخر، وتجرَّع دماءهم، ثم نظر إلى جثة مالك الحانة، وقال: أنا بارد الأعصاب دائماً، ولكن هذه الليلة كانت من سوء حظك، لأنها المرة الأولى التي أغضب بها!.. فشقيقي يستبدُّ ويتمادى كما يهوى، يسرق الشمس ثم يحاول إلقائي في الظِّلال!

ثم قال مفكراً بعد أن هدأت أنفاسه: لا بأس بالعمل في الظلال، فهي تلائمني أكثر، لأني أجيد التخفِّي والانزواء، ولا أبحث عن مجدٍ ولا صيت، إنما أبحث عمَّا يرضي مزاجي ورغباتي الجامحة!.. ففي الظلال.. يُمكن للناس فعل ما لا يجرؤون عليه تحت الأضواء، فالأعمال القذِرة تُدبَّر في الخفاء، بعيداً عن الأعين وسلطة القانون، ودائماً.. يلجأ الناس للظلِّ عندما تكون الشمس حارقة، وسيجدون بيلموت دوماً.. هناك!

واختتم بنبرته الساخرة: على كلٍّ، سأغادر حانتك الآن كما طلبت، فلم يكن لإلحاحك داعٍ.

وبعد منتصف الليل..

وخلف قضبان زنزانتها المظلمة، تفاجأت ديميتير عندما سمعت خبراً مثيراً أثناء تنصُّتها على حرّاس السجن، حيث قال أحدهم: وجدوا القاضي مشقوق الرقبة في منزله، الجميع يتساءلون عن مقتله الغامض، فلم يسمع أحد جيرانه أي جلبةٍ، كيف تسلَّل القاتل إلى منزله؟ وكيف قتله؟.. لا أحد يعرف!

وقال حارسٌ آخر: هل يمكن أنَّ الأميرة أرسلَت من يقتله؟

أجاب آخر: ربما، ولكنَّ أعداء القاضي كثُر، وليست الأميرة فحسب، فكل الجناة الذين حكم عليهم.. يتمنَّون موته!

سمعَت ديميتير خطواتٍ قريبة، فالتفتت لترى الحارس ذاته الذي دسَّ الورقة في ثيابها، وقد عبَر بخفَّةٍ أمام زنزانتها ثم ألقى بورقةٍ أخرى عبر القضبان، ففتحتها لتقرأ:

(حليفكِ قام بالانتقام لكِ من القاضي، أتمنى أن تكوني وثقتِ بي الآن، لن يتم إعدامكِ، لأنني سأعمل على تهريبكِ، وسأرسل لكِ التعليمات قريباً.)

همست للحارس: من أنتَ؟.. ومن هو المُرسِل؟

فاقترب من زنزانتها وأسند ظهره إليها متظاهراً بحراستها، ثم همس مُجيباً بنبرةٍ حذرة: المُرسِل شابٌّ ملثَّم، لا يمكنني تبيُّن هويته، إنني أقوم بإيصال الرسائل مقابل المال، مخاطراً بوظيفتي وحياتي، ويجب أن أتوقف عن هذا!

https://t.me/fantazynov

في اليوم التالي..

في منزل آل بونيفيل..

اجتمع أفراد العائلة بناءً على طلبٍ من الدوقة ميرابيل، التي قالت: قد يتساءل الجميع لمَ جمعتُكم اليوم، ولكن كما عهِدنا وتعاهدنا أن نبقى متآزرين، ومحافظين على قسَمنا ووحدتنا، وكذلك، معاقبة من يتجاوز مبادئنا!

وبلا مقدماتٍ اتجهت نحو أغلاي وأمسكت بيدِها لتكشف بعنفٍ عن معصمها ورقبتها، وقالت: أغلاي بونيفيل، هل تودِّين إخبارنا عن هذا؟

كانت تلك اللحظة مُهينةً جدّاً لأغلاي، فقد أخذت الأعين ترمقها بازدراءٍ ولوم، شعرت بأنها منبوذةٌ بين أشخاصٍ اعتقدت يوماً أنهم أهلها والحضن الحنون الذي يحتويها، شعرت بأنها في منزلٍ مشؤومٍ ظنَّت يوماً أنه السقف الآمن الذي يؤويها. نظرت إلى إيمانويل لتستنجد به، ولكنَّه صدَّ عنها ولم يتدخل للدفاع عنها، وتخلَّى عنها. فالتفتت إلى بيلموت الذي كان السبب في معاناتها وتدمير عشقها، وكما كان متوقعاً منه، فقد ابتسم ببرودٍ ولا مبالاة.

قامت الدوقة بعرضِ آثار العضِّ على الدوق على نحوٍ مُهين: انظر!.. هذا ما كنا نحاول منع أبنائنا منه!!.. لقدَ أفسَدتَهم بإدخال هذه البشرية إلى منزلنا!

طأطأ إيبير رأسه، ثم تقدَّم نحو أغلاي، وأبعد يديْ زوجته عنها بهدوءٍ وقال: يكفي!

شعرت أغلاي بأنه كان تصرفاً عطوفاً من الدوق، فهو الوحيد الذي ينظر إليها كابنة أخٍ وكفردٍ حقيقيٍّ من العائلة، لولا أنه يُفضِّل البقية عليها. وقف أمامها ثم سأل بنبرةٍ حادة: لمَ كسَرتَ القَسَم.. يا إيمانويل؟

ابتلعت أغلاي ريقها الجاف ونظرت إلى إيمانويل، فها هي اللحظة التي تتطلب أن

يعترف إيفانويل عن مشاعره تجاهها، وعن رغبته بالزواج منها، إنها اللحظة التي ستُثبت حبه، ومسؤوليته الكاملة.

التفت الجميع إليه في ترقب، فكانت الصاعقة، عندما أجاب دون أن ينظر إليها: كانت نزوةً أيها الدوق، وأنا مستعدٌّ لتحمُّل العقوبة التي ستفرض علي نظير كسري للقسَم!

وبزاوية عينه، رمق شقيقه الذي كان يقف في الظل، ويبادله تلك النظرة العميقة، متجاهلاً أغلاي التي ارتعشت بصدمة، وظلَّت تُحملق به بخذلان، وأدرَكت أنَّ هذا هو انتقامه منها.

❁❁❁

(رومبيانيا)

سلَك الجيش البانسلي طريقاً مختصراً للعودة إلى الوطن، وعندما توقف الجنود للاغتسال في النهر، جلست زوي بعيداً، إلى أن اقترب أحدهم منها، وسألها: لمَ لم تذهب للاغتسال يا ليون؟.. انظر إلى الدماء التي تُغطي ثيابك!.. ورائحتك النتنة!.. هل ستظلّ هكذا طوال الرحلة إلى بانسيلينوس؟

ارتبكت زوي وتلعثمت، حتى أتى مُنقذها ألارد، وجذبها قائلاً: ليون كان ينتظرني!.. هيا، فلنذهب للاغتسال معاً!

وخطا معها بعيداً عن أنظار الجند، ثم قال: سأنتظركِ هنا، تلك المنطقة خاليةٌ تماماً، أسرعي!

نظرت إليه بامتنان، ثم ركضت نحو النهر وخلعت ثيابها القذرة وأخذت تدعكُها لتزيل بقع الدماء، ثم قامت بتعليقها على أحد الأغصان لتجفّ، وغاصت بجسدها في الماء ثم أخرجت رأسها لتلقط نفَساً بانتعاش، وتهزَّ رأسها لتتناثر قطرات الماء من شعرها القصير المبلل.

قام أحد القادة باستدعاء ألارد على عجلٍ لأمرٍ طارئ، فاضطر مجبراً أن يلحق بالقائد الغاضب، وترك حراسة زوي.

سبَحت زوي نحو اليابسة، وأثناء خروجها من الماء فوجئت بأحد الجنود ينظر إليها مذهولاً.

وفور أن التقت أعينهما، نطق مصدوماً: ليون، أنتِ.. فتاة؟!

وهرع راكضاً نحو المعسكر وهو يصيح: هناك فتاةٌ بين جنودنا!!

ارتبكت زوي ونظرت إلى ثيابها المعلَّقة بعيداً عنها، ثم إلى الجندي الذي كان يركض بجنون، ووقعت في حيرةٍ في تلك الثواني السريعة، فإمَّا أن تختار بين ارتداء ثيابها أو إيقافه عن فضحها، فاتخذت قرارها العاجل، وخرجت من النهر لتلحق به بسرعتها الخارقة، وقبل أن يقترب من المعسكر، شعر بجسدها المبلل يقفز على ظهره، وبفكِّها القوي ينقضُّ على رقبته، وقبل أن يتمكن من الصراخ وطلب النجدة، قضَت زوي على حياته ومزَّقت رقبته بأنيابها، ثم راقبت جثته أثناء سقوطها، ونظرت إلى الدماء التي غطَّت جسدها، ثم التفتت إلى النهر وفكرت بأنها لن تستطيع إلقاء جثته به، فسيطفو على السطح وسيسهل العثور عليه، والحرق سيجذب الانتباه للدخان، والدفن.. قد يؤخرها، لكنَّه كان الخيار الأمثل.

قامت بالتقاط غصنٍ وحفرت به الأرض بكل طاقتها وسرعتها، ثم جذبت جثته إلى تلك الحفرة العشوائية، والتي لم تكن عميقةً بما فيه الكفاية، ثم قامت بتغطية القبر بالشُّجيرات، وأملَت ألَّا يجدوه.

قفزت في النهر لتغسل جسدها من دمائه، وخرجت سريعاً عندما سمعت صوت خطوات، فجذبت ثيابها بسرعةٍ لتستر جسدها، وظهر من بين الأشجار شخصٌ لم

تكن تتوقع رؤيته أبداً.

ذهلت واتسعت عيناها: ألـ.. أليكسيو؟!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

زار أبوليون منزل آل بيلغرين، وشاهد داناي تقف أمامه، فاتسعت حدقتا عينيه، وظلَّت تنظر إليه مشدوهةً، وكيف تنساه!.. إنه أول وجهٍ تتذكره من حياتها، الرجل الذي انتشلها من غابات الشرق في رومبيانيا، ورحل بها إلى منزل أبراكساس في لورديور، الرجل الذي لا تعرف هل هي ممتنةٌ له لإنقاذه لها وعنايته بها، أو هي حاقدةٌ عليه لتركه لها في مصيرٍ بائسٍ.

وبعد أن أخبرهم أبوليون بالقصة كاملةً، قال: اضطررتُ لوضعِها في مكانٍ آمن لدى شخصٍ يدعى أبراكساس في لورديور، كان يؤوي الأطفال ويطعمهم مقابل أن يعملوا لأجله، إلَّا أنني لم أجده في زيارتي الأخيرة للورديور، سألتُ عنه، وللأسف أخبروني أنه وُجد مقتولاً وهجر أطفاله المكان دون أن يعرف أحدٌ السبب!

بكَت السيدة بيلغرين وانهارت عند سماعها لذلك، واحتضنت ابنتها: طفلتي، هل مرَرتِ بكل تلك المعاناة؟!.. آه يا صغيرتي ماذا فعلوا بك!!.. أي بؤسٍ عشتِه بعيداً عني؟

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

كلما كان أرام يهجم على النساء من ضحاياه، ويشرب دماءهن بينما يصمُّ صوت صرخاتهن أذنيه، ثمَّة صورةٌ تظهر دائماً في ذهنه، وجه داناي.. وصوتها العذب، عندما كانت تغني تلك الأغنية القديمة، عن أطفالٍ بؤساء.. يستجدون المال كي يبتسموا.

الأمر الذي يدفعه لضرب رأس ضحيته بالحائط، حتى تسقط جثةً على الأرض، ويتوقف صراخها. كان يفعل هذا في كل مرةٍ ليتخلص من تلك الصورة المزعجة التي تعبُر ذهنه باستمرار.

❁❁❁

(رومبيانيا)

نطق أليكسيو بعد أن شاهد وجهها الفزِع: زوي!.. اهدئي!.. هل أنتِ بخير؟

ثم قال: رأيتكِ تدفنين ذلك الجندي!

تفاجأت وشعرت بالحرج: هـ.. هل.. رأيتني؟!

قال بجدية: زوي!.. أنا بصفِّكِ دائماً!.. قد يصدمكِ هذا، ولكنِّي أعرف كل شيءٍ عنك، ويتوجب عليَّ إخبارك بأن بالتازار قام بتحويلي إلى مصاص دماء!.. وقد قبض على آرميل بواسطة تعويذةٍ صنعتها ساحرته كالغينيا!.. إنه ينوي فعل المثلِ معك!.. لذا قطعتُ الطريق ثلاثة أيامٍ بلياليها وبلا توقف، وتتبَّعتُ سير الجيش، فقط لكي أنقذك!.. أنا هنا لأساعدكِ على الهرب إلى أراضي الشمال البعيدة!

ظهرت على وجهها تعابير التردد والحيرة الممتزجين بالخوف، فقال: أعلمُ بأنكِ مشتَّتة، فظهوري أمامكِ كان مُربكاً، لا يتوجب عليكِ أن تقرري الآن..

ثم توقف عن الحديث عندما سمِع صوت خطواتٍ تقترب، وقال: سأمنحكِ وقتاً للتفكير، وسأنتظركِ الليلة أمام هذه الشجرة، لتخبريني بقرارك!

ثم رحل في غمضة عينٍ عندما اقترب ألارد قائلاً: أعتذرُ عن تركي لحراستك!.. أتمنى أنكِ..

ولكنَّه لاحظ وجهها الشاحب فسألها: ما الأمر؟!

أخبرته بأنها قتلَتْ جندياً كاد يفضحها، وبأن سريَّته ستفتقد وجوده قريباً وقد يعثرون على جثته، ففكر ألارد ثم قال: حسناً، لا تقلقي!.. دعي الأمر لي!

ولكنَّه لاحظ أنها لا تزال حائرة، فسأل: هل هناك أمرٌ آخر يقلقك؟

أجابت: أظنُّ أنك كنتَ محقّاً يا ألارد، ربما يجب علي أن.. أهرب!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

وقفت باربرا أمام منزل بونيفيل، عندما سمِعت بأن مَعشوقها سيصل هذا اليوم، وظلَّت تنتظره رغم برودة الطقس، إلى أن لاح لها من بعيدٍ قادماً فوق جواده، بظهره المنتصب وغروره المتعالي، وعينيه اللتين تفيضان ثقةً وكبرياءَ، كان غيلبرت يستحقر الجميع ويمجِّد ذاته واسم عائلته، ولم يضعف أبداً.. سوى أمام عشقه لأندرونيكا.

ركضت باربرا نحوه بلهفة، وسألته بقلق: هل أنت بخير؟.. ذهبتَ إلى الحرب دون أن أودِّعك، كنتُ قلقةً عليك وأنتظر عودتك بفارغ صبري!

انزعج من مبالغتها في الاهتمام به، وملاحقتها المستمرة له، فسار متجاهلاً إياها، ونزل عن جواده ليربطه في الإصطبل، لكنَّها استمرت بالمشي وراءه كظلِّه، فلم تتمكن من إخفاء شوقها المفضوح، كانت تعلم أنَّ حبها لغيلبرت أضحى مُزرياً وبائساً، إلّا أنها لم تتمكن من كبح مشاعرها الفيَّاضة، فحبها له ما زال حيّاً، ولا تزال تحاول أن تسقيه بقطراتٍ من الأمل.. علَّه يُثمِر.

وقفت أمام باب المنزل لتفتحه قائلةً: مرحباً بعودتك، تفضل بالدخول!

قال بازدراء: هل أحتاج ترحيبكِ لدخول منزلي؟.. هل أصبحتِ سيدة المنزل الآن؟.. أنتِ لا تعيشين هنا، لذا كُفِّي عن مضايقتي والوجود أمامي في كل وقت، وعودي إلى منزلك!

https://t.me/fantazynov

صُدمت وأفلتت مقبض الباب من يدها، ثم قالت بصوتٍ متقطع: كلا، أنت لا.. تحتاجني، أنا.. من يحتـ..

اقترب منها وأمسك بذراعها بعنفٍ وقاطعها سائلاً: ما الذي تريدينه بالضبط؟

كانت دموعها تنهمر بصمت، وتتحاشى النظر إلى عينيه، فاقتربت شفتاه من شفتيها، وسأل: هل هذا ما تريدينه؟

أغمضت عينيها الدامعتين ببطءٍ ودون شعور، لكنَّه ابتعد عنها، وقال قبل أن يدخل ويتركها: أفيقي!.. فلن يحدث هذا أبداً!

فتحت عينيها، لتجد نفسها تقف وحيدةً أمام باب المنزل، بينما يلفح وجهها هواءٌ بارد، ليجفف دموعها، ويُلملم كبرياءها المُحطَّم.

❁❁❁

دخل غيلبرت ووجد والدته في انتظاره، رحَّبت به بشوق، ثم تركته يدخل إلى مكتب والده الدوق، ليقدِّم له تقرير الرحلة.

فقال: تخلَّصنا من ألباين مونبيتيت!.. كان كالشوكة المتطفِّلة، وتم استئصالها أخيراً!

قال إيبير: لم يتم استئصالها بالكامل، فلا تزال دليا مونبيتيت حيَّة، وقد تحاول الثأر!.. رأيتها تقتحم جناح الملكة لتطلب الحديث معها على انفراد، لم يجرؤ أحدٌ على هذا من قبل، وأيّاً كان السبب الذي جاءت لأجله، فإنها لم تُرِد مني سماعه!

❁❁❁

(رومبيانيا)

في تلك الليلة..

وقفت زوي أمام أليكسيو، الذي كان بانتظارها عند الشجرة، وقالت بنبرةٍ جادة: أنا مستعدةٌ للرحيل!

كانت تتجرع غصَّةً مؤلمة، بينما يُسابق حصانها الريح، ويُبعدها شيئاً فشيئاً عن المعسكر، إنها تترك محبوبها خلفها، هكذا فجأةً، فلم يتسنَّ لها توديعه، وفي الواقع، لم تكن ترغب بالخوض في لحظات الوداع، لأنها ستُضعِفها، وقد تَثنيها عن قرارها. فاكتفت بتأمُّل عينيه بنظرةٍ سريعةٍ، علَّها تحفظ صورة لمعانها في ذاكرتها، لكي تُسلِّي قلبها بتلك الصورة في الليالي الموحشة.

قال لها أليكسيو: يمكن لكالغينيا تحديد مكاني ومكانكِ أيضاً، لذا علينا الاستمرار بالهرب إلى ما لا نهاية، إن توقفتِ فسيمسك الفيركولاس بك، وستصبحين دميةً قتاليةً بأيديهم، كما يفعلون بآرميل الآن!

شدَّت لجام حصانها ليُهدِّئ من سرعته تدريجيّاً ويتوقف، ثم سألت بنظراتٍ مترددة: لمَ لم تخبرني بهذا قبلاً؟.. ما فائدة هربي إذاً؟!

صمت أليكسيو مذهولاً عندما غيَّرت اتجاه سيرها للعودة: لا يمكنني الهرب طيلة حياتي، فتلك الحياة لا تلائمني، لقد اكتفيتُ من الفرار والاختباء، ويجب أن أواجه أعدائي!.. شكراً لعنائك يا أليكسيو، أنا ممتنةٌ لكل ما فعلته لأجلي، ولكنِّي سأعود إلى بانسيلينوس!

فاجأها بسؤاله: هل ستعودين.. بسبب ألارد؟

هزَّها ذلك السؤال وأصابها برعشةٍ كزلزالٍ عنيفٍ، واقشعرَّ بدنها في لحظةٍ من الجمود، فابتلعت ريقها وتساءلت: «كيف له أن.. يعرف؟»

فالتفتت وسألته: أليكسيو، أظنُّ أنك التقيتَ بشخصٍ يعرف الكثير عني؟

أجاب بابتسامةٍ هادئةٍ بعد أن شعر أنه أصاب نقطة ضعفها: إيمانويل بونيفيل!

رفَعت اللجام وضربته، فصاح بها قبل أن ترحل: توقفي!.. هل تنوين مواجهة بالتازار؟!.. ستعبثين بالنار، وتحترقين بها!

❁❁❁

قبل بضعة أيام:

{مدَّ له أليكسيو رسالةً مختومةً، وقال: سلِّمها إلى الدوق إيبير، إنها من بالتازار.

ثم ركب حصانه وأخبره بأنه ذاهبٌ إلى رومبيانيا، فاستوقفه إيمانويل بسيفه: اتفقنا على تسليم آرميل فقط، ولن أسمح لك بتعقُّب زوي!

ردَّ أليكسيو بابتسامةٍ ساخرة: صدِّقني، زوي بمثابة ابنتي، ولن أوذيها أبداً!

فهم إيمانويل الأمر: هل تخبرني بأنك ستهرب معها من بالتازار؟

أومأ أليكسيو برأسه، فقال إيمانويل: ربما لن تجدها ضمن صفوف الجيش، فقد أرسلتُ لها تحذيراً، وربما هي الآن قد تجاوزت حدود رومبيانيا لأرضٍ أبعد!

ركب أليكسيو صهوة جواده وقال: أتمنى هذا، لأنها عنيدة!

إيمانويل مؤيداً: إن كان هناك دافعٌ لعِنادها، فهو الشاب الذي تعشقه، ألارد، السبب في انضمامها للجيش!}.

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

ظلَّت أغلاي تحدق في النجوم عبر شرفتها، وقد أدركت أنها أخطأت بقرار انضمامها

لعائلة وحوشٍ لئيمة، لم تشعر بالأمان والحب، ولم تعُد تحتاجه، فشغفها بالمال والترف أولى، وستتبع هذا الشغف إلى النهاية، فقد استمر آل بونيفيل بمضايقتها ليس لكونها ابنة خطيئةٍ فحسب، بل لكونها بشريةً أيضاً، وأصبحت دماؤها وسيلةً لاستغلالها من قِبلهم، لم تعد ترضى بهذا الذل، فقد ضاقت ذرعاً، وقررت الرحيل إلى القصر، لتسكن مع وصيفات الملكة. وبينما كانت توضِّب حاجياتها، التقطت التمثال الصغير الذي جلبه والدها من كروفستروفا، والهوية التي كانت تربطه بوطنه، وفهمت كم كان متمسكاً بانتمائه، وتساءلت: «هل عليَّ أن أتمسك بانتمائي أنا أيضاً؟.. لم أشعر به هنا، ولا أظن أني سأشعر به في أي مكانٍ آخر، أنا آسفة يا والدي.. سأترك ماضيك ورائي، فقد ندمتُ على أنني نبَّشتُ عنه، لم أعد أعرف.. هل علي أن أحبك.. أم أكرهك لأنك ربطتني بلعنة بونيفيل؟».

وقف بيلموت أمام باب المنزل مستوقفاً شقيقه وقد بدا جادّاً على غير عادته، عندما قال: هناك شيءٌ يجب أن تسمعه!

دفعه إيمانويل عن طريقه دون أن يتحدث، فلم يعد يحتمل رؤية وجه أخيه بعد أن غدر به، إلَّا أن بيلموت تشبث بمقبض الباب وأصرَّ على الحديث: حسناً، لا تنظر إلي، واستمع فقط!.. سأخبرك عن السبب!

توقف إيمانويل مُرغَماً، وحدَّق في زجاج الباب الذي كان يعكس إضاءة الشموع المتراقصة بداخل المنزل، ونطق شقيقه: كانت ترفض خيانتك، أنا من ابتزَّها وأجبرها على ذلك، لطالما حلمتُ بشرب دمها منذ دخولها لهذا المنزل، سمعتُها تبوح للأميرة عن سرِّ العائلة، وهدَّدتها بفضحها، ومقابل صمتي، قدَّمَت لي دماءها!.. إنها تحاول الرحيل الآن!.. الحق بها إن كنت مهتمّاً!

ثم قال: ها أنا أخبرك بهذا، فقط لأنك تحمَّلت لوم الدوق نيابةً عني!.. رددتُ لكَ جميلك، لأني أعرف بأنك ستستخدمه لإذلالي، انتهى الأمر الآن.. ولن أكون ممتنّاً لك بعدها!

لم يقل إيمانويل شيئاً، بل التفت في غمضة عين، وأخذ يضربه بعنفٍ إلى أن كسر أنفه، ثم ترك جسده الدامي ملقىً أمام الباب، وصعد نحو حجرتها ليمنعها عن الرحيل.

حملت أغلاي حقائبها وأطفأت شموع حجرتها على عجل، لترحل قبل أن يعود أفراد العائلة من أُمسيتهم، لكنَّها تفاجأت عندما رأته يقف أمامها، لم يلبث طويلاً حتى نطق بحسرة: لم أكن أعرف أن بيلموت هددك!.. آنستي، أنا آسفٌ لكل ما حدث لكِ!

نظر إلى أمتعتها ثم أمسك بيدها بقوة: إلى أين تذهبين؟!.. ستبقين هنا!

نظرت إلى يده، وقالت محاولةً الإفلات: اترك يدي!

نهرَته وهي تحاول رغم العتمة أن تنظر إليه والدموع في عينيها، وقالت بحزم: لا يمكننا أن نكون معاً!.. عليك أن تفهم هذا!.. يجب أن أغادر هذا المنزل!.. اترك يدي!!

فقال وقلبه يعتصر: لن تذهبي إلى أي مكان!.. لن أسمح لأحدٍ منهم بإيذائك!.. ليس بعد الآن!

صمتت عندما ظهرت لها شفتاه من خلال العتمة، كانتا تلهثان تعباً، واقتربت أنفاسه أكثر، فأغمضت عينيها، ثم دفعته بانفعال: ابتعد!!.. ابتعد عني!!.. لا أريد رؤيتك!

ابتعد إيمانويل على مهل، وسأل: أواثقةٌ أن هذا ما يريده قلبكِ؟

رمقته بنظرةٍ محتقرة، ثم حملت أمتعتها ورحلت.

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الثالث عشر

«١٣»

https://t.me/fantazynov

في صباح اليوم التالي..

(رومبيانيا)

عندما تأهب الجيش للرحيل، أعلن أحد الرقباء أن جنديّاً مفقودٌ من سريَّته، وعرَفَ ألارد بأنه الجندي الذي قتلته زوي، فأجاب بأنه شاهده يهرب الليلة الماضية، وكذلك افتقد الكونت أرماند وجود زوي، فقد كان يحاول إبقاءها أمام ناظريه، حيث أراد إعادتها معه إلى بانسيلينوس طوعاً لا إكراهاً، ليجعلها تسير إلى الفخ بقدميها، ولكن الشكوك راودته الآن بأنها هربت، فبحث عنها وأوشك أن يُرسل من يلحق بها ويقبض عليها، إلّا أنه هدأ فور أن رآها تقترب على ظهر حصانها، وتفاجأ ألارد من رؤيتها، كانت تلهث وتبتسم بثقةٍ وأحاطت بها هالةٌ من الشجاعة، حيث تبدَّدت مخاوفها ولم تعد تأبه بشيء، فإما أن تنتصر على أعدائها أو تموت ببسالة، ولا خيار ثالث في قاموس الجبناء، فقد وُلِدَت شُجاعة، وستموت شُجاعة..

ابتسم لها ألارد بخيبة: «إنها زوي، لا تكترث للصواب والخطأ، لأنها ستفعل ما تراه هي صواباً.. دائماً، وأنا أفهم الآن.. ما تعنيه هذه النظرة المتمردة.»

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ أورانوس)

حاصر جيش أفروديت البلدة، وأرسَل القائد رسولاً إلى الفيركولاس ليُبلِغَهم أن الملكة أفروديت تأمرهم بالاستسلام والانسحاب من البلدة ومغادرة مملكتها دون قتال، وإذا لم يستجيبوا لأوامرها فإن جيشها سيُبيدهم عن آخِرهم.

إلَّا أن الرسول لم يعُد، وساد هدوءٌ مريبٌ في المكان، فأخذ الجنود يترقَّبون مواجهة عدوِّهم الوحشي بأنفاسٍ مرعوبة. بدا المكان عاديّاً، كانت السماء صافيةً، والشمس ساطعة، والطيور تُحلِّق بسَكينة، لا شيء يدلُّ على وجود خطر، ظلَّ السلام يحيط بتلك

الأجواء، مما بعث الاسترخاء في نفوس الجنود، ففكر بعضهم بأن الفيركولاس قد يحاولون المفاوضة، أو ربما يناقشون خيار الاستسلام.

إلّا أن الوحوش ظهرت فجأةً من العدم وتقافزت على الجُند من كل صوب، كانت هجمةً مفزعةً ارتعدت معها قلوب البانسليين، فهدوء ما قبل العاصفة كان مُتعمَّداً بهدف إرخاء دفاعاتهم، وكان أرام يعتلي حصانه ويشاهد النصر السهل الذي حقَّقه بالهجمة المباغِتة، فبعد أن كلَّفه بالتازار بقيادة المعركة، عَمِل على وضع هذه الخطة الناجحة.

وفي غضون دقائق، تمزَّقت الرقاب وتناثرت الأشلاء في حمَّامٍ دموي مرعب، فذُعر الجيش البانسلي وآثر جنوده الهرب بعد أن شاهدوا تلك المخلوقات المتعطشة للدم، بأنيابها وأعينها الحمراء المضيئة. وبعد أن هُزم جيشه في لحظاتٍ سريعة، وخسر عدداً كبيراً من صفوفه، شحَب وجه القائد من شدَّة الهلع، ودون تردُّدٍ أمر جنوده بالانسحاب.

❁❁❁

في اليوم التالي..

في المجلس الملكي..

بعد أن وصلتها الأنباء المفجعة عن معركة الفيركولاس، أرسلت الملكة لقائد جيشها في أورانوس تأمره بالتراجع عن المنطقة إلى أن تصل إمدادات الملك رودولف، ويعود جيشها من رومبيانيا. ولكنَّ المفاجأة وصلتها في رسالةٍ عاجلة، أفادت بأن الفيركولاس بدؤوا بالزحف نحو العاصمة لورديور!

فقال الكاهن أرتشيم: وفقاً للتقويم الفلكي، ستحدث ظاهرة القمر الأحمر بعد خمسة أيام!!.. تلك الكائنات ستتضاعف قواها تزامناً مع احمرار القمر والطاقة الهائلة التي

ستنبعث منه، وهذا هو سبب تخطيطهم للهجوم على لورديور في ذلك الموعد!

بدأ التوتر يحيط بالحضور في المجلس الملكي، واقترب منها الكاهن لينقل إليها خبراً كالصاعقة التي دفعتها إلى حافَّة الانهيار: ولكن، يؤسفني إبلاغ جلالتك!.. هناك خبرٌ سيئ، سيئٌ للغاية!.. فحسب تنبؤاتي وحساباتي الفلكية، إنها لن تكون.. ليلةً واحدة!!

التفتت إليه بعلامات استفهامٍ على وجهها، فأردف: سيستمر القمر بلونه الأحمر لثلاث ليالٍ، إنها المرة الأولى في التاريخ الفلكي!.. سيُبطئ القمر والأرض من حركة دورانهما عند نقطة تعامدهما في خطٍّ واحدٍ مع الشمس!

جلسَت وتنهدت بوجهٍ شاحب، وقالت لرجال حاشيتها الملتفِّين حولها بأعينهم المذعورة: لا أعرف ماذا أفعل، سأدافع عن بانسيلينوس حتى النهاية ولن أستسلم، ولا يهم إن كانوا يفوقوننا قوةً، فإما نحن أو هم!.. وإما الحياة أو الموت!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

كان مساءً أشبه بالحلم، في منزل عائلتها الذي كانت جنباته تُشكِّل جزءاً من ذاكرتها العميقة، والتي أخذت تتجلى كومضاتٍ سريعة، تعزف مع دقات قلبها.. كسمفيونيةٍ عتيقةٍ ذات لحنٍ دافئ، تسافر بها عبر الزمن، وبين تلك الأروقة والحجرات، ملامسةً الجدران، والأثاث الخشبي المعتَّق، شاهدت الكرسي المتأرجح الذي اعتادت والدتها الجلوس عليه لغزل الصوف، والسرير الوثير الذي كانت تنام عليه مع شقيقتها، والأرجوحة المهترئة في طرف الحديقة، والتي طالما لعبت بها مع غـ..

غصَّت عندما تذكَّرت اسمه، وأغمضت عينيها وعقدت حاجبيها، وأمسكت برأسها في محاولةٍ لاستعادة تلك الذاكرة المحوة، ونطقت: غيلبرت!

ففهمت والدتها ما كانت تُصارع لأجله، وأجابتها: غيلبرت بونيفيل، الشاب الذي ساعدكِ في العودة إلينا، كنت تلعبين معه بالأرجوحة كلما قدم لزيارتنا من

بانسيلينوس!

قالت ميليسا مضيفةً: جاء لزيارتنا ليسأل عنك، ثم رحل وعاد بكِ!.. كانت مصادفةً غريبة!.. أليس كذلك؟

التفتت الأم إلى زوجها ألبرت وهمست بحذر: هل تتذكر أندرونيكا من نكون.. فعلاً؟

فأجاب: ستتذكر كل شيءٍ تدريجيّاً، لا تتعجلي يا عزيزتي، أندرونيكا تحتاج وقتاً وشعوراً بالأمان، وسنحرص على احتوائها ومساعدتها على التأقلم!

❁❁❁

مع إشراقة الصباح..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

احتفلت العاصمة بعودة الجيش المنتصر من رومبيانيا، وانحنى أرماند أمام الملكة مقدِّماً صندوقاً خشبيّاً وهو يقول: هذا هو تحقيق وعدي، وعربون امتنان الملك أرجوس لجلالتك!

فنهضت لتحدق برأس بيلزبيل المتعفِّن الدامي، في لحظةٍ خُطِفت بها أنفاسها، وشعرت بنشوة الانتصار.

كما قدَّم إليها رسالة شكرٍ من أرجوس مع العديد من الهدايا الثمينة من تراث رومبيانيا، أخبرها في الرسالة بأنه بدأ العمل على إصلاح الأمور في رومبيانيا والنظر في احتياجات شعبه للنهوض بمملكته من جديد، ووعدها بأنه سيعمل على تقوية العلاقة بين المملكتين والتحالف معها ضد الأعداء، فأعلنت أفروديت التحالف مع رومبيانيا رسميّاً، وأمرت بإقامة الاحتفالات بهذه المناسبة.

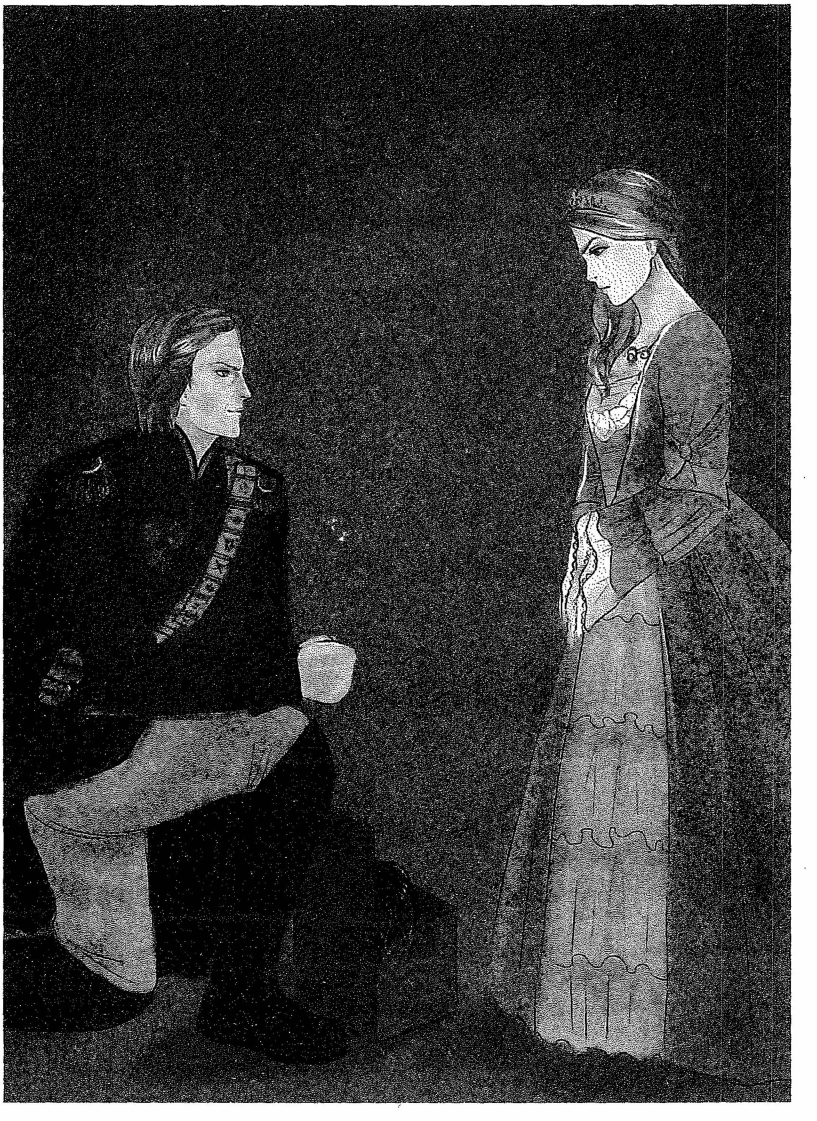

وفي تلك الليلة..

صخبت لورديور بالأغاني والموسيقى والرقصات احتفالاً بانتصار الجيش البانسلي وتحالف المملكتين، وأضاءت لورديور كنجمةٍ وسط الفضاء المُعتِم، وكأنها لا تبالي بمن يزحف نحوها في الظلام ويعزم على تدميرها.

وأطلَّ الكاهن آرتشيم من نافذة معبَدِه العتيق، ونظر نحو السماء التي شاركت هذا الاحتفال بنجومها الصغيرة وقمرها المُشع، وتذكَّر نبوءته التي أسرَّ بها إلى الملك أليكساندروس:

{كان الكاهن أرتشيم يجلس على يسار الملك، ابتسم بتواضعٍ وقال: جلالتكم!.. ستتحسن الأمور بين بانسيلينوس وروميبانيا!..وستّتحدان قريباً!

التفت أليكساندروس إليه مستغرباً، وخفض كأسه ثم سأل: هل حقّاً ما تقول؟.. هل سيتنازل هيروديون ويطلب الصلح منا؟

ابتسم الكاهن بهدوءٍ ثم قال: ليس الملك هيروديون، بل ملكٌ آخرُ من آل رونثو!}.

نطق أرتشيم بابتسامةٍ هادئة: لم تعِش طويلاً أيها الملك، لترى نبوءتي تتحقق!

❁❁❁

وفي مكتب الدوق..

اجتمع الدوق إيبير بشقيقه الكونت وتبادلا الحديث عن الأمور التي كان إيبير يديرها طوال فترة غياب أرماند، وخلال ذلك، تطرَّق الدوق للشؤون العائلية، عندما قال: كان إيمانويل يبحث عن ثأره من خلال مساعدة ساحرة الفيركولاس!

التزم أرماند الصمت، ورمشت عيناه بهدوء، فأردف إيبير: بعثتُه لمفاوضة بالتازار على الانسحاب من أورانوس مقابل تسليمه المستحدث آرميل، وكان هو الثمن لتلك المقايضة!.. إلّا أن بالتازار نقض العهد وخطَف آرميل من أيدينا!

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

عاد أليكسيو إلى الكهف وركع على ركبته أمام بالتازار: عدتُ من رومبيانيا لتوِّي، ولم أتمكن من القبض على زوي لوجودها المستمرِّ مع أفراد الجيش، من الأفضل أن تنتظر عودتها إلى بانسيلينوس، بحيث يصبح القبض عليها أسهل!

وقبل أن يُبدي بالتازار ردة فعله الساخطة، تدارك أليكسيو الموقف وقال: ولكنني عدتُ بهديةٍ ستعجبك يا سيدي!

بدا الاهتمام على وجه بالتازار وكالغينيا، فرفع أليكسيو رأسه ونظر في عيني بالتازار قائلاً: ولكني أشترط عليك قبل أن أقدم لك الهدية، أن تطلق سراحي، وأن تُسلِّمني كالغينيا الزجاجة التي تحوي خصلة شعري!

وبعد ترددٍ، قرر بالتازار الموافقة على طلبه، طالما كانت الهدية تستحق ذلك، فنهض أليكسيو وقال بثقة: لقد أقنعتُ أنارغيروس رونثو، القائد المنشَق عن الجيش الرومبياني، وهو الآن مستعدٌّ للتحالف معك بجنوده!

تعجَّب بالتازار ولمس ذقنه وقد راقت له الهدية: كيف أقنعته؟

أجاب أليكسيو: بدلاً من هدر الوقت في محاولة القبض على زوي، بحثت عنه في أراضي رومبيانيا، وعندما التقيتُه عرضتُ عليه الفكرة، ورغم توجُّسه إلَّا أنني أوضحتُ له أنه والفيركولاس يتشاركان العدو نفسه، أفروديت غاريس، وأرجوس رونثو، ثم عرضتُ له قواي كمصاص دماء، وأقنعته بأنها ستُضيف قوةً عظيمةً له ولرجاله، إذا أرادوا الحصول عليها بالتنازل عن بشريتهم.. والتحوّل إلى مصاصي دماء..

ثم قال: وأنت يا سيدي، تحتاج لخبرته العسكرية!

أجاب بالتازار: أليكسيو، أنت مكسبٌ لأي جيشٍ تعمل به!.. وأنا مترددٌ بالتفريط

بك، ربما أفي بوعدي وأُطلق سراحك، ولكنَّك قد تعمل ضدنا مع جيش أفروديت!.. فلمَ أُبقيك حيّاً؟

أجاب أليكسيو: عندما أرسَلتَني خلف آرميل إلى لورديور، كان بإمكاني طلب الحماية من الملكة، أنا أخاطر الآن بعودتي إلى وكرك، كما أن تقديمي دعماً عسكريّاً لك، يُعدُّ تعبيراً عن عدم اكتراثي بمصير عدوك!.. أريد العيش بسلامٍ وحدي، كما كُنت أفعل، بعيداً عن كل هذا!

ابتسم بالتازار بتهكم: كجنديٍّ سابق، لا أظن السلام يلائمك، فلا نهاية لحياة الجندي إلَّا بالموت في أرض المعركة!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القسم العسكري..

أُقيمت مراسم تكريم الجيش، ودخلت أفروديت لتعتلي المنصة وتنظر إلى جيشها بفخر، وقامت بتقليد الجنود أوسمة الشرف، ومنحت ترقياتٍ لبعضهم حسب القائمة التي اقترحها قادة الجيش، وكانت القائمة تشمل ألارد الذي تمَّت ترقيته إلى رتبة قائد، وقف ألارد برهبةٍ أمام الملكة أفروديت، حيث كانت لحظةً أشبه بالحلم بالنسبة إليه، عندما نظرت الملكة في عينيه وابتسمت بحفاوة.

ألقَت أفروديت خطابها على جنودها: بَسَالتكُم لم تنتهِ، وطريق بانسيلينوس في الصمود والكفاح لم يتوقف، فنحن مقبلون على خطرٍ عظيم، وسنقف صفّاً واحداً أمام من يحاول الاعتداء على أرضنا، وستكون سيوفنا، هي الفاصل بين النصر.. وشرف الموت!

أذعن الجنود لكلماتها التي هزَّت مشاعرهم، وأشعلت بهم روح القتال، فوقف أرماند

بجانبها آمراً جنوده: فلتخلعوا سُتراتكم وتركعوا للملكة، ولتكشفوا عن جراحكم وتظهروا لها مقدار قوّتكم!

ظهرت الدهشة على وجوه الجند، ولكنَّهم ما لبثوا أن خضعوا لأوامره، وبدؤوا بخلع ستراتهم لتُكشف صدورهم وظهورهم الدامية، وركعوا على ركبهم واحداً تلو الآخر..

قال أرماند: ستُخلَّد هذه الندبات كوسمٍ للولاء لهذه الأرض!.. وكرمزٍ لقوة رجالها!

احتبست أنفاس ألارد فالتفت بسرعةٍ نحو زوي، ووجدها تقف كتمثالٍ مرعوب، كانت تشعر بأنها علِقَت في لحظةٍ من توقف الزمن، كل شيءٍ بدا ساكناً حولها، لا أصوات ولا أرواحٌ تتنفس، فكأن لم يكن هناك حيٌّ سواها، وكأنها وحيدةٌ على هذا الكوكب، كان عليها أن تتحرك لتعبُر تلك اللحظة من الزمن، وتعود إلى عالم الأحياء، ثم تقرر أي مصيرٍ ستختاره هناك، الموت أم الحياة، العذاب أم الأمان، لعنة بالتازار أم غضب أفروديت، العزلة.. أم البقاء بجانب محبوبها، رفعت عينيها ونظرت إليه، كان يقف بعيداً عنها، لكنَّ روحه كانت حيَّةً بعكس أولئك الموتى من حولها، انبثقت من روحه قوةٌ جذبتها من ذلك التوقف الزمني، فعادت إلى الواقع، ونظرت إلى أرماند الذي كان يحدق بها بابتسامةٍ خبيثة وينتظرها لتخلع ثيابها.

فكرت بعزم: «أنا اخترت هذا الطريق، أنا اخترت هذا المصير، لم أندم ولن أندم، وسأقف شجاعةً.. أمام اختياري!».

كان ألارد يعلم الى أي مدىً هي متوترةٌ وخائفة، وكان يفكر بسرعةٍ جنونية: «إنها خطةٌ وضيعةٌ من أرماند!.. فإذا لم تخلع سترتها، سيتم إجبارها على خلعها، وعندما يُكشفُ جنسها، ستواجه عقوبة الإعدام!.. يجب علي أن أتصرف، سأرفض إزالة سترتي لأدعمها، وقد يفعل جنود سريَّتي المثل احتذاءً بي، عندها لن يقوموا بإجبار عددٍ كبير على تنفيذ الأوامر، وسنُسجن فقط بتهمة التمرُّد!».

ولكنَّ زوي فاجأته عندما اتخذت خطوةً قبل أن يُبادر، فشقَّت الصفوف وتقدَّمت نحو الملكة وركعت أمامها معترفةً بكونها فتاة، ومعلنةً استعدادها لنيل العقوبة!

ووسط ذهول الجميع واستنكارهم لتلك الصدمة، اقترب منها أرماند ووضع قبضته على يدها، وشعرت ببرودة بشرته، فرفعت رأسها لتنظر إلى عينيه بحذر، وترى تلك الجدية المخيفة على سحنته، عندما قال: لا يعترف الخائن إلَّا عند انكشافه!

ثم نظر إلى الملكة وقال: جلالتك، إنها ليست مجرد فتاة!.. أعرِّفكِ على مصاصة الدماء.. زوي، المسؤولة عن جرائم القسم العسكري، والتي خدعت جلالتك بانتحالها شخصية فتىً باسم ليون!

ثم التفت إلى الجنود: مُحتالةٌ كهذه، حاولت الوصول إلى الملكة، لتعمل كحارسها الشخصي، ثم طلبت الالتحاق بالجيش في حرب رومبيانيا، ماذا يعني هذا؟.. إنها جاسوسة!.. ماذا كان هدفها؟.. ولمن تعمل؟.. هذا ما يجب أن نعرفه!

ثم التفت إلى الملكة: اسمحي لي بالتحقيق معها، جلالتك!

كانت أفروديت تلتهم زوي بنظرات الملامة، وشعرت الأخيرة بأنها تتضاءل أمامها، فخفضت عينيها، ونطقت أفروديت: تولَّ مهمة التحقيق يا أرماند، ثم حوِّلها إلى القاضي، خيانةٌ كهذه، عقوبتها الإعدام!

وقبل اقتيادها إلى السجن، همس في أذنها: إياكِ والقيام بأي حركةٍ غبية، سأخرجكِ من السجن إلى المكان الذي تنتمين له، أنتِ تفهمين ما أقصد!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ سيفياتوست)

ظلَّت أندرونيكا تحدق بالأرجوحة بشرود، ثم التفتت إلى والدها الذي اقترب من خلفها قائلاً: دعي الماضي وراءكِ!

ثم فتح ذراعيه لاحتضانها: أنتِ هنا الآن!.. ولا شيء آخر يهم!.. نحن سعداءُ بعودتكِ يا أندرونيكا!

اقتربت منه ووضعت رأسها على صدره، وغاصت في أغوار ذكرياته الحنون، فقد كان الأب الحنون الذي أحبّته.

علّقت والدتها بابتسامةٍ هادئة: كان والدكِ يدلّلكِ كثيراً، رغم اختلافكِ عن ميليسا..

فتحت أندرونيكا عينيها فجأةً وتساءلت بحَيرةٍ: اختلاف؟.. بماذا كنتُ أختلف عنها؟

ونظرت إلى ميليسا، وكأنها كانت تنظر إلى نفسها عبر المرآة، ولكن بهيئةٍ رزينةٍ، وشخصيةٍ أقوى، وطباعٍ أكثر هدوءاً. ولكنَّها أدركت أن تلك الصفات لم تكن الاختلاف المقصود، عندما لاحظت الارتباك الغريب في أعينهم.

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

استقبلت العائلة أحد أهم أفرادها، الكونت أرماند، العائد من حربٍ قادها بنفسِه، وحقق بها انتصاراتٍ عظيمة، وحُقَّ لتِلك العائلة أن تفخر ببطلها المغوار.

وبعد لحظات اللقاء الحارَّة، نظر أرماند إلى إيمانويل، وطلب الحديث معه على انفراد، ووقعت مُشادةٌ بينهما، فسأله: عن ماذا تُنقِّب؟.. هل تظنُّ أن القاتل كان سيُفلِتُ منا لو أننا عرفنا هويته؟

ردَّ إيمانويل: حقّاً؟.. لن يُفلِت القاتل إن كنتَ بحثت في مقتل شقيقك إدغارد بالفعل؟.. أم أنك كنت تحاول طمس الحقيقة البشعة، لتُجبر أبناءه على النسيان؟.. أنت تعرف القاتل!

أمسك أرماند بياقته بعنف، وقال بنبرة هيمنة: تذكّر من يمتلك السيطرة هنا؟.. كقائدٍ

للعائلة، آمرك بالتوقف عن إقحام أنفك في أمورٍ ليست من اختصاصك، لا تتصرف دون إذن، ولا تُخفِ أي حقائقَ علينَا، كما فعلت مع زوي!

ظهرت ابتسامةٌ باردةٌ على شفتي إيمانويل، وسأل بنبرةٍ مُستفِزة: ماذا عن تمويلك للفيركولاس؟

أرخى أرماند قبضته ثم ابتسم بتهكم: اتهمتني الأميرة بلا دليل، كان غباءً منك استخدام هذه الحجة!

ردَّ إيمانويل باستخفاف: مهما تختبئ الأدلة، فإنها لا تلبث أن تظهر!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ سيفياتوست)

وبقدرِ ما كانت سعادتها عند عودتها لحضن عائلتها، بقدرِ ما أُصيبت بالرعب والخيبة!

فقد نجت بأعجوبةٍ من وحوش الفيركولاس، وكادَت تكون فريسةً لزعيمهم، وشاهدت بعينيها ما تشيب له الرؤوس، وتقشعرُّ منه الأبدان، كانت محظوظةً بنجاتها من تلك المجازر، لتصل إلى برِّ الأمان، أو إلى ما كانت تظنُّه كذلك، لتُصدم بأن عائلتها لا تختلف أبداً عن تلك الوحوش، فتوءمتها ميليسا، التي ظنّت أنها تشابهها كروحٍ وجسد، هي مصاصة دماءٍ كوالدها.

هزّت رأسها نفياً بحركةٍ هستيرية، وصاحت بانفعال: لا يمكنني تقبُّلكم!!

ثم اتجهت مسرعةً نحو الباب: لا أريد البقاء أبداً!!

أمسكت بالمقبض بيد، ومسحت دموعها باليد الأخرى: لا أصدِّق هذا، أخطأتُ بقدومي إلى هنا!

ولكنَّ ذراعين ضخمتين احتضنتاها بقوةٍ من الخلف، وسرَى صوت والدها الدافئ

عبر جسدها، ليصيبها بقشعريرةٍ أعادت لها ذكرياتٍ قديمة: أندرونيكا!

كانت ترى وجهه وهو يلاعبها ضاحكاً، كانت السعادة تغمرها حدَّ البكاء، أرادت التحليق نحو الفضاء معه، إنه الأمان والوطن، وكل شيءٍ جميلٍ تتمناه.

عاد صوته ليُسكِن قلبها المرتجف: أندرونيكا!.. نحن عائلتك!.. مكانكِ وانتماؤك!.. نحن من سيحتويك دائماً وأبداً، ولن يخذلك!.. أعلم كم تعانين الآن، وأفهم كم هذا صعبٌ عليكِ، فالأمر يبدو مخيفاً، ولكننا سنساعدكِ لتتجاوزيه!.. ابقي أرجوكِ!.. فنحن لم نعِش إلا بعد عودتكِ إلينا!

أرخَت جسدها المتوتر، ثم قالت بنبرةٍ مختنقة: أنتم لا تعلمون.. ماذا فعل بي.. مصاصو الدماء!!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

وفي تلك الليلة..

أُقيم احتفالٌ صاخبٌ في القصر، ترحيباً بعودة الجيش المنتصر من رومبيانيا. وكعادة النبلاء أثناء تلك الاحتفالات، كان يتم إعلان الأخبار الشخصية السارّة وشرب نخبها. كان الإعلان هذه المرة مفاجئاً للعديد منهم، فقد أعلنِ الدوق إيبير عن خبرٍ جديدٍ يخصُّ آل بونيفيل، بعد أن قرع الكأس ليلفت انتباه الحضور، ويطلب إنصاتهم: باسم آل بونيفيل، أبارك لجلالتها هذا النصر، وأدعمها في حربها القادمة لردع الفيركولاس!.. نحن نمرُّ بأزمةٍ أمنية، وسنقف صفّاً واحداً لنحمي أرض بانسيلينوس!.. ومن هذا المنبر، أودُّ أن أعلن عن خبرٍ سارٍّ لسلالة آل بونيفيل، لقد حان الوقت لتحظى الأسرة ببعض الأحفاد، لذا تمَّت خطوبة بعض أبنائنا!.. سيتزوج إيمانويل من ابنتي فيوليت، وستكون باربرا زوجةً لبيلموت!.. وفي المستقبل القريب،

سيتزوج ابنايَ غيلبرت وأندريون، فلتحلَّ البركة على جميع الأبناء، فهم من سيصنع المستقبل!

نظر إيانويل بعمقٍ إلى أغلاي ثم رمشت عيناه بتردد، عندما صُدِمت وغادرت القاعة على عجل، وعلى النقيض تماماً، كانت فيوليت تسترق النظرات إليه، وهي توشك أن تبكي من فرط الفرح..

أما باربرا، فقد جُنَّ جنونها وخرجت من القصر تجري، فلحقت بها والدتها: باربرا!!

وأمسكت بيدها بانفعال: باربرا!.. أنا آسفة، أعلم كم هو مؤلمٌ لكِ!.. ولكن حان الوقت لأن تفيقي من سَكرَتك!.. لقد رفض غيلبرت الزواج منكِ!.. لذا يجب أن..

التفتت باربرا وأبعدت يد أمها بعنفٍ، ونظرت إليها بحدَّةٍ وأخذت تصرخ بهستيرية: لمَ تفعلين هذا بابنتك؟!.. لمَ لم يسألني أحدكم إن كنت سأوافق على هذا؟.. كنتم تتآمرون وراء ظهري!.. لن تقوموا بتزويجي بذلك المتبلد!!.. لن أعيش.. سوى مع غيلبرت!!

❁❁❁

في صخب الاحتفال، وقف بيلموت أمام أرماند بابتسامةٍ مُرحِّبة، وكان يحمل كأسين من شرابٍ يبدو كنبيذٍ أحمر، قدَّم أحدهما إلى أرماند وهو يقول: كيف مضَت الحرب أيها الكونت؟.. هل عُدتَ لتتفاخر بانتصاراتك؟

ابتسم أرماند بثقة: ألَا يحق لي التفاخر؟.. لن تعرف الهزيمة، إذا ما آمنت بقوتك!

والتقط الكأس منه ثم قال ساخراً: ستتزوج باربرا إذاً؟.. لا أعرف كيف ستتفقان!

نظر بيلموت إلى كأس أرماند في ترقُّب، وقال: لا يهمني الاتفاق معها!.. سأفعل ما طُلب مني فقط، وأجعلها تُنجب!

رفع أرماند كأسه معاتباً: لا تكن وغداً!

تفاجأ أرماند بعد أن رفع الكأس نحو فمه، ثم رمق بيلموت بنظرةٍ متعجبةٍ وابتسم، وكان الأخير ينظر إليه بابتسامةٍ خبيثة مُشيراً إلى الكأس: هذه هديتي لك، إنها دماء فتاة!.. أعلم بأنك تفتقد مذاق دماءٍ بهذه اللذة كثيراً، بعد انقطاعٍ وسط المعارك الذكورية!

ظهر الامتنان في ابتسامة أرماند الصامتة، وتجرَّع كأسه بنهم، وكذلك فعل بيلموت، وحين فراغ كأسيهما، قال بيلموت: كنتُ أعلم بأنك تقتات على دماء البشر، فلا تفسير آخر لقوَّتك الهائلة التي كنت تسيطر بها على أفراد العائلة!.. لذا.. أمضيتُ الليالي أستلذُّ بتلك الدماء، وبالقوة التي اكتسبتُها منها!

سأله أرماند بجدية: يبدو أنك كنت تلهو طوال غيابي!.. أخبرني الآن، هل نفَّذت ما أمرتك به؟

ابتسم بيلموت بثقةٍ وأجاب: بحذافيره!

كانت الملكة تتبادل الأحاديث مع قادة الجيش، وتستمع إلى اقتراحاتهم بشأن الحرب مع جيش الفيركولاس..

وفور أن سمع الدوق إيبير عن سجن زوي، هرع إليها وهمس في أذنها: جلالتك، ربما من الأفضل أن تراجعي قرارك، فزوي هي المختار الثاني الذي أخبرتكِ عنه!.. ويمكننا استخدامها لاستدراج بالتازار!

❁❁❁

في اليوم التالي..

في سجن لورديور..

كانت ديميتير تنتظر زيارته فور أن سمِعَت أنه عاد من رومبيانيا، ولكنَّ ظنونها قد خابت عندما علِمَت بأن الكونت مُنِع من زيارتها بأمرٍ من الملكة.

تجاوز أرماند زنزانتها، واتجه إلى زنزانة زوي، وأغلق الباب خلفه، ثم قال: أتظنين أني كنتُ أجهل وجودكِ في صفوف جيشي؟.. عرفتُ حقيقتكِ قبل انطلاقنا إلى رومبيانيا!.. لم أكن مُتفرغاً لكِ تماماً، فقد كان لدي حربٌ لأقودها، لكنِّي كنتُ أراقبكِ دائماً، وانتظرتُ اللحظة المناسبة للقبض عليك!.. أنا متعجبٌ من أنكِ لم تهربي أبداً!.. هل كان هذا بسبب.. ألارد؟

ظلَّت زوي صامتةً أثناء جلوسها القرفصاء في تلك الزاوية النتنة، حيث تجاهلت وجوده ولم تنظر إليه منذ دخوله، فقال: لا أريد استخدام العنف، فقد منحكِ الحراس ما يكفي منه!.. كما أنكِ ثمينةٌ ومهمة، وعليَّ تسليمك لسيدكِ بحالةٍ جيدة!

فهمت زوي ما يرمي إليه، والتفتت أخيراً ونطقت بتحدٍّ: أُفضِّلُ الموت على أن يكون بالتازار سيداً لي!.. وسأحرص على أن تعلم الملكة عن خيانتك!

ضحك أرماند: أمَرَت الملكة بإعدامكِ!.. لقد خدعتِها!.. هل تظنين أنها ستصدق مزاعمكِ الآن؟

وفجأةً، وبدون سابق إنذار، طرَق رئيس الحراس الباب، ثم فتحه على عجلٍ وقال: كونت أرماند، يجب أن توقف التحقيق!.. لقد أمرَت الملكة بالعفو عن زوي، وعودتها للعمل في الحرس الخاص، كحارسها الشخصي!

نهضت زوي على قدميها الحافيتين، وثيابها الملطخة بالدماء من آثار الضرب، ووجهها الشاحب فقد أدهشها ذلك القرار، كما أدهش الجميع!.. ولكنَّهُ أزعج أرماند كثيراً، فقد فسدت خطته التي بدأت لتوها، وتم دفعه إلى زاوية الخطر!

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

أطلق بالتازار سراح أليكسيو وحرره من سحر كالغينيا، كمقابلٍ لانضمام القائد أنارغيروس إلى الفيركولاس مع جيشه الصغير، وبدأت كالغينيا طقوسها لتحويله هو وجنوده إلى مصاصي دماء.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

التقط إيانويل المعطف الأحمر الذي صُنع بعنايةٍ لأجله، وأخذ يشتمُّه، وكانت به نفحةٌ من رائحة يديها، ولمسةٌ من نعومتها، أخذ يتجول في ممرات المنزل، ويتخيل خطواتها بين جنباته، توقّف أمام سريرها الخاوي وخزانتها الفارغة، ونظر إلى الشرفة التي كانت تعتكف على الحياكة بها، وبعد لحظةٍ من التفكير، أخذ نفساً عميقاً وأرخى عينيه.

❁❁❁

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الرابع عشر

«١٤»

https://t.me/fantazynov

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي، دخلت زوي إلى جناح الملكة، ترتدي زيّها العسكري الأبيض، وركعت على ركبتها أمامها.

وقف بارنباس وأديلايد خلف الملكة، بينما اصطفّت وصيفات الجناح لمشاهدة الموقف، كانت أغلاي تنظر إلى صديقتها وكانت سعيدةً أنها لا تزال على قيد الحياة، بعد أن قضت ليلةً مرعبةً تتخيل منظر إعدامها.

قالت زوي: لا أعلم لمَ عفوتِ عني، ولكني لا أستحق كرمك هذا!.. أرجو أن تعاقبيني، فلن يهدأ ضميري حتى تفعلي!

نطقت أفروديت بعد لحظةِ صمت: ارفعي رأسكِ.. يا زوي!

رفعت زوي رأسها بتردد، ونظرت في عيني ملكتها، فقالت: عفوي عنكِ كان لغرضٍ عسكري، ستعرفين تفاصيله قريباً، ولا يعني هذا عفوي الشخصي، فأنا لم أسامحك!

أومأت زوي برأسها طاعةً: سأنفِّذ أيّاً ما تأمرينني به، ولا أريدكِ أن تسامحيني، لأنني لا أستحق، فأنا مُذنبةٌ بالفعل، لا الإعدام ولا التعذيب يمكنه أن يؤلمني، كما يؤلمني سخطك، إنها أشدُّ عقوبةٍ يمكن أن تنزل علي!

ثم قالت: جلالتك، أريدكِ أن تعرفي عن خيانة الكونت أرماند!

وبعد أن أخبرتها بكل شيء، انحنت وغادرت، فاستوقفتها أغلاي سرّاً أمام الباب، وقامت باحتضانها بقوةٍ وبكت، بينما دهشت زوي: أغلاي؟.. لمَ أنتِ هنا؟!

أخبرتها أغلاي عن قصة انتقالها للعمل بالجناح الملكي، ثم قالت وهي تمسح دموعها: أنا مطمئنةٌ لأنكِ هنا الآن، وبكامل عافيتك، أنا سعيدةٌ ..لرؤيتك!.. اعتني بنفسكِ يا زوي، لا أعلم ما الأمر الذي يريدون إقحامكِ به، ولكن أرجوكِ.. لا تموتي!

أمسكت زوي بكتفيها وابتسمت بعينين حزينتين، ثم نطقت بشفتين مرتعشتين: شكراً

يا أغلاي، أنا أقدِّر اهتمامكِ هذا، لكنِّي مختلفة!.. فحياتي ليست هادئة، والمخاطر تحيط بي من كل صوب، ولا أظنُّ أني سأحيا طويلاً، لذا كوني مستعدةً لسماع خبر موتي قريباً!.. أنا آسفةٌ لتخييب ظنِّك يا أغلاي، ولكن هذه هي الحقيقة!

والتفتت نحو الباب وغادَرت فور أن فتح لها الحراس، وقبل أن تترك الفرصة لأغلاي لإبداء ردة فعل. خرجت أغلاي من الجناح، وتوقفت فجأةً عندما صُدِمت برؤيته يقف بانتظارها في نهاية الردهة، وكان يرتدي المعطف الأحمر الذي حاكته له يوماً، فاقتربت منه على مضضٍ وكانت تتلفت حولها بحذر: لا يُسمح لك بالوجود هنا!.. يجب أن ترحل!

أمسك بيدها وقال بنبرةٍ حزينة: ما الذي يحدث لعشقنا يا أغلاي؟

أشاحت بوجهها عنه: لقد خذلتَني أمام الجميع، ومن ثم ستتزوج بفيوليت!.. لمَ تسألني الآن عن عشقٍ بائس؟.. أخبرتك بأنني لا أريد رؤيتك!

نظر إلى شعرها وقال: لا تحاولي التظاهر، آنستي، فلا تزالين تضعين الدبوس الذي أهديته لكِ!.. لذا أعلمُ أنني ما زلت موجوداً في قلبكِ!.. واعلمي بأنكِ موجودةٌ في قلبي!.. سأتزوج فيوليت للإنجاب فقط، وهذا هو واجبي الذي ألتزم به تجاه عائلتي!

خطَت بعيداً عنه وقالت: أنا لستُ خياراً ثانياً!.. ولن أقبل أن أكون كذلك!

ثم عادت إلى الجناح بعد أن نطقت بجملتها الأخيرة: لذا لا تأتِ إلى هنا مرةً أخرى!

❁❁❁

في منزل مارغريت بونيفيل..

حبسَت باربرا نفسها بداخل حجرتها، وأضرَبت عن الطعام وحتى عن شرب الدماء، ووقفت تبكي على الشرفة: «أين أنت يا آرميل؟.. إنه أكثر وقتٍ أحتاجك به!».

كانت تفتقد زياراته، فقد اختفى فجأةً ودون أن يخبرها عن سبب رحيله، فبدأت تُحلِّل

وتفكر، إلى أن استولَت الحيرة على عقلها: «هل للفيركولاس علاقةٌ باختفائه؟!».

أثناء ذلك النهار..

وصلت قوَّات الملك رودولف الداعمة من تشيستوتا، وانضمت إلى الجيش البانسلي الذي كان متأهباً للدفاع عن لورديور، وأحاط بها من جميع الجهات، وتولّى أرماند قيادة الجيش بأمرٍ من أفروديت التي أرادت الاستفادة من قواه كمصاص دماء، فنصب كميناً لإيقاف الفيركولاس، وأرسل فِرقاً استطلاعية، وعادوا بلا أخبارٍ عن رؤية العدو في المنطقة، فظلَّ الجيش يترقب الليلة الموعودة، ليلة القمر الأحمر.

❁❁❁

مع غروب الشمس..

كانت الشمس تغادر السماء، لتسمح للقمر باعتلاء مكانها، وبدَت السماء مظلمةً كئيبة، إلى أن أعلن القمرُ أخيراً عن حضوره، وانقشعت الغيوم لتُفسِح لضوئه الأحمر الخافت بإضاءة السماء، وكأنه ينزِف احتفالاً بليلةٍ دموية!

خرج الناس لمشاهدته، وأطلَّ بعضهم من النوافذ بحذر، وبدأ السحرة وكهنة المعابد بممارسة الطقوس لاستقباله.

ووقفت أفروديت بجانب أرتشيم ليتأملا القمر القرمزي من نافذة المعبد، وقالت: إنها الليلة التي انتظرها الفيركولاس للهجوم على لورديور!

قال مُطَمئناً بعد أن لاحظ الخوف في عينيها: ولكنَّكِ قمتِ بالاستعداد لهذا جيداً، كما أني أدّيتُ طقوس استدعاء الأرواح مع الكهنة، ستحمي أرواح فرساننا الأولين العاصمة، وسيرى الفيركولاس مدى قوَّتنا!

أطلقت تنهيدةً عميقة: لا أعلم إن كان بإمكاني تصديق هذا، فقد رأيتُ ما يكفي من العجائب التي جعلت كل شيءٍ مستحيلٍ على العقل.. يبدو ممكناً، إن كانت الأرواح تتدخل بحياتنا فعلاً، فإني سأثق بروح والدي!.. ولستُ أدري، إن كانت قوَّتنا كافيةً،

وإن كنَّا سنظلُّ أحياءً عندما يعود ضوؤه الأبيض!.. لكنِّي فعلتُ ما بوسعي، ويبقى الأمل!

وعلى حدود العاصمة، بدأت تُسمع أصوات ضرب حوافرَ على الأرض، وصهيل خيولٍ جامحة، وتجلَّت الرؤية الضبابية لتكشف عن غبرةٍ قادمةٍ عبر الأفق، فصاح أحد قادة الجيش البانسلي: لقد اجتازوا الكمين!!.. كيف تمكَّنوا من هذا؟!

رفع أرماند يده صائحاً: استعداد!!

وفور أن أصبحت وحوش الفيركولاس في مرمى المدافع، أرخى الكونت يده آمراً بالإطلاق، فانطلقت القذائف لتُشتِّت العدو وتقضي على مُقدمته..

صاح أحد الجنود البانسليين بجنون: انظروا!!.. انظروا!!

ومن بين الأدخنة، نهض الموتى واتَّحدَت أشلاؤهم، وتعافت أجسادهم تدريجيّاً، كاد الجنود البانسليون يفقدون عقولهم من هول ما رأوه!.. وتراجع بعضهم ذعراً، وقرَّرت فئةٌ منهم الهرب، إلّا أن أرماند أطلق قذيفةً في الهواء ليُنصتوا ويذعنوا له، ثم صاح بنبرةٍ قاسية: الحرب لم تبدأ بعد أيها الجبناء!!.. هذه الحرب تختلف تماماً عن حربنا مع الرومبيانيين، فأنتم لا تواجهون بشراً الآن!!.. لا مجال للانسحاب، فإما أن تسقط بانسيلينوس في أيدي مصاصي الدماء المستحدثين، أو الموت دفاعاً عنها!

ثم اتجه إلى أحد جنوده الهاربين، وبلا تردد رفع سيفه وقطع رأسه، فتناثرت دماؤه في غمضة عينٍ، وأُلجِمت الأفواه، وجحظت الأعين، وقرَعت القلوب طبولاً للحرب.

قال والدم يسيل من سيفه: هذا هو مصير الجبان!.. فلا مكان في جيشي.. سوى للشجعان!

ثم رفع سيفه الدامي وأمر: هجوم!!

انطلق جنوده بمعنوياتٍ مرتفعة، بعد كلماته القوية التي هزَّت أبدانهم، بينما لعق الدماء

عن سيفه، ليتزود بطاقةٍ تدفعه لإطلاق قواه الخارقة، وذُهل الجنود عندما رأوا قوَّته القتالية المريعة، وكيف كان يقفز بين صفوف الفيركولاس ويمزِّق رقابهم بأنيابه، بسرعةٍ تسابق الضوء.

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

زارت باربرا المنزل وطلبت رؤية الدوق لتسأله عن صديقها، فأجابها بالحقيقة المؤلمة: آرميل تحت سيطرة الفيركولاس، وهو الآن يقاتل في صفوفهم ضدنا!

ابتلعت ريقها بصعوبة، ونظرت عبر النافذة إلى القمر الأحمر بخوف، كانت السماء مظلمةً، سوى من شعاعه الدموي، وكانت الأشجار ميتةً بلا أوراق، فقد حلَّ الشتاء، وأصبح الكون كئيباً.. موحشاً، بدون مشاكسات آرميل.

قالت: دوق إيبير، أنا أرفض الزواج من بيلموت!

ابتسم الدوق واقترب منها واضعاً يداً على كتفها، وبنبرة الأب الحاني قال: باربرا!.. يجب أن تعرفي هذا، هناك فتاةٌ يعشقها غيلبرت منذ الصِغر، وهو عازمٌ على الزواج منها، أنا آسفٌ يا صغيرتي، فنسل العائلة يجب أن يستمر، قد نموت قريباً، لذا.. قومي بدورك تجاه العائلة، وأنجبي ابناً!.. سيتسلل عشقٌ جديدٌ إلى قلبكِ مع مرور الزمن، وستنسين غيلبرت!.. قد يكون الأمر صعباً في البداية، فبيلموت مستهترٌ وغير لطيف، لهذا السبب تكرهينه الآن، ولكنَّه ما أن يحظى بابنٍ من صُلبه، فستتغير طباعه، ويصبح أباً مسؤولاً، ورجلاً يستحق أن تحبيه!

أزاحت يده عن كتفها بلطف، ثم ارتدت وشاحها وقالت قبل أن تغادر: لا مكان للحب في هذه العائلة، فنحن فيها كجنودٍ مكلَّفين بتنفيذ ما يُملى عليهم!.. أنا أتفهَّم هذا أيها الدوق، أنا مجبرةٌ على تنفيذ ما تريدون، فلم تتركوا لي خياراً سوى الزواج ببيلموت!

على أطلال لورديور..

نظر ألارد حوله بين المجازر، وبحث عنهما، وانتابه شعورٌ بالأسى، لأنه مضطرٌّ لقتال صديقيه، أرام.. وآرميل.

شعر ألارد وكأن تلك الذكرى الحزينة ظهرت أمام عينيه، لوجه أرام اللطيف المسالم وهو يستنجد به، بينما يتلقى جسده الضعيف ضربات أبراكساس، وما لبثت تلك الصورة أن تلاشت مع شبح أريس الباكي، ودمائه النازفة، حينما كان يموت غدراً بسيف أرام.

عزَم ألارد على الانتقام، وانطلق صوبه مسرعاً في هجمةٍ مباغتة، فالتفت إليه أرام في طرفة عين، وأوقفه بالسيف ذاته الذي طَعن به أريس، ليلتحم السيفان بعنفٍ، وبقوة الضغط الهائلة التي صدرت من ذراع أرام، مال سيف ألارد نحو الأرض، ومضَت لحظةٌ عابرةٌ من التقاء أعينهما، بدا أرام فيها وكأنه لا يعرفه، أبداً.

استغلَّ ألارد تلك اللحظة وطعنه في قدمه، فاختلَّ توازن أرام، وقبل أن يوجِّه له طعنةً أخرى تستهدف قلبه، هجم عليه آرميل وطرَحه أرضاً، وعضَّ رقبته بوحشية، فصرخ ألارد: آرميل!!.. توقف!!.. أنا ألارد!!.. ماذا فعلوا بك؟!

لم يتعرَّف آرميل عليه، وكان مستمرّاً بالهجوم، وأنيابه تعضُّ وتمزِّق رقبة صديقه، وعندما لاحظ ألارد نظراته الغريبة، فهِم أنه لا يملك السيطرة على جسده، فقد كانت عيناه تتحدثان، وكأنهما تقولان: «اهرب مني!.. لا أريد قتلك!».

أدرك ألارد المعنى خلف تلك النظرة البائسة، وفضَّل الهرب على أن يقتل صديقه دفاعاً عن نفسه، فركض مسرعاً، وفور أن وصل إلى الجانب الآمن، سقط على الأرض طريحاً، وحاول الجنود إسعافه وإيقاف النزيف من رقبته.

كان عقل آرميل مُغيَّباً، فقد كان يقاتل بهمجيةٍ ثم يقف فجأةً ليُنصِت لصوتٍ ما عبر

الضجيج، وكأنه يتلقى الأوامر على كل خطوةٍ يأخذها، من همساتٍ خفيةٍ لا يسمعها سواه.

وأثناء الالتحام العنيف، صاح أرماند فجأةً: هناك مصابون بيننا بعضّاتٍ من الفيركولاس، اقتلوهم قبل أن يتحولوا إلى مصاصي دماء!!

دبَّ الذعر بين جنود الجيش البانسلي، واهتزَّت صفوفه عندما بدأ تركيزه يُصبُّ على ضحاياه، فأخذوا يقتلون أي جنديٍّ ينزف، وانتزعت الثقة بينهم، فكان كل جنديٍّ يتلفت حوله خشية أن يُقتلَ غدراً من رفقائه، وأصبحوا يقتلون بعضهم بعضاً بعشوائية نتيجة هذا التخبُّط، وأثناء خِضم القتال، استعاد ألارد وعيه ولاحظ ما يجري، وتنبَّه إلى أن الفيركولاس كانوا ينسحبون تدريجياً، ثم صرخ آمراً سريَّته: يجب أن نوقِف هذا!!.. علينا التركيز على الأعداء عوضاً عن قتل المصابين منا!

وفجأةً، حاصرته مجموعةٌ من البانسليين لينالوا منه بعد أن شاهدوا العضَّة على رقبته، فشهر سيفه للدفاع عن نفسه، وقال: توقفوا!.. أنا لا أزال بشريّاً!!.. هذه كذبة، نحن لا نتحوَّل إلى مصاصي دماءٍ بمجرد التعرُّض للعضّ!!

ثم التفت حوله باحثاً عن أرماند: يجب أن تتوقف هذه الفوضى، أين الكونت؟!

بحث الجنود عن الكونت أرماند بين صفوفهم، ولكنَّهم لم يجدوه، فقال ألارد مصدوماً: لقد خاننا!!

ورغم تحذيره لهم، إلَّا أن أولئك الجنود ما زالوا يحاصرونه لظنِّهم بأنه تحوَّل إلى مصاص دماء، فاضطر لمواجهتهم، وقاتل بشراسة، ولكنَّ إصابته لم تساعده على الصمود طويلاً، فتمكَّنوا منه في النهاية وأفقدوه وعيه، ثم سحبوه بعيداً عن أرض المعركة.

❁❁❁

وفوق التلة البعيدة، كان أرماند وبالتازار يراقبان المعركة فوق جواديهما.

أبدى بالتازار إعجابه: تمكَّنتَ من التأثير عليهم بتلك السهولة أيها الكونت!

ابتسم أرماند بخبث: لقد كسبتُ ثقتهم خلال الحروب الماضية، حتى أصبحوا يتبعون أوامري بطاعةٍ عمياء!

ضحكت كالغينيا: إنهم يقتلون بعضهم بعضاً بهمجيةٍ دون أن يلاحظوا انسحاب جيشنا التدريجي!.. يا لها من خطةٍ عبقرية، كونت أرماند!.. هذا سيوفِّر الجهد والخسائر على جيش الفيركولاس!

قال أرماند: الملكة أفروديت تعلمُ عن خيانتي لها، ولكنَّها لا تزال بحاجتي!.. فهي تدرك أنها لن تتمكَّن من مواجهة الفيركولاس بدون قيادتي!... لقد أخبرني جواسيسي بأنها أمرَت بسَجني وإعدامي بعد أن ينتصر جيشها!.. ولكنَّها كانت تحلم!

ثم التفت إلى بالتازار بنظرةٍ تؤكِّد انضمامه إليه، وبادله بالتازار بإيماءةٍ مُرحِّبة، ثم أشار إلى مُقاتلٍ شرسٍ يشقُّ الصفوف مُثيراً حوله غبرةً كما لو كان ثوراً هائجاً: ذاك هو مُختارنا آرميل!

وفور رؤيته لوجه آرميل، عادت الذاكرة بأرماند، فأدرك أنه هو ذاته المحتال (بيون بيكارد) الذي سبق وحقق معه في الزنزانة، والذي طلبته الملكة يوماً بشكلٍ مفاجئ، وانفردت معه للعب الشطرنج، الأمر الذي أثار شكوك أرماند حينها، ولكنَّ ألباين مونبيتيت قام بتحريره ليحصل على كتاب النبلاء، قبل أن يتمكن أرماند من حلِّ لغزه، ففكر بارتيابٍ ثم التفت إلى بالتازار، وقال: أظنُّ أن آرميل جاسوسٌ للملكة!!

وبعد أن أخبره عن السبب وراء استنتاجه، ردَّ بالتازار: إن كان جاسوساً لأفروديت، فهو لم يعُد ذا فائدةٍ لها!.. كالغينيا تسيطر عليه بتعويذة مسحوقها السحري، لا يمكنه فعل شيءٍ دون أمرٍ مني!.. وهذا ما سيحدث مع زوي هذه الليلة!... سنجعلها تُحطِّم قضبان السجن وتهجم على القصر مع أعضاء النبتة المغروسة!

ولكنَّ أرماند فاجأه عندما قال بنبرةٍ مترددة: آسفٌ لتخييب ظنِّك، ولكنَّ الخطة لم تنجح!.. لم أتمكَّن من نثر المسحوق على زوي!.. لقد عفَت الملكة عنها، وهي الآن تحت سيطرتها!

وقبل أن يغضب بالتازار، استدرك الكونت قائلاً: ولكنّي أعمل على خطةٍ بديلة، ستجعلها تأتي إلى كهفك بقدميها!

وكشفت ابتسامته الواثقة عن أنيابه الحادة، وبدَت نظرته العميقة مُرعبةً، فاضطر بالتازار إلى الخضوع لتغيير مسار خطّته، وانتظر تفسيراً، فأردف أرماند: وكّلتُ مجموعةً من الجنود بالتكفُّل بالقائد ألارد، الشاب الذي يفتِن المختارة زوي ويأسِر قلبها، وسيكون هو الطُّعم لاستدراجها!

ابتسم بالتازار برضا: سنُعلن انتصارنا قريباً، وستقع بانسيلينوس تحت أيدينا، لتتحول إلى مملكة مصاصي الدماء الجديدة!.. ومن ثم سنزحف نحو الممالك الأخرى، لننشئ الإمبراطورية!.. حيث لا تعويذة تُحاصر إمبراطوريتي، ولا حدود لها، لأنها لن تُحكم من قِبل عائلةٍ كبونيفيل!.. لن أضع قيوداً على حرية شعبي، وسأسمح له باحتلال عالم البشر، فجنس مصاصي الدماء باقٍ ويتمدد!

اكتفى أرماند بابتسامةٍ مؤيدة، تُخبِّئ خلفها الكثير.

❁❁❁

في سجن لورديور..

انشغل الحراس بمشاهدة الظاهرة الفلكية للقمر الأحمر، وكانت تلك الليلة الموعودة التي انتظرتها ديميتير، فقد وصلتها الرسالة الأخيرة من الشاب المجهول، يطلب منها انتظاره في ليلة القمر الأحمر، حيث استغلَّ مُهرِّبُها هذه الليلة الملحمية، لهلع الجميع وانشغالهم عن ملاحظة أي سجينٍ هارب، ورغم أنها انتظرت طويلاً، إلَّا أنها أخيراً.. رأت باب الزنزانة المظلمة يُفتحُ فجأةً، فسطع النور القادم من الممر على وجهها، ورأت هالةً لحارسٍ فتيّ، يدخُل مرتدياً درعاً وخوذةً تُغطّي وجهه، لم ينطق بشيءٍ وبدا عجِلاً، وألقى عليها زيّاً عسكريّاً وحذاءين، ودرعاً وخوذةً أخرى، كان يحملها معه في كيسٍ من الكتّان، ثم أمَرَها: ارتديه، بسرعة!!

فهِمت أنه مُنقِذها، وارتدت الزيّ على عجل، ثم خبّأت وجهها تحت الخوذة، وتبِعَته

إلى الخارج، ولكنَّهما تفاجأا بأحد الحراس يقف في نهاية الممر، وسألهما بريبة: من أنتما؟.. وما الذي تفعلانه هنا؟.. لمَ ترتديان الدروع والخوذات في السجن؟!.. هل تنتميان للجيش؟!

أجاب الشاب بثقة: نعم، نحن من قوات الجيش، أرسلَنا الكونت في مهمةٍ سريّة، لا يمكنني إطلاعك عليها، يجب أن نعود إلى أرض المعركة الآن!

ركضا نحو الخارج، ولم تصدِّق ديميتير شعورها الغريب عند رؤيتها لأسوار السجن العالية، وعبورها من خلالها بكل أمان، إنها تتنفس الحرية والحياة، كطيرٍ صغيرٍ يغادر العش!

❁❁❁

في المجلس الملكي..

وصل تقريرٌ بنتائج المعركة إلى الملكة، وعندما علِمت عن غدر أرماند، قالت محاولةً كتم غضبها: لقد فرَّ الخائن من العدالة، كان يموِّل الفيركولاس لينضمَّ إليهم عندما تشتدُّ قوتهم!

ثم نظرت إلى مربيتها أديلايد ومستشارها الخاص بارنباس، وقالت: يعرف البعض كم كنتُ لا أطمئن له منذ حكم والدي، ولم أكن مخطئةً أبداً!.. ولكن لخبرته الفذَّة، اضطررتُ لمنحه السلطة على جيشي واستخدامه لحماية لورديور قبل أن أُعدِمه!.. وحدث ما كنتُ أتوقَّعه، فقد استغلَّ ثقة جنودي به لهزيمتي، وحان الوقت لتُخرِج الأفعى لسانها وتلدغ!

انحنى لها الدوق إيبير بوجهٍ يملؤه الخزي: جلالتك، أعتذر نيابةً عن آل بونيفيل، فنحن نتبرأُ من أرماند ومن خيانته، لقد لطَّخ أخي اسم عائلتنا بالعار!

هزَّت أفروديت رأسها: لا تتحمل عائلةٌ خطأ أحد أفرادها!.. ولكنَّكم مطالبون

بتوضيح موقفكم، وإثبات ولائكم!.. سأجنِّد أبناء آل بونيفيل في جيشي، ليقاتلوا باستخدام قوَّتهم كمصاصي دماء!

حنى إيبير رأسه: قوَّتنا ستكون سلاحاً بيدكِ، وسيقاتل أبناؤنا من أجل بانسيلينوس!

أخذ القادة يناقشون الاستراتيجيات والخطط العسكرية محاولين إيجاد حلولٍ للأزمة، وأثناء ذلك، قال إيبير: لم يختر الفيركولاس هذا التوقيت بسبب طاقة القمر الأحمر فحسب، إنما أيضاً بسبب شدَّة البرودة وتساقط الثلوج، والتي لا تشكِّل فارقاً بالنسبة لمصاصي الدماء، بل ستكون في مصلحتهم، حيث سيعيق البرد القارس والثلوج تقدُّم جيشنا البشري!

فكرت أفروديت: رغم سوء الطقس، إلَّا أنه لا خيار لدينا سوى القتال، وبما أن القمر لا يزال أحمَر، فسيهجمون مجدداً خلال وقتٍ قصير، لذا علينا الاستعجال بتقوية دفاعاتنا!

دخل بارنباس إلى المجلس قائلاً: جلالتك، لحسن الحظ قد وصلَت للتو قوات دعمٍ من الجيش الرومبياني، مع رسالةٍ من الملك أرجوس.

ومدَّ الرسالة إليها لتقرأ:

(أعدتِ إليَّ عرشي ومملكتي، وكرمكِ وأفضالكِ لا تُنسى، ومهما فعلتُ فإني لستُ بقادرٍ على ردِّ الجميل.

سأحمي بانسيلينوس معكِ، لأن جيشنا واحد.. وأرضنا واحدة.

أرجوس هيروديون رونثو.)

❁❁❁

في التلال القريبة..

توقف الشاب أمام كوخٍ ريفي في أطراف العاصمة، ونزل عن حصانه، ثم مدَّ يده

ليساعدها على النزول، ودَعاها لدخول الكوخ، فدخلت وخلعت خوذتها وتلفَّتت حولها، فوجدت الكوخ مُعدًّا سلفاً لاستقبالها، مائدةٌ جُهّزَت بأشهى الأطباق، وشموعٌ تتراقص حولها، ودفءٌ يصدر من نار المدفأة، وحوض استحمامٍ ساخنٌ بانتظار انغماس جسدها فيه، وعلى السرير.. وضِع ثوبٌ أنيقٌ ذو قماشٍ فاخر.

شعرت ديميتير براحةٍ عظيمة، لكنها التفتت إليه بريبة: ألن تخلع خوذتك؟.. أخبرني، من أنت؟.. ولمَ فعلتَ كل هذا؟

لم يخلع خوذته، ولم يجبها، واكتفى بإعطائها التعليمات: سأتركك لترتاحي الآن!.. أبقي الستائر مغلقةً، ولا تحاولي الخروج حتى يأتيك زائرٌ غداً صباحاً، عندها ستعرفين كل شيءٍ!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في المجلس الملكي..

قال قائد قوّات الدفاع: جلالتك، قبل معركتنا الأولى في أورانوس، التقيتُ بزعيمٍ لعصابةٍ من المرتزقة، يطلقون على أنفسهم اسم الغربان، يقومون بالسطو والاغتيال وتنفيذ الهجمات لأي سيدٍ مقابل المال، وعرض زعيمهم رايموند تقديم الدعم للجيش بمقابلٍ مادي، ذلك الشاب يعرف الكثير عن الفيركولاس، ربما يمكننا الاستفادة منه، ولكنّي لست متيقناً إن أمكننا الثقة به.

تفاجأت زوي، ثم قالت: إن سمحتِ لي بالحديث جلالتك، أنا أعرف رايموند جيداً، ويمكننا الثقة به والاستفادة من دعمه!

أومأت أفروديت برأسها موافقةً، ثم نقل إليها أحد القادة خبراً آخر: جلالتك، أثناء إحصائنا للقتلى، لم نعثر على القائد ألارد بين الجثث!.. لذا نظنُّ أنه وقع تحت أسْرِهم!.. وهذا أمرٌ غريب، لأنَّهم لم يأسروا أحداً سواه!

تغيّرَت سحنة زوي الهادئة، واسودَّ وجهها وقطبَت حاجبيها، وقالت: جلالتك، أنا أعرف السبب!

التفت الجميع إليها في ترقُّب، وبعد أن طلبت منها أفروديت الحديث، قالت: إنها محاولةٌ لاستدراجي!.. فألارد، هو أعزُّ أصدقائي!

ابتسمت أفروديت ونظرت إلى إيبير وبدَت نظرتها وكأنها اصطادت لتوها سمكةً في ماءٍ عكر، وقالت: هذا سيختصر علينا الكثير!

❁❁❁

ومع نسمات الصباح الباردة..

صنعت لنفسها كوباً دافئاً من الشاي الذي اعتادت على شربه في جنبات القصر، مكانها الذي أُجبرَت على الرحيل عنه، كانت تشعر بالوحدة والخوف، وظلَّت تنتظر الزائر المجهول، إلى أن سمِعت صوت خطواته، والتي ظنَّت أنها تعرفها، فنهضت وأزاحت طرف الستارة للتحقق، ثم فتحت الباب بوجهٍ مبتهج، وركضت لترتمي على صدره.

لم تكن ديميتير ضعيفةً أبداً، ولم تحب أن يرى أحدهم لحظات ضعفها، فقد اعتادت المكابرة، والظهور بمظهر القوي الواثق.. مهما حدث، ولكنَّها لهذه المرة فقط.. سمحت لنفسها بالحصول على قليلٍ من الأمان في حضنه.

احتواها أرماند بذراعيه، وقال بنبرةٍ هادئة: لا بأس يا أميرتي، أنتِ هنا الآن، بين ذراعيّ!

رفعت رأسها فجأةً وابتعدت عنه لتنظر إليه بعدوانيةٍ: كِدتُ أعدم بسببك!!

ردَّ بهدوء: أتظنين أنني كنتُ سأتركهم يعدمونكِ؟.. الشاب الذي ساعدكِ على الهرب كان مكلَّفاً من قِبلي، وقتل القاضي بأمري، لقد أنقذتكِ.. أميرتي!

❁❁❁

في معبد العاصمة..

تمت مراسم زفاف أبناء بونيفيل هذا الصباح، بحضور أبرز العائلات النبيلة، وكان البؤس يُغلّف وجه باربرا، التي بدَت وكأنها تُجرُّ إلى الجحيم. وعلى النقيض تماماً، كانت فيوليت تُحلِّق بين الغيوم، وكأنها فرخٌ تعلَّم الطيران، يحاول التغريد لإعلان سعادته للعالم. وعلى عكس الجدية التي اتَّسم بها إيمانويل، فلم يبدُ الاكتراث على وجه شقيقه بيلموت.

وبعد المراسم، اتجَّهت العائلة لتكمل الاحتفال في المنزل وشرب نخب الزواج الدموي. كان تقليداً في كروفستروفا، أن يتشارك الزوجان بشرب كأسٍ من الدماء، ثم يقبِّلان بعضهما بعضاً. وكانت تلك هي اللحظة المنتظرة بالنسبة لفيوليت، الحلم الجميل الذي صبرت لأجله طويلاً، ولم تشأ أن يختفي مذاق قبلته العذبة من فمها. وعلى خلاف ذلك، تردَّدت باربرا كثيراً قبل أن تسمح لبيلموت بتقبيلها، وسرعان ما مسحت شفتيها باشمئزاز.

وعندما دخل إيبير لمكتبه الخاص، وجدَ رسالةً مختومةً بالشمع الأحمر، وضِعَت بحِرصٍ فوق أوراقه، ففتحها وقرأ:

(أخي الأكبر إيبير، أدعوك إلى التحالف مع جيش الفيركولاس، وأعدك بأن آل بونيفيل سيحصلون على مناصبَ تليق بمكانتهم الملكية عندما يحتل مصاصو الدماء مملكة بانسيلينوس.

أرماند بونيفيل.)

❁❁❁

وفي نهاية الزفاف، وقف الدوق أمام أفراد العائلة، عارضاً عليهم الرسالة، ومحذِّراً من انصياعهم لمحاولات أرماند لجرِّهم خلفه، وكان يقول غاضباً: نحن آل بونيفيل نرفض هذا العرض، لأن والدنا إيفرانور قد أقسم على عدم أذية البشر، وعلى خدمة العائلة المالكة، غاريس.

ثم قال: لن أسأل من خدَم أرماند في نقل الرسالة إلى مكتبي، لأنني أحاول الثقة بكم!

كانت زوجته ميرابيل أكثر المؤيدين لموقفه، بينما اتخذت شقيقته مارغريت جانب الحياد لميلها إلى الاعتزاز بعِرقها الملكي كما هو شقيقها أرماند. ولكنَّ الجميع امتثلوا لتحذير إيبير، باستثناء بيلموت الذي كان متأثراً بأرماند ويعمل كتابعٍ له، وفي الواقع، هو من وضع الرسالة سرّاً في مكتب الدوق.

في التلال البعيدة، حيث الكوخ الذي تحتمي به الأميرة ديميتير..

قال أرماند: سأساعدكِ على استعادة أملاكك، وصعود العرش، فأنتِ تستحقينه بدلاً من شقيقتكِ أفروديت!

سألته بابتسامةٍ ماكرة: وما المقابل؟

أجاب: أطلب منكِ الانضمام إلي، وأريدكِ فقط أن تثقي بي!

سألت بتحفظ: ولمَ تحتاج إلي؟

أخبرها عن الخطط العظيمة التي يعمل لأجلها، ثم قال: ولأنكِ أميرةٌ ذات عرقٍ ملكي ولكِ أنصاركِ ومؤيدوكِ من الشعب، فوجود اسمكِ ضمن جيش الفيركولاس يعدُّ ضروريّاً، فنحن نطمح إلى التحالف معكِ وتنصيبكِ على العرش كممثلةٍ لمملكةٍ تحت سيطرة إمبراطورية مصاصي الدماء!

قالت ساخرةً: وماذا سيحلُّ بالبشر؟

فأجاب: بعد أن يتم تتويجك على العرش، سنضع قانوناً للتعايش بين العِرقين!

قالت بابتسامةٍ مترددة: لا أُصدق وعوداً كهذه، أنا بشرية، وسأهتم لمستقبل البشر في مملكتي!

مدَّ لها بوثيقةٍ رسميةٍ وقال: أعلم هذا، لذا أعددتُ هذه الوثيقة الموقَّعة مني ومن زعيم الفيركولاس بالتازار. اقرئيها بتمعن، وأعدِّي خطاباً لإلقائه على أتباعكِ لكسب

دعمهم!.. لا خيار لديكِ الآن سوى قبول هذه الاتفاقية واعتلاء العرش الذي تستحقينه، أو عيش حياة الهرب والخوف من شقيقتك!

ثم أمسك بكتفيها وقال: ثقي بي، لن يمسَّكِ أذىً ما دمتُ حيّاً يا أميرتي، وإن متُّ قبل أن أحميكِ، فسيتدخل أتباعكِ ليقوموا بالواجب!

التقطت ديميتير الوثيقة منه، وأخذت تقرؤها بتردد.

❁❁❁

في النُّزل الفاخر..

وصلت رسالةٌ من أندرونيكا إلى دليا، تخبرها عن عثورها على عائلتها واستعادتها جزءاً من ذاكرتها، وتدعوها مع ياني إلى زيارة منزل عائلتها في سيفياتوست، حيث أكدت أنها ستوفر مكاناً آمناً لها ولياني، إذا ما ساءت الأمور في بانسيلينوس.

التفتت دليا إلى ياني، وأخبرته عن مُختصر الرسالة، فقال: لنرحل إلى رومبيانيا، فالحياة أصبحت مخيفةً هنا!

أجابته بابتسامةٍ هادئة: الأمر ليس بهذه البساطة يا ياني، لن أترك أرضي ومزرعة عائلتي، سأحميها حتى النهاية!

احتضنها ياني ثم قال: وأنا أيضاً سأبقى معكِ، وسأحميكِ حتى النهاية!

❁❁❁

في القصر الملكي..

استلمت أغلاي رسالةً أخرى من أندرونيكا، حيث أخبرتها أنها تمرُّ بتجربةٍ مشابهةٍ للتي مرَّت بها أغلاي مع عائلة بونيفيل، فعائلتها من مصاصي الدماء أيضاً، إلّا أنها سعيدةٌ بالعودة لحضن والديها وشقيقتها التوءم التي تشبهها تماماً، ميليسا.

كتبت لها أغلاي ردّاً لتهنئتها، وأخبرتها عن الأمور المروِّعة التي تحدث على حدود

لورديور، وأخبرتها بأن حياتها مع آل بونيفيل لم تكن سعيدةً كما هي الآن في القصر الملكي، فوحشيتهم وقسوتهم أجبرتاها على الرحيل، ثم نقلت لها الأخبار المؤسفة لأصدقائهما. وبعد أن سلَّمت أغلاي الرسالة للمبعوث، أخذت تُعدُّ أدواتها لإكمال العمل على حياكة الثياب الملكية، ووقعت عينها على صندوق الحياكة القديم الذي جلبه إيمانويل كهديةٍ لها، والذي ساعدها كثيراً في بدايات نجاحها، إلّا أنها قررت عدم استخدامه بعد الآن، وخلعت دبوس الشعر الذي أهداه لها أيضاً، ووضعته في الصندوق دون أن تنظر إليه، ثم أغلقته بإحكام، ووضعته في أعلى رفٍّ، وكأنها أغلقت كتاباً لقصةٍ جميلةٍ لم تكتمل.

عندما أوشك النهار الحافل بالوجع على نهايته..

حيث تغفو الأمنيات مع تهويدةٍ مُرعبة، تُعلِن عن عودة القمر الأحمر لاعتلاء سماء ليلةٍ دمويةٍ أخرى.

في منزل مارغريت بونيفيل، وفي حجرتها، قال بيلموت بعد أن سئم من تهرُّبها وشرود عينيها: لستُ مهتمّاً بك، ولستِ مهتمةً بي، علينا فقط أن ننجب بونيفيلاً صغيراً ذا شعرٍ أحمر، ونُنهي هذه المهمة سريعاً!

تظاهرت باربرا بالموافقة، ولملمت شتات روحها، وطلبت منه انتظارها بالخارج لكي يتسنَّى لها تبديل ثيابها. مضت برهةٌ وجيزة، حتى سمع بيلموت فجأةً صوت قلادتها تقع على الأرض، وميَّز مسافة الصوت ليُدرك أن باربرا في شُرفتها، فعلِم بأنها تحاول الانتحار، واقتحم الحجرة راكضاً نحو الشرفة، ووجدها تقف تحت أشعة الشمس وتتأملها أثناء غروبها، وتبكي مستجديةً: لا تغربي الآن!.. انتظري، خذيني معك!

بدأت بشرتها تحترق، وتصاعدت الأدخنة منها، فهرع ليحتضنها ويقفز بها إلى الداخل، فصفعته وصاحت بهستيرية: لمَ أوقفتني؟!.. دعني أمتْ وأنتهِ من كل هذا!!

جذبها بيلموت من شعرها وألقاها على الأرض بعنف، وقال بنبرة صوته المُستفِزّة، وبعد نفاد صبر: هل تظنين أنني أستمتع بهذا؟.. إنه واجبٌ مملٌ، لكنِّي أعي أهميته!.. وعليكِ أن تفعلي المثل أيضاً، لأن هذا يرهقني!!

❁❁❁

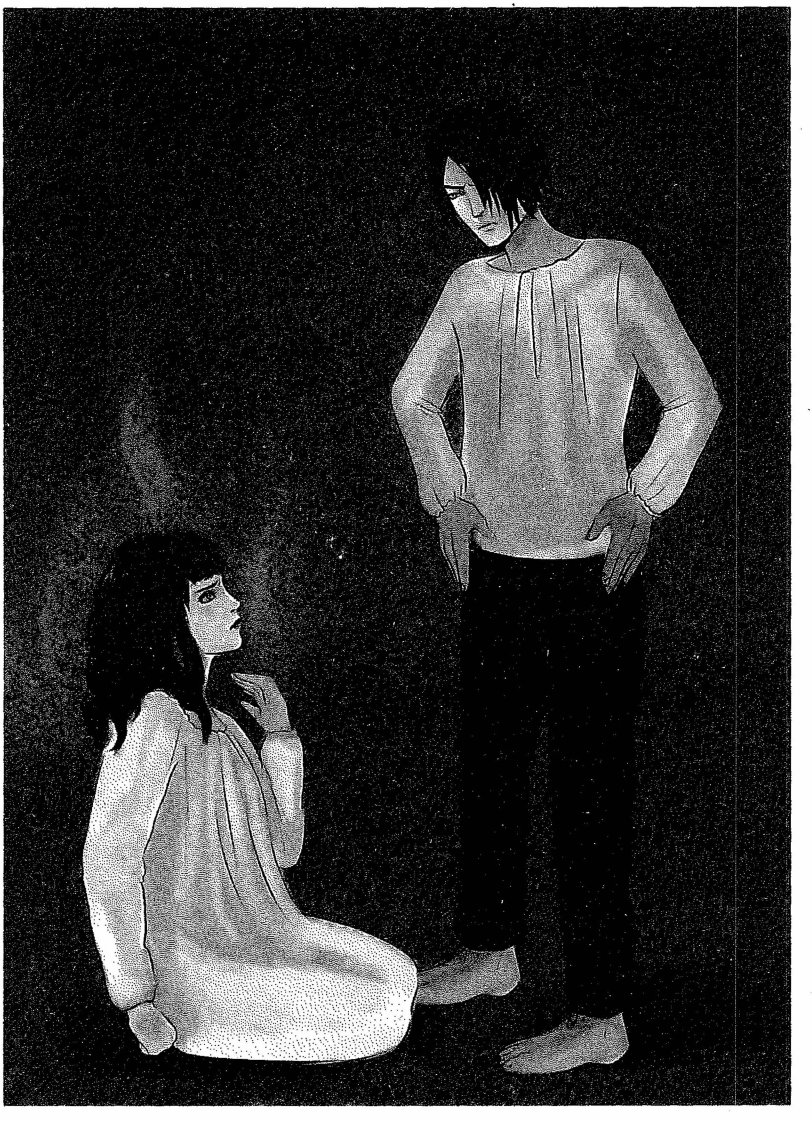

القسم العسكري..

وصل رايموند مع غربانه إلى لورديور بناءً على دعوةٍ رسميةٍ تلقّاها من قائد الجيش. وفي القسم العسكري، وقف القائد باستقباله، ثم قال: نطلب تعاون رجالك، وكشف الأسرار التي تعرفها عن الفيركولاس!

أجاب رايموند: ليس قبل أن أرى المال أمامي!

أشار القائد إلى صندوقٍ فُتِح أمامه وكان يلمع ذهباً، مما جعل ابتسامة الرضا ترتسم على شفتيْ رايموند، فوقف بثقةٍ واضعاً يده فوق وركه وكاشفاً بذلك غمد السيف المعلَّق عليه، وكأنه يُظهِر استعداده للقتال: سيقاتل غرباني تحت راية الجيش البانسلي، وسندلُّكم على وكر بالتازار والطرق التي يسلكها جنوده في غابة ميقالوس، وقبل كل شيء.. سنُدرِّب جنودكم على أسرع الطرق لقتل مصاصي الدماء!

شكره القائد ثم قال: صديقك القائد ألارد أسيرٌ لدى الفيركولاس، وسنرسل فرقةً لتحريره. أما مهمة غربانك.. فستكون مرافقة زوي!

تفاجأ رايموند عند سماعه لذلك، لكنَّه رفع رأسه بروحٍ قتالية، عندما ظهرت زوي أمامه بهيئة جندي، وقد تغيّرت تماماً عمّا كان يذكرها، عدا لون شعرها، وعينيها الغامضتين، وابتسامتها الهادئة.

وقف أمامها مبادلاً الابتسامة، وقال ممازحاً: نحن الاثنان، كنا نتعاون على إخفاء المال عن أبراكساس، وها نحن نلتقي من جديدٍ ونتعاون.. في معركة!

❁❁❁

في معسكر الفيركولاس الواقع على أطلال لورديور..

عندما التقى أنارغيروس رونثو بأرماند الذي هزمه في رومبيانيا، كان يتخذ موقفاً متحفظاً، ولكنَّه ما لبث أن اضطر للخضوع وإعلان الولاء لخصمه القوي، حيث

ظهرت ابتسامة أرماند الخبيثة المتعالية، وقال: كنتَ خصماً عنيداً يا أنارغيروس، وها هي الأقدار تدور.. لتجعلك تختار القتال تحت إمرَتي!

كتم أنارغيروس غيظه، ومشى أرماند بجوار بالتازار لينفرد معه بالحديث، وقال: نحتاج اسماً ملكيّاً شرعيّاً لكسب الشعب إلى صفنا، لقد انضمَّت الأميرة ديميتير غاريس إلى جانبي بعد أن حفَّزتُ طمعها بالعرش، وكراهيتها لأختها أفروديت. لذا سنستخدم اسمها وسلالتها الحاكمة للسيطرة على الشعب!

أيَّده بالتازار: ستكون الأميرة دُميتنا!

ثم التفت من فوق التلّ لينظر إلى أنوار لورديور البعيدة، والتي بدَت كشمعةٍ وسط حجرةٍ مظلمة، وقال بثقة المنتصر: أتوق لمشاهدة هجوم الليلة، ما أن تسقط لورديور حتى تسقط بانسيلينوس بأكملها، هل أعطيتَ التعليمات للنبتة المغروسة؟

رفع أرماند رأسه إلى السماء وشاهد إطلالة القمر الأحمر، وضوءه الخافت الذي بدأ يسطع تدريجيّاً، وأجاب: أجل!

«القمر الأحمر»

ملحمة العرش والعشق

الفصل الخامس عشر

«١٥»

https://t.me/fantazynov

بينما في المجلس الملكي..

كانت أفروديت تجتمع مع أهم أفراد الحاشية، ولكي يُثبت الدوق إيبير ولاءه، قدَّم لها رسالة شقيقه أرماند التي تدعوه للخيانة، فشكَرَته على وضوحه وتمسُّكه بعهد والده إيفرانور، ثم سألته: ماذا عن دفاعاتنا، وهجوم الفيركولاس المُرتقب؟

قال بوجهٍ قلق: جيشنا متأهبٌ جيداً، ولكن من الغريب أن الفيركولاس لم يهجموا حتى الآن!

وفي تلك الأثناء، وصلها خبرٌ مفاجئٌ عن مجزرةٍ تحدث في شوارع لورديور من مصاصي دماء الفيركولاس، حيث أخذوا يقتحمون المنازل وقاموا بتحويل الرجال الأقوياء لينضمُّوا إليهم!

ذعرت أفروديت: هجومٌ داخلي؟!

والتفتت إلى إيبير الذي تدارك الموقف وحاول التفكير: جلالتك، سأرسل قواتٍ من الجيش لحصار الأحياء المتضررة، وقتل كل مصاصِ دماءٍ بها!

لكنَّها قالت: كلا!.. تمهَّل، أظنُّ أنها خدعة!.. إنهم يريدون تشتيت انتباهنا وتركيز جهود قواتنا في محاولة السيطرة على هذا الهجوم الداخلي، حتى تضعف دفاعاتنا الخارجية ويسهل لهم دخول المدينة!!

قال أرتشيم مُصلِّياً بخشوعٍ تام: آمل أن تتكفل أرواح الفرسان الأولين بهذا، باسم آلهة السماء، وبركَة أرض القمر، ساعدونا أرجوكم!

التفتت إليه أفروديت باستياء: أيها الكاهن!.. أحترم ما تحاول فعله، ولكنَّ هذه الأمنيات الخيالية لن تفيدنا!.. نحن في حالةٍ أمنيةٍ حرجة، وعلينا أن نتصرف بحكمة!.. دوق إيبير، استدعِ القائـ..

توقفت أفروديت عن الحديث، وهدأ الجميع باندهاش، عندما رأوا الشموع التي

تضيء المجلس الملكي قد أخذت بالتراقص فجأةً، ثم انطفأت، ليغرق الحضور بالظلام الدامس، سوى من إضاءة القمر الحمراء القاتمة، تتسلل عبر النوافذ الطويلة، والتي ما لبثت أن فُتِحَت بعنفٍ وانطلقت منها ريحٌ عاصفة، دارَت حول المكان، ثم خرجت من حيث أتت لتنتشر وتنطلق نحو شوارع العاصمة، مُتعقِّبةً وحوش الفيركولاس، ومُلقيةً بأجسادهم في الهواء لتتخبط وترتطم بالجدران والأخشاب والحدائد وأي طرفٍ حادٍّ يُمثِّل نصلاً يخترق قلوبهم، فتتلاشى بقاياهم كرمادٍ يُغطي أسطح المدينة.

أطلَّت أفروديت بذهولٍ مع حاشيتها، ونظروا إلى المشهد المَهول أمام أعينهم، فقد بدَت لورديور وكأنها قد مرَّت بعاصفةٍ رمليةٍ في دقائق سريعة، رحلَت وتركتها كقطعةٍ أثريةٍ مُغبَرَّة.

ابتلعت أفروديت ريقها في محاولةٍ لإدراك ما حدث، ثم نطقت أخيراً بعد صمتٍ خنق القلوب المذعورة: أرتشيم!.. إنها الأرواح!.. لقد.. أنقذتنا، فعلاً!

ابتسم أرتشيم بارتياح، فطقوس الاستدعاء التي أدَّاها مع كهنة المدينة قد أفلحَت. أمرَته أفروديت: اطلب من الأرواح الهجوم على جيش الفيركولاس الذي يحاصرنا بالخارج!

تجهم وجه الكاهن وقال: لن يجدي هذا، جلالتك!.. فجيش الفيركولاس يمتلك الساحرة كالغينيا، والأرواح تخشى السَّحرة، حيث يمكن للسحرة السيطرة على أرواح الفرسان الأولين بتعويذةٍ واحدة!

❁❁❁

في معسكر الفيركولاس..

أمر بالتازار قادة جيشه - أرام وأرماند وأناغيروس - بالتوقف عن الهجوم، بعد ارتيابهم من تأخر استلام الإشارة من قائد النبتة المغروسة في لورديور، وتساءل بالتازار

بشك: هل يمكن أن يكونوا قد هُزموا؟

أجاب أرماند بثقة: لقد زرعتُ أعضاء النبتة بشكلٍ مُتقن، ووزعتُهم على أحياء لورديور الرئيسة، وكانت تعلياتي لهم واضحةً، لذا لا أعتقد أنهم سيرتكبون خطأً أو أن لدى أفروديت القدرة على هزيمتهم!

وصل جاسوسٌ من لورديور ينقل إلى بالتازار الخبر، وكان فجِعاً عندما قال: سيدي!.. ريحٌ عنيفةٌ استهدَفَت أعضاء النبتة وقضَت عليهم جميعاً، ثم انتهت!

قالت كالغينيا بعد تفكير: لقد استخدموا قوة الأرواح!.. هناك رابطةٌ لكهنة لورديور الذين يمارسون تلك الطقوس، إنهم الآن يستخدمون الأرواح للدفاع عن المدينة!.. ولكن اطمئن يا سيدي، فلن يتمكنوا من استخدامها في كل معاركهم، لأنني ساحرة، وأعرف تعويذةً ستوقفهم!

❁❁❁

مع شروق الشمس..

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

فتحت باربرا عينيها بعد أن سطعت أشعة الشمس بحرارةٍ على جبينها، وسمعت صوت خطواته الهادئة، فالتفتت لتجده يرتدي معطفه الثقيل، ويحمل حاجياته متجهاً نحو الباب، وسألته: إلى أين تذهب؟

أجاب بيلموت دون أن يلتفت إليها: أعتقد أنني أنهيت دوري، يجب أن أرحل الآن لأروي عطشي الدموي!.. الوداع يا باربرا!

❁❁❁

(رومبيانيا ــ سيفياتوست)

بدأ الثلج بالتساقط بخفةٍ مُعلناً دخول فصل الشتاء، كانت أندرونيكا تراقب ندفات الثلج المتساقطة خلف النافذة الزجاجية مع شقيقتها ميليسا، وكانتا تتبادلان حديثاً شاعريّاً.

كانت ميليسا تقول: في طفولتنا، صنعنا سوراً ثلجيّاً حول الحديقة، كنا نحب اللعب بالثلج في الصباحات المشمسة، لا أعلم إن كنتِ تذكرين هذا، ولكنّي سأحاول مساعدتكِ على التذكر!

أمالت أندرونيكا رأسها حرجاً، ففهِمت شقيقتها أنها لا تتذكر، وسألتها: هل كنتِ تفعلين شيئاً مشابهاً مع أصدقائك في بانسيلينوس؟

ابتهجت أندرونيكا عندما أخذت تتذكر أوقاتها الممتعة معهم، وأجابت: لم تكن لورديور بمثل برودة الطقس هنا في سيفياتوست، ولكننا كنا نلعب بمياه البِركة في الصيف!

سألتها شقيقتها: هل تفتقدينهم؟

أومأت أندرونيكا برأسها، وردَّت بابتسامة شوق: بالطبع!

ولكنَّ ابتسامتها اختفت فور أن تذكرت أرام، ولاحظت ميليسا حزناً عميقاً في عينيها، فسألت: هل كنتِ تحبين أحدهم؟

تفاجأت أندرونيكا ورفعت عينيها لتنظر إلى أختها بذهول، فقالت الأخيرة: أنا توءمكِ، ويمكنني قراءتكِ كما أقرأ نفسي!.. أنا ذاتكِ الأخرى كما في انعكاس المرآة يا أندرونيكا!

ثم أمسكت بيدها وقالت بعاطفةٍ جيَّاشة: لا تعلمين.. كم كنتُ أعاني الوحدة، بعد فقدك!

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

بين الطرقات الثلجية التي تصل بين القصر الملكي والقسم العسكري، صادف رايموند حب طفولته الذي حاول نسيانه، وأشعلت في قلبه الذكريات، فرغِب بها بشغف، وبعد أن تفاجأت أغلاي من وجوده، حكى لها عن سبب قدومه إلى لورديور.

رحَّبت به بوجهٍ كئيب، فسألها: لا تبدين بتلك البهجة التي رأيتكِ عليها المرة الماضية؟.. هل أنتِ بخير؟

أجابت بسعادةٍ مصطنعة: لقد حققتُ حلمي، وأنا أعيش الآن في القصر!.. لا يمكنني أن أكون بخيرٍ أكثر من هذا!

لم يُصدِّق رايموند كلماتها التي لا تنسجم مع الحزن في عينيها، فحاول إبهاجها، وقال وهو يُخرِج سيفه من غمده بمزاحه العنيف: إن حاول أحدهم إيذاءكِ، فيمكنك الصراخ عالياً وسوف آتي لأحميكِ، سأقتله وأُقطِّعه إلى أشلاءٍ أمام عينيكِ، إن أردِت ذلك بالطبع!.. لأنني لستُ متيقناً إن كنتِ تفضِّلين رؤيته يموت قطعةً واحدة؟

أطلقت أغلاي ضحكةً خفيفة، ثم سألته: كم تعشق القتال والتحدي، أتساءل لمَ لم تلتحق بالجيش يا رايموند؟

أجاب وهو يمدُّ سيفه للأمام مُختالاً: لأنني حرٌّ كالغراب الطليق، أحب القتال بطريقتي، وأختار أعدائي بنفسي!

ثم قام ببضع حركاتٍ متباهيةٍ بسيفه في الهواء، وقال: لا أحد يجبرني على سير معركة، فطُرقي بالقتال ليست شريفة!

ثم التفت إليها فجأةً، وأعاد سيفه إلى غمده بهدوء، وأخرج من جعبته قفازين صغيرين من الصوف، كانت قد صنعتهما له فيما مضى، وقال: احتفظت بهما، رغم أنهما أصبحا صغيرين جدّاً، ربما يمكنكِ صنع زوجين جديدين لأرتديهما؟

ولكنها بنبرةٍ هادئةٍ وحنونٍ قالت: رايموند، أفهم كيف لا تزال مشاعرك حيَّةً تجاهي، ولكن.. لا يمكننا أن نعود لتلك الأيام، فقلبي منهكٌ وجريح، لستُ قادرةً على مبادلتك الحب!

أمسك بيدها ضاغطاً واتَّسمت تعابير وجهه بالجديَّة: لا يهم أن تبادليني الحب!.. المهم أن تعلمي يا أغلاي، بأني سأكون دائماً هنا لأجلك!

تلعثمت شفتاها، وارتبكت نظراتها الحائرة، ثم قالت: اعذرني، يجب أن أذهب الآن، فالوصيفات بانتظاري!

وتحت الثلج المتساقط بخفة، ظلَّ رايموند واقفاً يحمل القفازين الصوفيين بيده، وينظر بخيبةٍ إلى آثار قدميها على الثلج.

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

انتظرت باربرا عودة زوجها حتى الغروب، ولكنه لم يعد، فاستقلَّت عربتها سريعاً إلى منزل العائلة لتسأل عنه، ولكنَّ أحداً لم يره، وكانت مشاعر التعجُّب والشفقة واضحةً على وجوههم رغم محاولاتهم لإخفائها، وكانوا يتبادلون النظرات المُحرَجة والمتسائلة فيما بينهم، كيف يتركها بيلموت وحيدةً في ثاني يومٍ من زواجهما!.. إلى أن تجرَّأ إيمانويل وأخبرها بصراحةٍ جارحة: لقد انضمَّ زوجكِ لأرماند والفيركولاس، لذا انسي أمره!

وبعد سماع كلماته القاسية، ظلَّت باربرا متماسكةً تصطنع وجهاً صامداً محاولةً ألّا تنهار.

❁❁❁

في معسكر الفيركولاس على أطلال لورديور..

نزَلَت الأميرة ديميتير من عربةٍ أرسلها لها أرماند، بعد أن قام بدعوتها لزيارة المعسكر حتى يتم تقديمها إلى زعيم الفيركولاس، وفور أن هبطت قدماها على الأرض، انسدل

طرف فستانها الأحمر الصارخ برقّةٍ ليُغطّي الثلج، كانت ترتدي قُبعةً شتويةً وعباءةً ثقيلةً مغطاة بفرو ثعلبٍ أسود، كانت تبدو كوردة جوريٍّ حمراء تتوسط لوحةً فنّيةً شديدة البياض.

وقف الكونت في استقبالها، وقد فُتن من أناقتها، وقبّل يدها مُرحِّباً، ثم سألها: أتلك رائحة الياسمين؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ فاتنة، واقتربت من أذنه وهي تكشف عن رقبتها وتقول: هل بإمكانك اشتمام عطري؟

نظر إلى رقبتها، ولكنه لم يكن يشتم رائحة عطر الياسمين الجميلة فقط، بل رائحة دمائها الدافئة، والتي طغت على أي رائحةٍ أخرى يمكنها النفاذ إلى أنفه، كان أرماند مُغمِضاً عينيه ومنغمساً مع تلك الرائحة الدموية العذبة التي أثارت عطشه، ابتعدت ديميتير عنه عندما لاحظت أنه استغرق وقتاً، فتح أرماند عينيه وقال بلباقة: أجل، رائحة عطر الياسمين، إنها جميلةٌ بالفعل!

في تلك الأثناء، وصل بيلموت إلى المعسكر واقترب ساخراً من مظهرها المبهرج: يبدو أن الأميرة أخطأت طريقها لإحدى الحفلات، هذه منطقة وحوشٍ مفترسةٍ إن كنتِ لا تعلمين!

تعرَّفت ديميتير على صوته فور أن سمعته، ثم التفتت لتنظر إليه بتعجُّب: المنقذ المجهول ذو الخوذة، بيلموت بونيفيل؟

دعاها أرماند لمرافقته، ثم عبَر معها بين جنود الفيركولاس الذين أفسحوا لها الطريق بهيبة، وظلّت أعينهم تتفرس بها من أعلى رأسها لأخمص قدميها، ورغم مناظرهم المرعبة، وأنيابهم البارزة، ولعابهم السائل، وروائحهم النتنة، إلّا أن الخوف لم يجد طريقه إليها أبداً، بل كانت تمشي بخُيلاء وكأنها تمتلك هذه الوحوش تحت إمرَتها.

وقف أرماند أمام بالتازار وكالغينيا، وقدَّم الطرفين بعضهما لبعض: الأميرة ديميتير غاريس، زعيم جيش الفيركولاس بالتازار، ومساعدته الساحرة كالغينيا!

رحَّب بها بالتازار ومدَّ يده ليصافحها بقبضةٍ قوية، أطالت فيها ديميتير التحديق في عينه الوحيدة، إلى أن دعاها أرماند ورفعَها فوق صخرةٍ صغيرة، وقدَّمها إلى الفيركولاس.

أمرَهم أرماند: انحنوا لملكتنا!

تردد الجنود للحظة، لكنهم اضطروا للانحناء لها، بعد أن رأوا إيماءة بالتازار التي تحثُّهم على ذلك، وابتسمت ديميتير بوقار، وهي ترى نفسها تقف في منتصف دائرةٍ كبيرةٍ من وحوشٍ ضارية، تُعلن الولاء لها.

دعاها بالتازار إلى مائدته المتواضعة لشرب نخب تحالفهما، واستغلَّ بيلموت تلك اللحظة ليهمس في أذن أرماند: أمامك شخصان يطمحان للعرش الآن!.. كيف تنوي الحصول عليه لنفسك؟

أجابه أرماند: إنهما أداتان لدعمي للوصول إلى العرش، جيش بالتازار القوي، واسم ديميتير الملكي!.. عندما تريد الحصول على دعم شخصٍ ما، عليك أن تراعي مصلحته أولاً، حتى تحصل على مساعدته، أن تتفهم نفسيته، هل هو مغرور؟ وهل هو مهتمٌّ بمركزه الاجتماعي؟ هل لديه طموحٌ معيَّن؟ وهل لديه أعداءٌ يمكنك أن تساعده في قهرهم، أم أن حوافز المال والسلطة هي التي تحركه؟.. ربما عليك أن تملأ خزانته بالذهب، كما فعلتُ من خلال تمويلي لبالتازار!.. أو تجعله يعيش مدةً أطول، وتعدَه بمنصبٍ أكبر، كما فعلتُ مع ديميتير!.. حَدِّثه فقط عن المستقبل الذي يطمح إليه!

ألهمت تلك النصائح بيلموت، ووقف يتأملها في ذهنه، بينما اتجه أرماند إلى المائدة والتقط كأساً من الساقي، ثم استرق نظرةً باردةً إلى ألارد، حيث كان يجثو مُقيداً بأصفادٍ حديديةٍ إلى جذع شجرة، ومغلق الفم بقطعةٍ قماشية، ويلتحف غطاءً من

الصوف لا يكاد يُدفِّئه في ذلك البرد القارس، كان وجهه مكروباً من شدَّة الألم الذي يعتريه، وكان يحدِّق في أرماند بحقد.

اقتربت منه كالغينيا تحمل وعاءً به مسحوقُ عشبةٍ طبية، وقنينةً زجاجية، ثم كشفت عن رقبته، ليظهر جرح العضّة التي تلقاها في معركته الأخيرة مع آرميل. كانت كالغينيا تعتني به طوال اليومين الماضيين، وبعد أن وضعت المسحوق على جرحه، أشرَبته المحلول وقالت: أنت تتماثل للشفاء سريعاً بفضل هذا الإكسير السحري!.. وبما أنك قائدٌ مُحنَّك، فأظنُّ أنك تعلم لمَ نبقيكَ حيّاً ولم نقم بتحويلك؟.. المختارة زوي.. تعشقك، وستأتي لإنقاذك، وسيتكفَّل جنودنا بنصب فخٍّ لها!.. لا تقلق، لن يصيبها أذى، فهي ستعود فقط إلى مكانها الصحيح، وإلى الغاية التي وُجِدَت لأجلها.

نظر ألارد إلى عينيها مُتفرِّساً كما لو كان يريد قتلها بضربةٍ واحدة، فابتسمت بخبثٍ وكأنها شيطانٌ قد كشَّرَ عن أنيابه وأظهر قرنيه، بعد أن نَزَع قناع الملَاك الشافي. أخرجت بلّورتها الصغيرة من ردائها، وقالت: هل تعرف بأنني أتعقّبُها من خلال بلورتي؟.. لا يمكن لعاشقتك أن تذهب بعيداً، وسأعلم متى ستصل إلى هنا!

بدا الغضب على وجهه، فالتفتت إلى بلورتها وأخذت تراقبها للحظةٍ، إلّا أن وجهها تغير فجأةً ليسودَّ ويكفهِرّ، فهرعت مسرعةً إلى بالتازار لتنقل إليه الخبر بصوتٍ مفجوع: رأيتُ زوي تتحرك بسرعةٍ فائقة، على الأرجح أنها على ظهر حصان، إنها متجهةٌ إلى غابة ميقالوس!!

قطب بالتازار حاجبيه وعبس بوجهه، ثم أعطى أوامره باللحاق بها، إلّا أن أرماند شكَّ وقال: تمهَّل أيها الزعيم، أظنُّ أنها خدعة!

أصرَّ بالتازار بنفاد صبر: انتظرنا توحيد المختارين بما فيه الكفاية!.. والقمر الأحمر لن ينتظرنا!.. فهي الليلة الأخيرة!

فاجأه أرماند بصراحته الوقحة: توتُّرك هذا، هو نقطة الضعف!

نظر بالتازار إليه بعدوانية، فأردف أرماند: من خلال خبرتي كقائدٍ عسكري، فإن أفروديت تحاول استخدام زوي لتشتيت انتباهنا وتقسيم قوّاتنا، وتستغل توقيت القمر الأحمر المحدود.. كوسيلة ضغطٍ عصبي، إنها تعلم بأنها أعظم فرصةٍ انتظرناها، وأننا لن نضيعها، الأمر الذي سيضعنا تحت التوتر، وهذه هي نقطة الضعف المستهدفة!

سأله بالتازار: وماذا تقترح؟

ابتسم أرماند بوقار، وبثقةٍ لا تهتز أبداً.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

وصلت زوي إلى غابة ميقالوس مع حمايةٍ من رايموند وغربانه، بهدف تشتيت الفيركولاس وتقسيم قوّاتهم من خلال صرف انتباههم إلى الغابة الواقعة جنوب لورديور، ودفعِهم لإرسال جزءٍ من قوّاتهم نحوها، وبالتالي، سيتركون دفاعاتهم الجنوبية ضعيفة.

في اليوم الماضي:

{التفت الجميع إليها في ترقُّب، وبعد أن طلبت منها أفروديت الحديث، قالت: إنها محاولةٌ لاستدراجي!.. فألارد، هو أعزُّ أصدقائي!

ابتسمت أفروديت ونظرت إلى إيبير وبدَت نظرتها وكأنها اصطادت لتوها سمكةً في ماءٍ عكر، وقالت: هذا سيختصر علينا الكثير!

وأمرت الجميع بمغادرة المجلس باستثناء الدوق وزوي، ثم قالت: هل تعلمين لمَ نجوتِ من عقوبة الإعدام؟.. لأنكِ ستكونين كبش الفداء!

ثم التفتت إلى إيبير: سيعطيكِ الدوق إيبير تعليمات الخطة!

كان وقع تلك الكلمات قاسياً على زوي، إلّا أنها كانت مستعدةً للتضحية بحياتها،

مقابل نجاة ألارد، وكانت تنظر إلى أفروديت التي أخذت تتجرد من إنسانيتها تدريجيّاً، وأدركت أنها تزداد قسوةً مع مرور الزمن والأزمات، فهذا هو دورها الحقيقي كملكة، أن تضع مصلحة مملكتها وشعبها فوق كل شيء، الأمر الذي يتطلب تضحيات، وعدم ترددٍ في استخدام الآخرين ككبش فداء.}

وبالفعل، أرسل بالتازار فرقةً بقيادة أرام للحاق بزوي، بينما كان يركِّز هجومه على لورديور، وفور أن وصل أرام بفرقته إلى الغابة، وجد الجيش الرومبياني بانتظاره، بقيادة المارشال أبوليون، الذي اكتسب خبرةً كافيةً في تفاصيل الغابة وممرَّاتها، من خلال قضائه فترةً بها في المعسكر الذي أنشأه لأنصار أرجوس في الماضي.

ترك أرام جنوده ليواجهوا الجيش الرومبياني، واتجه بمفرده إلى عمق الأدغال، نحو زوي، لكنه تفاجأ بوجود رايموند وغربانه حولها، وكانت عيناها تُشِعَّان بلونٍ أحمر يمتزج مع إضاءة القمر الحمراء المنعكسة على بياض بدلتها العسكرية، كانت متأهبةً للقتال، كما كان الغربان، وبدَا أرام مُتحفِّزاً، فها هو يتواجه مع زوي أخيراً، كان يعلَم بأنها صقَلت خبرتها ومهارتها القتالية، فقد سمِع أرماند يتحدث عن قوَّتها، إلّا أنه لم يختبرها بعد، الأمر الذي دفعه لإخراج سيفه واتخاذ وقفة المحارب المستعد للنزال، فهو لا يواجه مصاصة دماءٍ مختارةً فقط، بل جنديةً صلبةً أيضاً.

قال رايموند: عشتُ مع داناي لزمنٍ طويل، وكانت لا تكفُّ عن التفكير بك!.. هل تعلَم عن ولعِها برؤيتك، وعن الخطر الذي وضعت نفسها به لأجلك؟.. كادَت تموتُ لولا أني أنقذتُها من افتراس وحوشك!

ثم قال مُستفِزًّا: أحياناً أشعر بالذنب، عندما أتذكر كيف هربتُ وتركتك ورائي، وأفكر، أرام الصغير، كيف تحولَ إلى مسخ؟.. لو أنني لم أهرب تلك الليلة، فهل كنتُ سأصبح مثلك؟.. أو ربما بديلك؟.. إلّا أنني فجأةً أتراجع عن تأنيب ضميري، عندما أتذكر كيف قتلتَ أريس!.. وأتساءل لمَ قتلته؟.. هل لأنه هرَب معي؟.. هل يعقل أن

تكون حقوداً لهذا الحدّ؟

لم يتعرَّف أرام على رايموند في البداية، إلّا بعد أن سمِع أسلوبه بالحديث، ومن خلال ملاحظة ملامح وجهه العدوانية، التي لا تزال كما هي، إلّا أنها كبُرَت مع الزمن ولم تعُد تحمل سحنة البراءة الطفولية، تماماً كما اختفت براءة أرام، ورغم أنهما متشابهان في هذا، إلّا أنهما متفاوتان كالثلج والنار، فرايموند ظلَّ إنساناً، لم يفقد مشاعره وانفعالاته، والحياة التي تدبُّ في روحه، بينما تحوَّل أرام إلى ما يشبه التمثال المُتحرِّك، المتجرِّد من المشاعر والأحاسيس.. والإنسانية. تساءل رايموند: «هل كان حظًّا، أم قدَراً؟».

هجم أرام بصمتٍ مطبق، وكان رايموند يتوقع أنه قادرٌ على غلبَته، كما غلَبَ غربانُهُ العديد من جنود الفيركولاس في السابق، لكنَّه تفاجأ بقوته الخارقة عندما أُصيبَ هو وغربانه ولم يقوَ أحدهم على مواصلة النزال، وبقيت زوي تواجهه بقوةٍ موازية، وكما تنبّأ أرام، فلم تكن زوي خصماً سهلاً.

قضى الجانبان مناورةً طويلةً بين أشجار الغابة الكثيفة، انتهت بهزيمة جنود أرام لقلة عددهم مقارنةً بالجيش الرومبياني، الذي اتجه بعدها إلى عمق الأدغال ليقتل أرام، ورغم قتاله بضراوةٍ ووحشية، إلّا أنه اضطر للانسحاب في النهاية، ولكنَّ الجيش الرومبياني حال بينه وبين جميع طرق العودة إلى لورديور، ولم يتمكَّن أرام من العودة باتجاه الشمال لتحذير بالتازار، وبذلك نجح الجزء الأول من خطة أفروديت، في قطع خطوط التواصل بين جيش العدو، ومباغتته من الخلف.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

من ناحية الجنوب، هجم الجيش الرومبياني على مؤخرة جيش الفيركولاس التي تُرِكَت مفتوحة الدفاعات بانتظار عودة فرقة أرام بعد الظفر بزوي، ولكن في نهاية المطاف، وقع جيش الفيركولاس في الحصار بين الجيشين المتحالفين، وتحوَّلَت المنطقة إلى مجزرةٍ

دموية، بين البشر ومصاصي الدماء. لم يبقَ نفسٌ فكل الأرواح تُسلَب، تتقاطر الدماء ويتناثر الرماد من الجثث، لا ملاذ ولا مَهرَب، فإما الموت أو الحياة. يتساقط الثلج بكثافة، مُغطّياً الرؤوس، وممتزجاً مع بقايا الرماد وبقع الدماء المُراقة على الأرض البيضاء، والقمر الأحمر لا يزال مُعتلياً السماء بِهَيمَنة، يُراقب مسرحيةً أُقيمت على شرفه، وهو الكاتب لفصولها.

وقف أنارغيروس في مواجهة جنوده السابقين في الجيش الرومبياني، والذين جاؤوا مع أبوليون لدعم جيش أفروديت، واضطروا لقتل رفقائهم القدامى الذين انشقّوا عن الجيش الرومبياني وانضموا لأنارغيروس.

كان وجود قائدٍ كأرماند ضمن جيش الفيركولاس، عائقاً أمام نجاح خطة أفروديت، فقد تنبّأ بها سلفاً وأعدَّ خطته المضادة، فأرسل فرقةً بقيادة آرميل، لتلتفَّ نحو شمال لورديور، وتهجم على المدينة من أضعف دفاعاتها، فلن تؤمِّن أفروديت قواتٍ كافيةً على حدود المدينة الشمالية، طالما كان عدوها يهجم من الجنوب. كانت تلك القوات القادمة من الشمال تهجم بوحشية، فقدَ فيها آرميل كامل عقله، ولم يصبح سوى دميةٍ لوحشٍ يُدمِّرُ كل ما يعترض طريقه.

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ غابة ميقالوس)

لم تقتنع زوي بأوامر أفروديت، والتي تقتضي بقاءها في الغابة مع حماية الغربان إلى أن تهدأ الأمور في العاصمة، كانت زوي تعلم بأن الفيركولاس يراقبون تحرُّكاتها، وسيستمرون بمحاولة الإمساك بها، لذا لم تجد فائدةً من البقاء، فركبت حصانها وقالت لرايموند: يجب أن أعود إلى لورديور لأنقذ ألارد!

نظر إليها رايموند بحزم، ودون أن يجادلها، قام بقطع لجام جوادها بسيفه، ثم قال:

تعلمين بأن القائد قد أرسل فرقةً لتحرير ألاردا.. ربما كنتُ سأتركك تذهبين، لولا أن الملكة دفعت لي لأنفذ تعليماتها!

نظرت إلى اللجام المقطوع، وقالت بسخرية: أنت لصٌّ وقاطعُ طريق، منذ متى أصبحت شريفاً تلتزم بعهودك؟.. لا أثق بقدرة تلك الفرقة على الصمود أمام الفيركولاس، ألارد أُسرَ بسببي، ولن أختبئ بجبنٍ دون أن أنقذه!

تشبَّثت برقبة حصانها وقالت: يؤسفني إخبارك بأن قطعَ اللجام لن يوقفني!

ثم ضربت الحصان بقدمها لينطلق مسرعاً، فوقف رايموند مذهولاً، والتفت إلى غربانه الذين سألوه: هل نلحق بها؟

ركب حصانه وقال: إنها عنيدةٌ ولا طائل من محاولة منعها!.. لذا سنحرر ألارد معاً!

❁❁❁

(بانسيلينوس ــ العاصمة لورديور)

في منزل مارغريت بونيفيل..

أطلَّت باربرا من شرفتها فور أن سمعت ضجيج الصرخات وصليل السيوف، وشاهدت الفيركولاس يقتحمون المدينة ويقتلون كل من يصادفهم، إلى أن وصلوا إلى منزلها وقتلوا الحرَّاس، فهرعت إلى الأسفل وركبَت العربة مع والدتها وخدمها وانطلقوا باتجاه منزل آل بونيفيل، ولكنَّ العربة لم تتمكن من الوصول إلى وجهتها، فقد داهمها الفيركولاس وأخرجوا من كان بها وقتلوهم جميعاً باستثناء مارغريت وابنتها اللتين صمدتا بالدفاع عن نفسيهما بواسطة قوَّتهما كمصاصتي دماء.

وفجأةً، التفتت باربرا ورأت آرميل يظهر من بينهم، ويقف كوحشٍ مفترسٍ وجائع، بثيابٍ ملطَّخةٍ بالدماء، كما لو كان سَفَّاحاً لا يكتفي من القتل، بدا مُختلفاً تماماً، وكانت نظراته لها ولمنزلها خاويةً من أي شعور، وكأنه لم يألفهما من قبل، التقت أعينهما المُشعَّة

بلونين مُتغايرين، وكأنهما الثلج والنار، ورغم صخب المذابح حولهما، كانا يقفان تحت ندفات الثلج المتساقطة على وجهيهما، في وهلةٍ من الصمت والسكون، وقبل أن ترمش عيناها، هجم عليها مباغتاً، فأدركت أنه ليس آرميل الذي تعرفه!

حاولت الدفاع عن نفسها بأنيابها الحادة وقفزاتها السريعة، إلّا أنه كان يفوقها شراسةً، فتمكَّن من عضِّ رقبتها وأسقطها أرضاً، ولاح لها شبح الموت عندما رأته يوجِّه سيفه نحو قلبها، ضربها مرةً ومرتين، إلّا أن القطعة المعدنية حمَتها!

تفاجأ آرميل، فنظرت إلى عينيه وهمست: أنت من وضَعها، أتذكر؟.. إنها تحميني منك الآن!

وفجأةً شعرت بقوةٍ تجذبه من فوقها، وتُزيحه بعيداً عنها ليرتطم بعنفٍ على الأرض، فرفعت رأسها وحاولت النهوض لترى هوية مُنقِذها، فشهقت وخفق قلبها لرؤيته: غيلبرت!!

كان غيلبرت يقود فرقةً من الجند، فساعدها على النهوض وقال لها ولوالدتها: إيمانويل يحرس منزل العائلة، اذهبا إلى هناك حالاً!!.. توجد مجموعةٌ من الجنود ستتكفل بتأمين الطريق لكما إلى أن تصلا، لقد وضَع والدي حراسةً مشددةً على تلك المنطقة، إنها آمنة!.. أسرعا!

ركضت باربرا مع أمها بأقدامٍ تسابق الريح، ودون أن تلتفتا إلى منزلهما، أو إلى غيلبرت.. وآرميل.

❁❁❁

وعلى أطلال العاصمة..

هجم الغربان مع زوي على معسكر الفيركولاس، وأثناء القتال، ظهرت كالغينيا أمامها فجأةً، فتعرَّفَت زوي على هيئتها، عندما عصفَت بها الذاكرة للوراء، حيث الليلة

المشؤومة، عندما كان كتفها يُكوى بالوسم على يديْ هذه المرأة الملعونة. سمِعَت الألم والصرخات بوضوح، الدموع والنار المتوهجة أمام عينيها، وجسديْ صديقيها الممددين أمامها، وعادت إلى الواقع بسرعة، محاولةً إمعان النظر في وجه كالغينيا التي كانت تقف بثقةٍ وتأهُّب، ودون مقدمات، نثَرَت كالغينيا المسحوق السحري فأغمضت زوي عينيها، وهزَّت رأسها بحركةٍ سريعةٍ لتنفُض غبار المسحوق عن وجهها، واستنشقت نفساً عميقاً، ثم فتحت عينيها لتنظر إلى كالغينيا التي اختفت من أمامها كما لو كانت شبحاً!.. فشعرت بالدوار، وتنمَّلَت أطرافها، وضاقت أنفَاسها، وكأن شيئاً ما كان يُطبِقُ على صدرها ويُقيِّدها.

وأُصيب رايموند وغربانه بعضَّاتٍ من مصاصي دماء الفيركولاس، ولكنه ظلَّ صامداً يقاتل بجروحه النازفة، إلى أن تمكن من قتل المجموعة التي كانت تحرس ألارد.

ورغم ما يحدث لجسد زوي، إلّا أنها قاومت سيطرة السحر، ولم تسمح له بإخضاعها، فهجمت على الكونت أرماند واشتبكت في قتالٍ عنيفٍ معه، لتشتت انتباه الفيركولاس عن محبوبها. نهض ألارد وحاول القتال بصفِّها رغم وهن جسده، فالتفتت إليه فجأةً، وكانت نظراتها تأمره بشراسةٍ أن يرحل، فجذبه رايموند ليركب على ظهر الجواد، ولوهلةٍ تردد في أن يتركها خلفه، وأغمض عينيه بقهرٍ، ثم اضطر للهرب مع الغربان.

وتم إخضاع زوي وضمُّها إلى الفيركولاس في ليلةٍ ملحمية، بعد أن وجَّه لها أرماند ضربةً أسقطتها أرضاً كالصريعة، وجعَلها السحر مُسيَّرَةً ومطيعةً لأوامر بالتازار، كما حدث لصديقها آرميل. ظلَّت ممددةً على ظهرها، تنظر إلى عينيْ أرماند الرماديتين، وهو يحدق بها بسلام، بينما كان الثلج يتساقط بنعومةٍ مُبلِّلاً خصلات شعرها القصيرة، وبعد أن تلاشت الأصوات من أذنيها، استسلمت وأغمضت جفنيها، ولم تعُد ترى سوى السواد الحالك.

❁❁❁

في وسط لورديور..

حيث النُّزل الذي كانت تُقيم به دليا، وقد مكثت تحتضن ياني بشدَّةٍ بينما يختبئان في الخزانة، وكانت تحاول تشجيعه لكي يحافظ على صمته ولا يبكي، إلّا أنه لم يتمالك نفسه بعد سماع صرخات الضحايا عند التقاط أنفاسهم الأخيرة، فخرج من الخزانة وجذب يدها: لنهرب!!.. سنموت إن بقينا هنا!!.. لنعُد إلى مولنيا!

حاولت إعادته إلى الخزانة، وكانت تهمس بذعرٍ وبنفسٍ متقطع: ياني!!.. ياني، اهدأ!.. استمع إلي، الوضع ليس آمناً بالخارج، لنختبئ هنا!.. لا يمكننا العودة إلى مولنيا الآن، هل تفهم؟!.. سينتهي الأمر بالتأكيد!.. عليك أن تثق بي فقـ..

إلّا أن جسده كان أقوى منها، فلم تستطع الإفلات من ذراعه القاسية، أو تخليص يدها من قبضته، جذبها نحو الخارج وأخذا يركضان، ولكنَّهما ما لبثا أن توقفا وسط الثلج بلا حراك، عندما حاصرتهما مجموعةٌ من جنود الفيركولاس. حاول ياني حماية دليا بإلقاء نفسه بينها وبين مصاصي الدماء، و كانت تختبئ تحت جسده وتصرخ بهلع، فاحتضنها بقوةٍ بينما كان ظهره يُمزَّقُ بأنيابهم الحادة، وصوت ضحِكاتهم يتعالى سخريةً من بكائه كطفلٍ صغير.

توقفوا فجأةً عن نهش جسده، ثم أفسحوا الطريق ليظهر آرميل من خلفهم، فرفع ياني رأسه ونظر إليه، وأصابه الذعر عندما رأى إشعاع عينيه الحمراوين!

وبأنفاسٍ مُحتبسة، وشفتين مُرتعشتين، أخذ يتساءل في ذهنه: «هل هو.. أخي آرميل؟.. أم أنه مصاص دماءٍ.. يُشبهه؟».

لم يبدُ على آرميل أنه تعرّف على ياني، واستمرَّ يخطو نحوه بخطواتٍ ثقيلةٍ مُكشِّراً عن أنيابه، فشهَق ياني مرعوباً: أخي آرميل، هل هذا أنت؟!

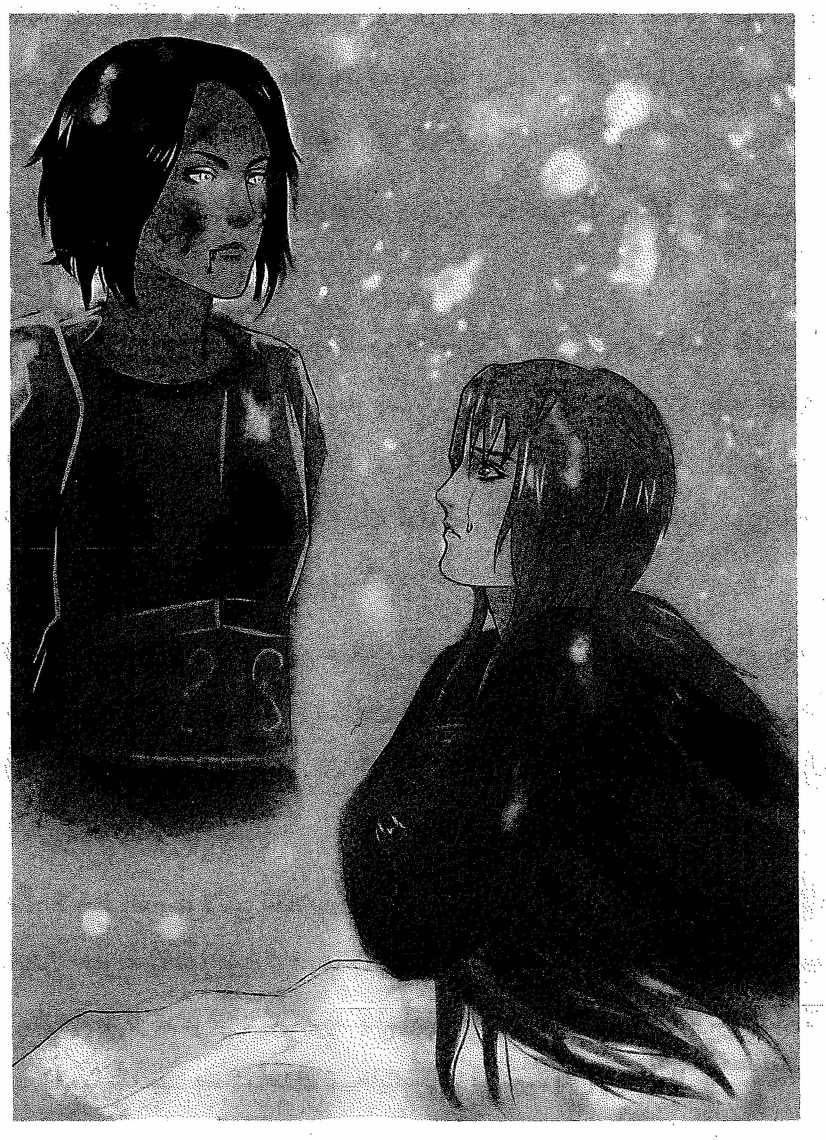

توقف آرميل فجأةً عندما سمِع صوته، صوتٌ قديمٌ اعتاد على سماعه في أجمل أيامه، كلحنٍ لأغنيةٍ دافئةٍ تحمِل عبَق الوطن والأمان، نظر إلى تينك العينين العسليَّتين، كانتا تأسِرانه وتُعيدانه إلى حزنٍ كان يدفِنه في قلبه طويلاً، عن قصةٍ لفتىً يُحبه ويرعاه، شقيقه الأصغر الذي اضطر للرحيل عنه، وتركه وحيداً في دوامة الحياة، يصارع للنجاة من الغرق بدون طوقِ النجاة، طوق أخيه الأكبر آرميل.

تمكّن آرميل من التفكير أخيراً، وأخذت ذاكرته تحيا تدريجيّاً، وكأن عقله بُعث من الموت: «قصة فتىً.. يدعى ياني!».

مات ياني بعد أن نزف بشدَّة فوق جسد زوجته، وأمام ناظريْ آرميل، الذي فقد سمعه أمام ذلك المشهد الصامت، ولم يعد يسمع سوى صوت ضربات قلبه العنيفة، وشهقات أنفاسه الثقيلة، وصرخات دليا البعيدة، وطنينٍ يتصاعد ليُصِم أذنيه، وأصبحت الرؤية ضبابيةً في عينيه، وكأنه فقد بصره، فلم يعد يرى شيئاً سوى جسد ياني النازف، ووجهه الملائكي النائم بسلام.

أيقظت تلك اللحظات آرميل من غفلته، فكُسِرَت التعويذة التي استولت على ذهنه، واستعاد السيطرة على حواسه، وتسلَّلت الأصوات إلى مسمعه تدريجيّاً، وأصبحت الرؤية أكثر وضوحاً، فعاد إلى الواقع ليدرك ماذا كان يفعل وماذا كان يجري حوله، وأفاق!

وفجأةً، لاحظ الفيركولاس انقلاب آرميل المفاجئ على صفوفهم، كانت قوته هائلة، أخذ يقتل جنوده تِبَاعاً ودون توقف، كان ما يفعله أشبه بالجنون، لا شيء سوى الدماء التي ينثرها حوله بعشوائية، كان يريد قتل أكبر عددٍ منهم، فلن يكتفي ولن يهدأ، لأنه كان يعرف.. بأنه مهما بلغت أعداد ضحاياه، فإنها لن تُعيد ياني إلى الحياة.

رفعت دليا رأسها وأزاحت جسده عنها، ثم سرحَت تتأمل وجهه بصدمة!

لا توجد حياةٌ أشدُّ بؤساً من حياة دليا مونبيتيت، حيث قُتل والداها، ولم تعش طفولتها

في أحضانها، ثم قُتل شقيقها في الحرب، والآن يُقتل زوجها وحب حياتها أمام عينيها، فالموت سلب منها جميع أحبابها، إنها محاطةٌ بالموت إلى أن أصبحت لا تخشاه.

في أقصى شمال بانسيلينوس، حيث الحدود الشمالية الباردة..

توقفت عربةٌ متنقلةٌ وسط طريقٍ ثلجي، كانت مبهرجة الألوان برسوماتٍ غريبة، بدا وكأنها عربة سيركٍ وألعابٍ سحرية، نزل منها ثلاثة أشخاص، أحدهم فتاةٌ ذات شعرٍ أجعد معقوصٍ إلى أعلى رأسها، يشبه البرتقال في لونه الأصهب، ورجُلان بثيابٍ ثقيلةٍ داكنة، بدا الثلاثة وكأنهم قادمون من أرضٍ باردة، وقد اعتادوا على قسوة الطقس بها، كانت المجموعة تقف مع ذئابهم الضخمة، التي تشبه الخيول في حجمها.

قال أحدهم بعد تنهيدةٍ طويلة: أخيراً، وصلنا إلى أرض القمر بانسيلينوس، في الموعد المحدد!

وقال الآخر مُثنياً على توقيت وصولهم: وفقاً للأسطورة القديمة، إنها آخر ليالي القمر الأحمر..

مدَّت الفتاة يديها في الهواء لإرخاء عضلاتها المتيبّسة من طول الطريق، وقالت بابتسامةٍ متلهفة: سأرى مصاصي الدماء، أخيراً!

لم يعمّ السلام بعد،

وستتوالى أحداث القصة الملحمية، لصراعاتٍ لن تقوى السيوف على صدّها،

فتلك كانت مُستهلّ الملاحم، «ملحمة العرش والعشق».